الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي ـ سرت

كلية الآداب والتربية　　قسم التاريخ/ الإسلامي

" النشاط التجاري في الشمال الأفريقي وأثره في نشر المظاهر الحضارية في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين "

إعداد :ـ حواء محمد طلاق.

أعضاء لجنة المناقشة :ـ

1- د. صالح مصطفى مفتاح المزيني.

2- د. عبد الحكيم غنتاب الكعبي.

3- د. عبد الواحد عبد السلام شعيب.

توقيع

يعتمد

أ.د. رحمة ابوقنينة عبد السلام

مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب لكلية الآداب والتربية

يعتمد

أ. حمد أحمد الحاج

أمين اللجنة الشعبية لكلية الآداب والتربية

الإهداء

إلى من أنار لي طريق العلم . . . إلى منهل العطاء . إلى والدي الكريمين .

إلى سندي وعزوتي في هذه الحياة . . . إلى من ذللوا أمامي الصعاب . . إلى إخوتي وأخواتي .

إلى كل من علمني حرفاً . . . وجعل العلم غايتي .

إلى كل عين قرأت هذه الورقات ، وإلى كل أنامل تصفحتها : وإلى كل لسان همس بها .

أهدي ثمرة أول جهد علمي . . . . رمزاً للوفاء والإخلاص واعترافاً بالجميل .

داعية الله عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء .

الشكر والتقدير

لا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بخالص شكري إلى رب العالمين الذي أعانني ولم يخذلني، وأتوجه بالشكر أيضاً لأستاذي الجليل الدكتور: صالح مصطفى مفتاح المزيني أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة عمر المختار، والذي رعى خطوات هذا البحث في جميع مراحله منذ أن كان فكرة إلى أن خرج موضوعاً متكاملاً، حيث لم يضن عليّ بالوقت أو الجهد، ومد يد المساعدة بتأمين بعض المصادر والمراجع التي خدمت البحث، كما أشكره على ما لمسته فيه من إخلاص وروح طيبة ورحابة صدر فجزاه الله عني كل خير.

وأتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان والامتنان للأستاذين الفاضلين اللذين تكرما بالمشاركة في مناقشة هذا البحث حاملان لواء النصح والإرشاد والتوجيه والنقد البناء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى مدير الدراسات العليا الأستاذ جمعة الغناي وإلى مكتب الدراسات الأستاذة رحمة بنينة، وإلى أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ - جامعة التحدي - وأخص منهم رئيس القسم الأستاذ حسن المدني.

ولا تنكر الباحثة مساهمة العديد من الأهل والأصدقاء وموظفي المكتبات خاصة المكتبة المركزية بالجامعة، وعلى رأسهم مدير المكتبة الأستاذ

مصطفى الشريف، الذين مدوا لي يد العون فلكل هؤلاء فائق الشكر والتقدير والاحترام.

وفي الختام أشكر كل من أسهم وسيسهم في تصويب وانجاز هذا العمل قولاً وعملاً، وأخرجه إلى حيز الوجود، وأعلم أن الكمال لله وحده، وأتمنى من الله أن يستوفي عملي هذا شروط البحث العلمي، وأساله سبحانه وتعالى العون والسداد، كما أسأل الله تعالى التوفيق أولاً وآخراً، وفي كل آن إنه سميع الدعاء.

الباحثة

الاختصارات

الكلمة	الاختصار
بدون تاريخ نشر	د.ت
بدون دار نشر	د.ن
بدون طبعة	د.ط
الطبعة	ط
بدون مكان نشر	د.م
توفي	ت
الجزء	ج
الصفحة	ص
الصفحات	ص ص
مجلد	مج
هجري	هـ
ميلادي	م
/	علامة فاصلة بين التاريخ الهجري والميلادي
Page	P.
Pages	P.P
OP.cit	المرجع السابق
Ibid	المرجع نفسه

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ-ط
الفصل الأول : الطبيعة الجغرافية والسكانية للمنطقة	
المبحث الأول : الطبيعة الجغرافية للمنطقة	2
أ-التسمية	5-2
ب-الموقع	8-5
ج-التضاريس	11-8
د-المناخ	12-11
المبحث الثاني : التركيبة السكانية	13
أ-البربر	17-13
ب-العرب	18-17
ج-العجم	19-18
د-أهل الذمة	20-19
هـ-الروم	21-20
و-الأفارقة	22-21
ز-عناصر أخرى	23-22
ح-العادات والتقاليد الاجتماعية	26-23
الفصل الثاني : الطرق والمراكز التجارية	

المبحث الأول : الطرق التجارية	28
أولاً - الطرق البرية الداخلية	28
1 - تونس	29.28
2 - ليبيا	30.29
3 - المغرب الأقصى	31.30
4 - الجزائر	32
ثانياً - الطرق النهرية	33-32
ثالثاً - الطرق البرية الخارجية	33
1 - طرق خارجية مع ممالك جنوب الصحراء وبلاد السودان	37.33
2 - طرق خارجية مع بلاد المشرق الإسلامي	38.37
1 - الطريق الساحلية	40.38
2 - الطريق الصحراوية	41.40
رابعاً - الطرق البحرية	43.41
المبحث الثاني : المراكز التجارية	44
أولاً - أهم المراكز التجارية في ليبيا	44
1 - غدامس	45.44
2 - فزان	45
3 - برقة	47.46
ثانياً - أهم المراكز التجارية في تونس	47
1 - رقادة	48.47

2–سوسة	49 - 48
3–تونس	50-49
4–قابس	51-50
5–صفاقس	52
6–القيروان	56-53
ثالثاً–أهم المراكز التجارية في الجزائر	56
1–ورقلة	56
2 – تاهرت	58-56
3 – تيارت	59-58
رابعاً – أهم المراكز التجارية في المغرب الأقصى	59
1 – سجلماسة	60-59
2 – فاس	62-60
3 – أغمات	62
4 – سبتة	64-62
الفصل الثالث : السلع والأسواق التجارية	
المبحث الأول : السلع التجارية	66
أ–أهم سلع المنطقة	72-66
ب – أهم المناطق المتبادل معها تجارياً	72
1 – مصر	74-72

الموضوع	رقم الصفحة
2 – ممالك جنوب الصحراء وبلاد السودان	78-74
3 – أوروبا (صقلية وجنوب إيطاليا)	79. 78
4 – الأندلس.	79
5 – بلاد المشرق الإسلامي	81-79
المبحث الثاني: الأسواق التجارية	84-82
أ – الأسواق اليومية	87-84
ب – الأسواق الأسبوعية	87
جـ – الأسواق الموسمية	88
الفصل الرابع: أساليب التعامل التجاري وأثر التجار في نشر الإسلام في جنوب الصحراء	
المبحث الأول: أساليب التعامل التجاري	90
أ – المقايضة	91-90
ب – النظام النقدي	97-91
جـ – الصكوك	99-97
د – السبائك	100 - 99
هـ – المكاييل والموازين	103 – 100
و – الصيارفة	104 – 103
ح – أساليب أخرى	105
المبحث الثاني: الرقابة على الأسواق	106

الحسبة	110-107
المبحث الثالث: أثر التجار في نشر الإسلام في جنوب الصحراء	112-111
1- التجار	117-112
2- أهم ما يلاحظ على نشر الإسلام	118-117
الخاتمة	122-120
الملاحق	145-124
ثبت المصادر والمراجع	165-147

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

وبعد ... فهذه الدراسة تتناول موضوع (النشاط التجاري في شمال أفريقيا وأثره في نشرالمظاهر الحضارية(الإسلام في جنوب الصحراء الكبرى) خلال القرنين (2 و 3هـ / 8 و 9م).

إن المتتبع لتاريخ العرب في منطقة الشمال الأفريقي يجد أن الدراسات اهتمت بالجانب السياسي ودورهم الجهادي والفتوحات التي قام بها العرب لفتح العديد من مناطق العالم ، وركزت على ما قاموا به من معارك بطولية أسهمت في دفع خطر العدو عن الأراضي الإسلامية ، لهذا السبب جاء إبراز هذا الجانب على حساب بقية الجوانب الأخرى المرتبطة بالمنطقة ، والتي لا يمكن التقليل من أهميتها ودورها في تشكيل بعض الأحداث التاريخية.

وعلى ذلك فإن تتبع النشاط التجاري لهذه المنطقة جدير بالدراسة والتحليل لسد بعض القصور ، والذي من البديهي أن تؤثر فيه وفي تطوره أهمية الموقع الجغرافي ، لذا لابد للباحث التاريخي من التعرف على جغرافية المنطقة المراد دراستها لأنها تؤثر على سير التاريخ بصفة عامة ، فالتاريخ دراسة تقوم على الأهمية المكانية والزمانية ، أقصد بالمكانية المفهوم الجغرافي: أي الأرض التي تمت أو قامت فيها الأحداث التاريخية ، فالجغرافيا دون أدنى شك تؤثر في التاريخ الاقتصادي ، ولها انعكاسات على مسار التجارة وتطورها.

فعلى الرغم من قدم التجارة في التاريخ الإنساني عامة وفي التاريخ العربي خاصة ، إلا إن التجارة وما تبعها من نشر الإسلام عبر الصحراء تعد نقلة نوعية

كبيرة في تاريخ التجارة العربية ، اذ انعكس أثرها بشكل واضح على التاريخ العربي والعالمي ، والمقصود بالتجارة عبر الصحراء الكبرى في هذه الدراسة حصراً ، التجارة التي اعتمدت في تنقلاتها عبر الصحراء وصولاً إلى ممالك ما ورائها (ممالك جنوب الصحراء).

وكان من أوجه نشاط هذه التجارة المبادلات السلعية التي تعد الصورة المبكرة للنشاطات التجارية والتي تطرقت إليها وإلى نوعيتها وكيفية تبادلها مع الغير، كما أن هذه التجارة اعتمدت على مراكز ووسائل مختلفة في نقل البضائع والسلع والمنتجات سواء أكان توزيعها داخلياً أم في المبادلات التجارية الخارجية، وكنت قد عرضت أبرزها في أحد فصول هذه الدراسة.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا وتكون الإجابة عليه من خلال هذه الدراسة هو :-

هل أصبحت الصحراء الكبرى مانعاً أو حاجزاً عندما أراد التجار المغاربة التبادل التجاري مع مدن وممالك جنوب الصحراء ؟ وهل كانت سداً منيعاً عندما رأوا خيرات أفريقيا عبر الصحراء ؟

نحن الآن في أمس الحاجة إلى إعادة كتابة تاريخ الصحراء وإعادة دراسة جغرافيتها ومجتمعاتها ، وإبراز معالمها الثقافية والحضارية ، لأن الصحراء كانت ولا تزال منارة تزخر بالنشاط الثقافي والتجاري.

ومن اجل الكشف عن العديد من النشاطات الاقتصادية داخل المنطقة ، فمن هذا الأساس **جاءت أهمية** هذه الدراسة ، كما تكمن أهميتها **في** استجلاء مظاهر التطور التي شهدتها المنطقة تجارياً ، وكيفية دخول الإسلام إلى ممالك جنوب الصحراء عن طريق التجار ، وكيف خدمت التجارة الإسلام وخدم الإسلام التجارة.

وقد تناولت **بعض الدراسات** هذا الموضوع ومست بعض جوانبه من زوايا مختلفة، إلا أنها لم تتعرض للجانب الاقتصادي كاملاً ، **ومن هذه الدراسات** على سبيل التمثيل لا الحصر : **النشاط التجاري في دولة المرابطين** في المغرب الأقصى (448 ــ 541هـ / 1056 ــ 1146 م)وهي رسالة ماجستير مقدمة

من قبل الباحث فتحي إبراهيم أحمد ــ جامعة الفاتح ، حيث تعرض فيها الباحث إلى قيام دولة المرابطين ، فتناول منطقة المغرب الأقصى من الناحية الطبيعية والتركيبة السكانية ، ثم تطرق للحديث عن اقتصاد دولة المرابطين وأهم ركائزها من زراعة، وثروة حيوانية ، وصناعة ، وتجارة داخلية وخارجية ، كما تكلم عن مقومات النشاط التجاري واختتم الدراسة بفصل عن العوامل المؤثرة في هذا النشاط ، وهو بذلك يكون قد ألقى بعض الضوء على الجانب الاقتصادي ولكنه اقتصر على قطر معين من أقطار الشمال الأفريقي وخلال فترة حكم دولة معينة ، وإن هذه الدراسة لم تخل من التركيز على الجانب السياسي مع أن عنوانيا اقتصادي بحت.

كما قدمت حياة عبود محمد العامودي دراسة معنية بالحياة الاقتصادية تحمل عنوان : **أسواق أفريقية في العصر الفاطمي** (297 ــ 443هـ / 909 ــ 1051م) رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في الآداب ــ تخصص تاريخ إسلامي ــ جامعة الملك سعود ، الرياض ، وبدأت الباحثة رسالتها بفصل تمهيدي كان بعنوان : التعريف بأفريقية وقيام الدولة الفاطمية ،كما أنها استعرضت أهم الأسواق التي أنشأت قبل زمن الفاطميين وبعدهم والتوزيع الجغرافي لها ، ثم عرجت للحديث عن المعاملات المالية والتجارية داخل الأسواق والحياة العامة فيها، غير أن الجانب السياسي كان له نصيبه في هذه الرسالة أيضاً.

وهناك دراسة ثالثة مقدمة من الباحث **صالح الصادق السباني** تحت عنوان : **مملكة كانم ــ برنو وعلاقتها بأقطار الشمال الأفريقي** من القرن الثالث إلى العاشر الهجري / التاسع إلى السادس عشر الميلادي ، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة محمد الخامس ــ الرباط ، وكان الباحث قد عالج في الفصلين الرابع والخامس العلاقات الاقتصادية والثقافية للمملكة مع أقطار الشمال الأفريقي وأثر هذه العلاقات في حياة الأقطار ، كما تطرق للمصالح المشتركة بين الطرفين والتعاون المتبادل بينهما ، وإن كان قد تطرق إلى اقتصاد مملكة كانم ــ برنو أكثر من تركيزه على اقتصاد منطقة الشمال الأفريقي.

ومما لا شك فيه أن الرسائل السابقة الذكر قد أسهمت في تزويدي ببعض الأفكار والمعلومات المتعلقة بالموضوع ، مع التوجيه الصحيح للمصادر الخاصة بالدراسة ، كما لا أنكر إفادتي منها في معرفة بعض التساؤلات.

أما الأسباب التي دفعت الباحثة إلى اختيار هذا الموضوع فيمكن حصرها في الآتي:-

- رغبة الباحثة الشخصية في دراسة التاريخ الاقتصادي بصفة عامة وخاصة ما كانت تتمتع به منطقة الشمال الأفريقي من آثار إيجابية في نشر دين الله الحنيف.
- معرفة مدى الروابط والعلاقات الاقتصادية التي كونتها المنطقة مع الغير. -
- قلة الدراسات السابقة المستقلة للموضوع.
- معرفة الصعاب التي كانت تواجه التجار عابري الصحراء في سبيل نشر الإسلام.
- ومما تجدر الإشارة إليه أن الدراسات التي قام بها الباحثون بشأن هذه الفترة تركز الاهتمام على الناحيتين السياسية والإدارية في حين أن دراسة الأحوال الاقتصادية لم تحضا بكثير من العناية ، لذا وجهت اهتمامي إلى إبراز الازدهار الاقتصادي متمثلاً في المراكز والأسواق والسلع وطرق المعاملات ودورها البارز في انتعاش الحياة الاقتصادية حينذاك.

واجهتني أثناء إعداد هذه الدراسة الكثير من الصعوبات منها قلة المصادر والمراجع التي تطرقت لتلك الناحية ، وإن وجدت فإنها تتناول النواحي السياسية بإسهاب كبير ، مع إشارات عابرة للنواحي الأخرى ومنها الاقتصادية ، كذلك عدم توفر الكتب في مكتبتنا خاصة أمهات الكتب.

وقد اتبعت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي ، الذي يعتمد على عرض الأحداث التاريخية وإيجاد الرابط بينها من خلال تحليلها في المواضع التي تحتاج إلى ذلك مع إبراز الرأي الشخصي إذا لزم الأمر.

وحدد الإطار المكانيللدراسة بمنطقة المغرب العربي (الشمال الأفريقي) باعتبار أن المغرب العربي هو الجناح الأيسر للإسلام ، وأنها مكملة لمنطقة المشرق الإسلامي الجناح الأيمن له ، حيث انطلق منه الإسلام إلى باقي أنحاء العالم الأخر

بما فيها جنوب القارة الأفريقية ، فالإسلام على طول القارة انتشر من خلال ثلاثة محاور تجارية منها منطقة الشمال الأفريقي ، كما أن المنطقة تعتبر حلقة وصل بين ممالك جنوب الصحراء والمشرق الإسلامي وبعض مناطق شرق آسيا وجنوب إيطاليا والأندلس.

أما الإطار الزمني للدراسة فقد أختص بفترة القرنين الاوليين لانتشار الإسلام في القارة (2و 3 هـ / 8 و9 م) فما يميز هذه الفترة هو حماسة العرب والتجار في استكمال عملية الفتح ونشر دين الله وإعلان كلمته .

تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول ، يحتوى كل فصل على مبحثين باستثناء الفصل الرابع الذي احتوى على ثلاثة مباحث ، بالإضافة إلى خاتمة وملاحق وثبت للمصادر والمراجع .

الفصل الأول / الجغرافية الطبيعية والسكانية للمنطقة :-

ضم هذا الفصل مبحثين ، **الأول** تحت عنوان : الجغرافية الطبيعية ، ويتناول هذا المبحث تسمية المنطقة إجمالاً وصولاً إلى كيفية تسميتها بالشمال الأفريقي، ثم يتناول حدودها الطبيعية وأقسامها وتضاريسها ومناخها ، ومدى تأثير الموقع الجغرافي على التجارة ، أما **المبحث الثاني** فبعنوان : التركيبة السكانية ، فيتناول أهم العناصر البشرية التي سكنت المنطقة وأصل كل عنصر ، مع التعرف على السكان المحليين وأصلهم وكيفية دخولهم للإسلام ، وهل هناك عناصر تدين غير الإسلام ديناً قطنت المنطقة ؟ ثم يختتم هذا المبحث بأهم العادات والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها.

الفصل الثاني / الطرق والمراكز التجارية للمنطقة :-

ويحتوى على مبحثين أيضاً ، **المبحث الأول** يحمل عنوان : الطرق التجارية ، وهو يتعرض للطرق البرية الداخلية في كل قطر من أقطار الشمال الأفريقي وتلك التي ربطت الأقطار مع بعضها بعضاً من جانب ، ثم يبرز الطرق الخارجية التي ربطت المنطقة بنظيراتها من الدول من جانب آخر ، ثم التعرف على هذه الدول ، وعما إذا كانت هناك طرق أخرى غير البرية ؟ أما **المبحث الثاني** فكان بعنوان : المراكز التجارية ، وهو يعرج على اهم المراكز ومواقعها

ومميزتها ؟ حتى صارت ذات أهمية تجارية خطت باقتصاد المنطقة إلى الأمام ، وهل احتوت هذه المراكز على مؤسسات مرتبطة بالتجارة كالفنادق والحمامات وغيرها ؟ مركزة على أهم التبادل فيها مع أبراز أهميتها بالنسبة للنشاط التجاري .

الفصل الثالث / السلع والأسواق التجارية :-

يحوي هذا الفصل بين طياته مبحثين ، **المبحث الأول** حمل عنوان : السلع التجارية ، وهذا المبحث خصص لمعرفة السلع التجارية المتوفرة في المنطقة، والسلع المستوردة ونوعيتها ، ثم يتعرض لأهم المناطق التي تم التبادل التجاري بينها وبين المنطقة ، والمبحث **الثاني** بعنوان : الأسواق التجارية في المنطقة ، وفيه يتعرف على أنواع الأسواق ونظامها وكيفية العمل فيها ، وهل هي أسواق متخصصة أو عشوائية ؟ وهل هناك أناس متخصصون يديرون هذه الأسواق (أي موظفي السوق) ؟ وما مدى أهميتها ، والدور الذي لعبته في اقتصاد المنطقة ؟

الفصل الرابع / أساليب التعامل التجاري وأثر التجار في نشر الإسلام في جنوب الصحراء :-

يختلف هذا الفصل عن الفصول الثلاثة الأولى في احتوائه على ثلاثة مباحث، **الأول** بعنوان : أساليب التعامل التجاري ، وهو موجز لأساليب التعامل المتعارف عليها في عملية البيع والشراء ، وهل عرفت المنطقة أسلوباً خاصاً تتعامل به في العملية التجارية ؟ وهل أثرت هذه الأساليب على تجار الغير بأن اتخذوها عملة ليم ؟ أما **المبحث الثاني** : الرقابة على الأسواق ، فلابد أن يكون للأسواق نظام مراقبة حتى تتم عملية البيع والشراء بالشكل المطلوب ، والسؤال هنا متى ظهر هذا النظام ؟ ومن يشرف على هذه الأسواق وينظم سيرها ؟ وما هي مواصفاته ؟

وأخيراً ينتهي هذا الفصل **بمبحث يحمل عنوان** : أثر التجار في نشر الإسلام في جنوب الصحراء ، حيث يتطرق لأهم مرحلتين مر بهما الإسلام لكي ينتشر في الجنوب ، ثم يتناول الدور الذي لعبه التاجر المسلم لنشر الإسلام ، وهل استخدم حد السيف أو أن صفاته السمحة وما تحلى به من أخلاق كانت وراء ذلك ؟ مع معرفة الطرق التي سلكها إلى هناك.

وقد ذيلت هذه الفصول بخاتمة شملت النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال هذه الدراسة ، كذلك وضعت قائمة بالمصادر والمراجع المستخدمة في هذا البحث ، فضلاً عن بعض الصور والخرائط التي توضح ما قد غمض ، وذلك بعون الله وفضله ثم بفضل ما استطاعت الباحثة الحصول عليه من مادة علمية متناثرة في بطون المصادر والمراجع.

وتم الاعتماد في إعداد هذه الدراسة على الكثير من المصادر الأصلية تاريخية كانت أو جغرافية ، والتي على الرغم من تأخرها زمنياً عن موضوع البحث إلا أنها افادت في كشف النقاب عن الكثير من موضوعاته ، ولكن الاعتماد الرئيسي كان على المصادر التاريخية ،ومن هذه المصادر ما يلي : -

كتاب صورة الأرض لابن حوقل : محمد بن أبى القاسم محمد بن حوقل النصيبيى ، ت (367 هـ / 988 م) ، وهو من كتب الرحالة الجغرافيين الذين جابوا الأمصار الإسلامية ، وهذا الكتاب سوف تكون الإفادة منه في التعرف على مدن المنطقة ، وما اشتهرت به من حاصلات زراعية ، كما أنه يتطرق إلى اقتصاد المنطقة من خلال المعلومات المتعلقة بالنشاط التجاري الموجود في ثنايا صفحاته.

أما كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب لمؤلفه المشهور البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، ت (487 هـ / 1094 م) فيأتي في مقدمة الكتب التي ستعتمد عليها الباحثة في هذه الدراسة ، وهو من المصادر الهامة التي أعطت وصفاً رائعاً للمدن وأسواقها ونظم المعاملات بها ، وما أشتهر به من حاصلات زراعية وثروات حيوانية ، كما وصف لنا المسالك والطرق البرية والبحرية داخل المنطقة وخارجها والعلاقات التجارية الخارجية لذلك يعتبر كتابه مصدراً لكل المؤرخين الذين أتوا من بعده ، وذلك لاحتفاظه بمعلومات تاريخية.

أما **كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق للشريف الإدريسي** : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ، ت (560 هـ / 1165 م) فكان أهم كتاب في هذه الدراسة ، وخير دليل في توضيح بعض الأحداث السياسية والاقتصادية ، زد على ذلك دقة الوصف في المعلومات المتعلقة بالأمور الاقتصادية عامة ،

والتجارية بشكل خاص ، موضحاً أهم سلع المنطقة وأماكن إنتاجها وأهميتها التجارية ، كما أشار الإدريسي للتطورات المرتبطة بالنشاط الاقتصادي.

كذلك لا نستطيع أن نغفل **كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي** : شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ، ت (626 هـ / 1229 م) الذي يعد من أهم المصادر التي تعنى بذكر المدن وخصائصها منذ قيامها ، وما اشتيرت به وما حوته أراضيها من خيرات ، فقد اتسمت معلومات هذا المصدر بالدقة مع العرض الجيد.

ويعد **كتاب البيان المغرب لابن عذارى** : أبو العباس أحمد ، (من مؤلفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) ، من أهم الكتب التي تعرضت لتاريخ المغرب على الإطلاق ، حيث يتناول روايات قدامة المؤرخين المغاربة ، مما يزيد هذا من أهميته ، وقد أحسن ابن عذارى اختيار أخباره مما جعل كتابه وثيقة تاريخية لا غنى عنها لباحث في تاريخ المغرب ، وذلك لما تضمنه من معلومات مهمة متعلقة بجميع جوانب الحياة.

أما فيما يخص المراجع المستعان بها فهي ليست بالقليلةأسهمت في توضيح وإثراء عدة موضوعات ، وبرز من هذه المراجع **كتاب ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية بأجزائه الثلاثة لمؤلفه حسن حسني عبد الوهاب**، الذي أفرد فيه عنواناً عن النقود العربية في تونس ، فهو يعتبر من المراجع الأساسية ، ويرجع إليه الفضل في تحقيق الكثير من المخطوطات المغربية.

كما استعانت الباحثة بكتاب **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي** خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، **لعز الدين أحمد موسى** ، فعلى الرغم من أن عنوان الكتاب كان في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي إلا أنه استفاد منه كثيراً ، نظراً لما ضم من معلومات عن اقتصاد المنطقة بشكل عام دون أن يخصص منطقة بعينها فقد احتوى هذا الكتاب على فصل كامل عن التجارة داخل الدولة ، تطرق خلاله لعدة موضوعات تخدم الدراسة في الكثير من جوانبها.

وفى الختام لا أدعى الاحاطة التامة بكافة جوانب الموضوع من كل الوجوه ولكن حسبي بذلت جهدي في هذا السبيل، ويعلم الله مدى مالاقيت من صـــعاب و مشاق حتى خرج هذا العمل إلى حيز الوجود ، و التمس العذر مسـبقاً عمـا قـد تسرب فيه من أخطاء وما قد يظهر فيه من القصور ، وأسأل الله سبحانه وتعـالى أن ينتفع بجهدي هذا وأن ينال الرضى و الاستحسان ... وعلى الله قصد السبيل.

والله الموفق ..... الباحثة.

الفصل الأول : الطبيعة الجغرافية والسكانية للمنطقة

المبحث الأول : الطبيعة الجغرافية للمنطقة

المبحث الثاني : التركيبة السكانية

المبحث الأول: الطبيعة الجغرافية للمنطقة:-

تعتمد أغلب الدراسات التاريخية في منهجها على فهم ودراسة طبيعة المنطقة الجغرافية وحدودها ومناخها ، وذلك لفهم وتحليل تاريخ المنطقة الاجتماعي والاقتصادي بشكل يكون أقرب إلى الصواب ، وذلك لما للظواهر الجغرافية من أثر بالغ في تحديد نمط الحياة ، ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن دراسة جغرافية المنطقة (منطقة الشمال الأفريقي) لها علاقة واضحة في التأثير على نمط الاقتصاد وشكله ، ومن ثم لها علاقة في التأثير المباشر على تجارة المنطقة وتبادلها التجاري.

وبما أن الشمال الأفريقي لم يكن بهذا المسمى بل عرف بمسميات عدة ، لذا استوجب إعطاء نبذة مختصرة عن تسمية المنطقة وأقسامها.

أ - التسمية:-

عرفت المنطقة قيد الدراسة (الشمال الأفريقي) بعدد من المسميات طوال حقبتها التاريخية حيث أنها لم تكن تعرف بهذا المسمى ، فكل من قدم من المستعمرين إليها أطلق عليها مسمى.

فعرفت بأفريقيا الصغرى ، أو بالسلسلة الأطلنطية [1] ، وأطلق عليها الإغريق اسم ليبو أو ليبيا [2] ، غير أن هذا المسمى لم يكن يطلق على المنطقة بأكملها ، بل اقتصر على الجزء الشمالي منها لأنه كان يسكنه العنصر الأبيض بينما أطلقوا على الصحراء اسم بلاد الأحباش السود [3] ، أما الإقليم الذي يقابل الجزء الشمالي الشرقي من تونس فقد أطلق عليه الرومان لفظ أفريقية [4].

وعندما وطأت أقدام الفينيقيين أرض المنطقة أحدثوا تغييراً في التسمية فعرفت خلال مدة حكمهم بمسميات منها :-

---

(1) - نردور : عبد الباسط ، قطار المغرب العربي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 2002 ، ص 29 .

(2) - المرجع نفسه ، سالم ،السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1982 ، ص 39 .

(3) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 39 ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2001 ، ص 17 .

(4) - عبد الظاهر : حسن عيسى ، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقية وقيام دولة الفولاني ، الزهراء للإعلام العربي ، د.م ، 1991 ، ص 36 ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 17 .

(المغرب – بلاد المغرب – جزيرة المغرب) هذا في الوقت الذي أطلقوا فيه لفظ ليبيا على الجزء الشرقي فقط [1] ، وأطلقوا لفظ أفريقية على الإقليم الذي تتوسطه القيروان والممتد من طرابلس حتى بجاية [2].

وعندما فتح العرب المنطقة(21 – 90هـ/ 642 – 709 م) أطلقوا اسم أفريقية في بادئ الأمر على كل بلاد المغرب العربي [3] ما عدا طرابلس وبرقة ، ثم اقتصر الاسم على كل ما يلي مصر غرباً حتى بجاية[4]، بينما أطلق العرب كلمة المغرب على تلك المساحات الواسعة التي تلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي[5].

هذه هي أسماء المنطقة التي كانت تعرف بها حتى الفتح العربي الإسلامي والملاحظ هو بقاء بعضها على مسمياتها خاصة اسم المغرب الذي ظلت تعرف به المنطقة حتى بعد عملية الفتح مع تعديل بسيط في الاسم بعد تقسيمها إلى ثلاثة أقسام إسلامية وذلك حسب قربها أو بعدها من مركز الخلافة فأضيفت كلمة (أدنى – أوسط –أقصى) إلى كلمة المغرب لتصبح التسمية هي (المغرب الأدنى– المغرب الأوسط – المغرب الأقصى) ، وكان لكل منطقة من هذه المناطق حدودها الخاصة ، وهذا ما سنوضحه فيما يلي :

1 – أفريقية * :- وتسمى (المغرب الأدنى) لأنها أقرب إلى بلاد العرب ومركز الخلافة بالحجاز والشام[6] ، وهي تمتد من طرابلس شرقاً حتى بجاية أو تاهرت غرباً [7] ، وتضم برقة ، طرابلس ، تونس ، شرق الجزائر[8] ، أما عاصمة هذا

---

(1) - عبد الباسط بدوور : مرجع سابق ، ص 29

(2) - ياقوت الحموي : شهاب الدين ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت ، 1957 ، جـ1 ، ص 228 .

(3) - ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري ، فتوح مصر والمغرب والأندلس ، نشر شارل تورى ، طبعة ليدن ، 1920 ، ص 233 .

(4) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 17 ، عنيفي : محمد الصادق ومحمد بن تاويت ، الأندلس المغربي ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1969 ، ص 18 .

(5) - الحريري : محمد عيسى ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، دار القلم ، الكويت ،1987 ، ص 11 .

* - هو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، وسميت أفريقية نسبة لأفريقيش بن الرائش . ياقوت الحموي مصدر سابق ، جـ1 ، ص 270 .

(6) - الناصري : الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، استقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، جـ1 ، ص 71 .

(7) - شبارو : عصام محمد ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 2002 ، ص 19 .

(8) - عبد الباسط بدوور : مرجع سابق ، ص 30 .

الإقليم فهي القيروان[1] زمن الأغالبة ، والمهدية زمن الفاطميين ، ثم تونس زمن الحفصيين وظلت هي العاصمة حتى اليوم[2].

2 – المغرب الأوسط :-(الجزائر) ، تمتد من تاهرت أو بجاية شرقاً حتى وادي ملوية وجبال تازة غرباً [3]، وهذا الإقليم يشمل وسط الجزائر وغربه وجزء من شرق المغرب الأقصى[4]، وعاصمته هي تاهرت[5] زمن الرستميين ، ثم تلمسان زمن بني زيان أو بني عبد الواد ، ثم الجزائر زمن بني فرغنة[6].

3 – المغرب الأقصى :- وسمي بهذا الاسم لأنه أبعد الأقسام عن دار الخلافة [7] وهو يمتد من مدينة أسفى على المحيط الأطلسي غرباً حتى وادي ملوية وجبال تازة شرقاً ، ومن الشمال البحر الرومي ومن الجنوب جبل درن [8] وهو يشمل بقية المغرب من وادي ملوية شرقاً إلى طنجة على ساحل المحيط الأطلسي[9] وعاصمة هذا القطر ترددت بين مدينتي فاس البيضاء ، ومراكش الحمراء ، ثم صارت مدينة الرباط هيَ العاصمة[10].

ونلاحظ أن هذه الأسماء أسماءٌ عربية ، وظلت تطلق على أقسام المنطقة الثلاثة إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي أي إلى الوقت الذي استولى فيه الأتراك العثمانيون على المغربين الأدنى والأوسط ، أما المغرب الأقصى فقد ظل خارج السيطرة العثمانية ، وهذه التقسيمات أيدها الاستعمار الأوربي ؛ وذلك من أجل تسهيل السيطرة على المنطقة وتمزيق وحدتها وكيانها، ثم أطلق على كل أجزاء المغرب اسماً جديداً وهو شمال أفريقيا.

هذا الاسم الذي يقتضيه منهج هذه الدراسة، ولكن من أجل فهم مضمون هذا الموضوع لا بد من التطرق إلى (الموقع) باعتباره الوعاء المكاني له حتى يتسنى لنا معرفة ما تأثر به وأثر فيه.

---

(1) - الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 71 .
(2) - شبارو : مرجع سابق ، ص 19 .
(3) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 41 .
(4) - عبد الباسط دردور : مرجع سابق ، ص 30 .
(5) - الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 71 .
(6) - شبارو : مرجع سابق ، ص 19 ، العبادي : أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، 1986 ، ص 13 .
(7) - الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 71 .
(8) - المصدر نفسه ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 41 .
(9) - عبد الباسط دردور : مرجع سابق ، ص 30 .
(10) - شبارو : مرجع سابق ، ص 19 ، العبادي : مرجع سابق ، ص 13 .

وهكذا أصبح الشمال الأفريقي رقعة جغرافية لها مقوماتها الحضارية ، وأحداثها التاريخية و بيئتها الجغرافية من موقع وتضاريس ، تلك البيئة التي وقفت عائقاً أمام الفتوحات الإسلامية في بادي الأمر ، لهذا السبب كانت عملية الفتح في هذه المنطقة هي الأطول ، حيث استمرت زهاء سبعين عاماً على عكس الفتح في مصر والشام والعراق والذي استمر عشر سنوات ، لكنها مع ذلك ساعدت على نهوض المنطقة من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وبالتالي أصبح الشمال الأفريقي رقعة جغرافية مترامية الأطراف له مقوماته البيئية الطبيعية من موقع وتضاريس ومناخ.

ب – الموقع:-

لا بد من التعرف ابتداءً على موقع شمال أفريقيا [1] الذي يقتضيه منهج هذه الدراسة ، باعتباره الوعاء المكاني له ، وذلك لنعرف ما تأثر به وما أثر فيه ، خاصة أن أغلب الدراسات التاريخية تعتمد في منهجها على فهم البيئة الجغرافية وحدودها وتضاريسها لفهم وتحليل التاريخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، وما للظواهر الجغرافية من بالغ الأثر في ذلك، ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن جغرافية المنطقة لها علاقة واضحة في التأثير على النظام الاقتصادي ومقوماته ، ولها أيضاً تأثير مباشر على طرق التجارة.

وموضوع الدراسة هو شمال أفريقيا المراد به : هو كل ما يقابل المشرق من بلاد [2] ، أي يطلق على المناطق التي تلي مصر غرباً حتى ساحل المحيط الأطلسي وتتوسطه أفريقية [3] ، وهو نصفان وكلاهما يمتد على بحر الروم* [4] ، النصف الأول شرقي ويشمل : برقة ، وأفريقية ،وتاهرت، وطنجة ،والسوس

---

[1] - الدباغ : مرجع سابق ، ص 12 .

[2] - نفس المرجع ، ص 11 .

[3] - شبارو : مرجع سابق ، ص 18 ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 40 .

* - بحر الروم : البحر الأبيض المتوسط .

[4] - الأصطخري : أبو إسحاق بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر ، مراجعة محمد شفيق ، تونس ، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1961 ، ص 33 .

وزويلة ، وما في أضعاف هذه الأقاليم وهو ما يعرف بالمغرب الأفريقي [1].

وهذه البلاد تقع في الجانب الغربي لمصر وتمتد غرباً إلى البحر المحيط *، أما حدودها الشمالية فتبدأ من البحر المتوسط وتنتهي جنوباً بالصحراء الفاصلة مع بلاد السودان [2]، غير أن هذا التحديد لم يكن تحديداً دقيقاً فالمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم يجعل حدوده من مصر إلى السوس الأقصى وجزيرة صقلية والأندلس ، وأول كورة من ناحية مصر وبرقة[3].

أما ابن حوقل فيقول : إن المغرب العربي يبدأ من مصر وبرقة إلى أفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة[4].

والاصطخري : يجعل حدوده من الشرق حد مصر بين الإسكندرية ، وبرقة من حد بحر الروم حتى يمضي على ظهر الواحات إلى برية وتنتهي إلى أرض النوبة ومن الغرب البحر المحيط ممتداً على حده ، ومن الشمال يجعل حده بحر الروم الذي يأخذ من البحر المحيط ، ويأخذ من حد مصر على ما يحاذي برقة إلى طرابلس الغرب [5].

أما الناصري : فيجعل البحر المحيط يحده غرباً ، وبلاد برقة وما خلفها إلى الإسكندرية ومصر شرقاً ، والبحر الرومي (البحر الصغير) المتفرع عن المحيط شمالاً ، والصحراء الكبرى ** جنوباً [6].

وهو بذلك يجعل برقة خارجة عن المغرب العربي ، وفي الوقت الذي أدخل ضمن نطاقه طرابلس ما دونها إلى جهة البحر المحيط [7]، وهو بذلك يكون على عكس اليعقوبي الذي أدخل بلاد برقة في أقاليم المنطقة[8].

---

(1) ـ المصدر نفسه ، العبادي : مرجع سابق ، ص 12 .

* ـ البحر المحيط : المحيط الأطلسي .

(2) ـ أحمد : فتحي إبراهيم ، النشاط التجاري في دولة المرابطين في المغرب الأقصى (448 – 541 هـ / 1056 – 1146 م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الفاتح ، طرابلس ، 2004 - 2005 ، ص 2 .

(3) ـ شمس الدين عبد الله بن محمد بن أحمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1906 ، ص 216 .

(4) ـ أبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي : صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، ص 64 .

(5) ـ المصدر السابق ، ص 33 .

** ـ الصحراء الكبرى : وهي صحراء ذات جبال ورملية تفصل بين بلاد السودان وبلاد البربر ، وتعرف بصحراء الشرق . الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 71 .

(6) ـ المصدر نفسه .

(7) ـ المصدر نفسه .

(8) ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر : كتاب البلدان ، طبعة ليدن ، 1891 ، ص ص 302 - 343 .

هذه أراء بعض المؤرخين والجغرافيين العرب القدامى في تحديد مدلول المغرب العربي الكبير ، أما أراء المؤرخين المحدثين فهذا أحمد مختار العبادي يجعل حدوده البحر المتوسط شمالاً ، والمحيط الأطلسي غرباً أما من جهة الشمال فيجعل سلسلة جبال الريف التي تمتد من المحيط غرباً إلى قرب تلمسان شرقاً ، أما من ناحية الجنوب فهناك سلسلة جبال أطلس التي تمتد من المغرب الأقصى إلى الأدنى ثم يليها جنوباً الصحراء الكبرى ، تلك الصحراء التي تفصل بلاد المغرب عن بلاد السودان [1].

أما عبد الباسط دردور وموريس لومبار فحددا المغرب العربي من شرق مدينة السلوم في غرب الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً [2].

وبعد أن تم استعراض آراء بعض المؤرخين والجغرافيين القدامى والمحدثين في تحديد مدلول المغرب العربي فترى الباحثة أن المغرب العربي الكبير مهما كانت آراء الكتّاب مختلفة في تحديده تحديداً دقيقاً وواضحاً إلا أنه عبارة عن جزيرة جبلية شاسعة تمتد من الشرق إلى الغرب ، وتبلغ مساحتها 4.000 ك . م2 ، وتقع هذه الرقعة الجغرافية الواسعة في الجانب الغربي لمصر، أي أن برقة تحيط بها من جهة الشرق وتمتد غرباً إلى المحيط الأطلسي ، وتبدأ حدودها الشمالية من البحر المتوسط ، وتنتهي جنوباً بالصحراء الفاصلة مع بلاد السودان ، وفي الجزء الغربي من الصحراء وبالتحديد في المنطقة المتاخمة للمحيط الأطلسي جنوبي مملكة المغرب الأقصى توجد صحراء شنقيط أو شنجيط(عاصمة موريتانيا قديماً) والممتدة من الصحراء الكبرى شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً.

ونظراً لكبر مساحة المنطقة فقد اتفق الجغرافيون على تقسيمها إلى ثلاثة أقسام ، فكانت أفريقية أول تلك الأقسام من جهة مصر ، أما القسم الثاني الذي يلي

---

(1) - مرجع سابق : ص 14 .

(2) - مرجع سابق : ص 29 ، الإسلام في مجده الأول من القرن (2 – 5 هـ / 8 - 11م) ترجمة وتعليق إسماعيل العربي ، دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، 1990 ، ص 87 .

أفريقية من بلاد المغرب العربي فعرف باسم المغرب الأوسط ، والقسم الأخير من المنطقة عرف بالمغرب الأقصى.

تطل الواجهة الشمالية للمنطقة على البحر المتوسط وتمتاز بساحلها الصخري الصلب مما أدى إلى وجود ظاهرة الخلجان ، خاصة في المغرب الأوسط التي ساعدت السكان على بناء الموانئ التي بدورها ربطت بلادهم مع الدول الساحلية الأخرى ولا سيما الأندلس وصقلية.

أما فيما يخص الجهة الجنوبية فقد تمثلت في الصحراء الكبرى ، والتي ضمت الكثير من العوامل التي سهلت قيام علاقات تجارية وثقافية وطيدة مع جيرانهم في جهات الدول البعيدة عن الساحل كالسودان الغربي ، إذ حفلت الصحراء بكثير من منابع المياه والواحات التي انتشرت في أنحائها فمكنت القوافل التجارية من القيام بمهامها الاقتصادية فجنى الأهالي من ورائها أرباحاً طائلة دعمت أركان دولتهم ، وأشهر هذه الواحات والقواعد الصحراوية ورجلان* ، اودغست** ،غدامس***.

ووجدت في هذه المنطقة عناصر سطحية متنوعة تمثلت في التضاريس.

جـ - التضاريس :-

تؤلف بلاد المغرب العربي الكبير بأقسامه الثلاثة السابقة الذكر وحدة جغرافية مستقلة عن باقية الأقطار الإسلامية ، فهي ترتبط بروابط طبيعية وسياسية وبشرية وثيقة ، فكانت تسكنها عناصر عدة ، أقدمهم البربر الذين يمثلون الغالبية العظمى من سكانه ، إذا اعتبروا السكان المحليين ، بالإضافة إلى العناصر الأخرى الضئيلة العدد – كما سنرى لاحقاً :-

وإن هذا الارتباط الجغرافي يرجع إلى امتداد جبال أطلس من أقصاه الغربي إلى أقصاه الشرقي في سلسلتين رئيسيتين هما :-

---

* - ورجلان : كورة بين أفريقية وبلاد الجريد ، ضاربة في البر . ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ8 ، ص 144 .

** - اودغست : تقع في الجنوب من المغرب الأقصى ، وهي أول قاعدة تقف عندها قوافل السودان كانت قبيلة لمتونة من البربر . وقامت بدور كبير في تنشيط التجارة مع السودان ، إذ كانت تتحكم في مداخله ومفتاح طرق القوافل السودانية . حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 96 ، حسن : حسن إبراهيم ، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963 ، ص ص 215 - 216 .

*** - غدامس : تقع في الجنوب وقامت بدور كبير في التمثل التجاري بين جنوب الصحراء وشمالها . التكتيك : جميلة إبحت . مملكة منغلي في عهد الأسكيا محمد الكبير (1493 - 1528 م) ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1998 ، ص 130 .

1 – سلسلة شمالية :-

وهي عبارة عن جبال الريف الممتدة بحذاء ساحل العدوة من طنجة إلى مليلة ، ثم جبال أطلس التل[1]، وتعرف هذه السلسلة بجبال أطلس الشمالية وهي تنقسم إلى مجموعتين هما :-

أ – جبال الريف أو جبال أطلس الشمالية الغربية : وهذه الجبال متوسطة الارتفاع وتمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى تلمسان شرقاً[2].

ب – جبال أطلس التل : وهي شديدة الارتفاع أي أن ارتفاعها أكثر من الأولى وهي ممتدة من المغرب الأقصى الى المغرب الأدنى [3].

2 – سلسلة جنوبية:-

وهذه السلسلة تمتد في الصحراء الداخلية من جنوب وادي سوس عبر الصحراء إلى جبال أوراس وجبال زغوان جنوبي تونس [4].

وتعرف بجبال أطلس الجنوبية أو أطلس الصحراء ، وتبدأ هذه الجبال من المغرب الأقصى وتنتهي جنوبي تونس بجبال زغوان ، وتحمل اسم جبال أطلس الكبرى ، وهي أكثر جبال أطلس ارتفاعاً [5] ، وتنحدر انحداراً شديداً نحو الصحراء ، وتتميز بأنها منابع لبعض المجاري المائية القصيرة التي تغذي عدداً من واحات الصحراء [6] ، وإلى الجنوب من هذه السلسلة توجد سلسلة جبلية أخرى صغيرة يطلق عليها اسم جبال درن[7] ، وبالإضافة إلى جبال درن تحتوي السلسلة على مجموعة جبال منها ما هو خالي من السكان مثل جبال القصور ، ومنها المأهول بالسكان وحركتهم مثل جبال العمور ، جبال أوراس ، جبال أولاد نايل ، وجبال الزاب وجبال زغوان[8].

---

(1) – السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 43 ، صالح : أنور مهدي ويوسف يحيى طعماس ، الجغرافيا العامة للقارات ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1990 ، ص 170 .

(2) – شبارو : مرجع سابق ، ص 20 .

(3) – المرجع نفسه .

(4) – السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 13 ، صالح وطعماس : مرجع سابق ، ص 170 .

(5) – السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 15 .

(6) – حسونة : محمد أحمد ، أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1960 ، ص 53 .

(7) – عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 ، جـ6 ، ص 100 ، الحميد : طاهر مظفر ، أثر المغرب والأندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، 1989 ، ص 29 .

(8) – حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 38 ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 44 .

ومن المرجح أن تكون قد ازدهرت في مثل هذه الجبال المراعي التي أمدت المنطقة بثروة رعوية أسهمت في زيادة اقتصادها ورواج تجارتها كما أسهمت هذه الجبال في حماية المنطقة سياسياً ، ومن ثم استقرارها وهذا الاستقرار تبعه استقرار اقتصادي ، فمثل هذه المناطق ارتبطت ببدو الصحراء أكثر من ارتباطها بأهل الساحل.

أما عن هضاب المنطقة فمعظمها ينحصر ما بين السلسلتين الجبليتين السابقتين ، وهذه الهضاب تقع ما بين جبال أطلس التل وأطلس الكبرى [1] ، ومنها على سبيل المثال :-

هضبة المزيتا في المغرب الأقصى ، وهضبة الشطوط في المغرب الأوسط[2] وكذلك توجد في المنطقة هضبة تبستي ، وجادو ، والهجار[3] ، وأهل هذه الهضاب جميعهم يحترفون مهنة الرعي وتربية الماشية [4] لما تتميز به من كثرة الأعشاب ووفرة مراعيها الخصبة.

والسهول في هذه المنطقة فتقع على ساحل المحيط الأطلسي وساحل العدوة والبحر المتوسط وأشهرها سهل شاوية ، ودكالة ، وعبدة بالمغرب الأقصى[5] ، أما أشهر سهول المغرب الأوسط فتكونت حول وديان تجري فيها الأنهار وهي سهل ماكتة ، وسهل زيق ، ووادي شليف[6].

وبالنسبة إلى سهول المغرب الأدنى فهي على عكس السهول السابقة حيث إنها لا تكاد تذكر وذلك بسبب ضيقها إذا تقترب بشكل كبير من جبال الساحل التونسي ، وأن أغلبها يقع حول واحات منها نفطة ، وتوزر ، وقفصة ، و سهل وادي مجردة [7]، وبالإضافة إلى نهر مجردة هناك عدة أودية في جنوب تونس

---

(1) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 16 .
(2) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 16 .
(3) - حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 38 .
(4) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 44 .
(5) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 16 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 11 .
(6) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 16 .
(7) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 45 .

أهمها جومين والتين وملح وريزيلا وجنان [1] ، والأنهار مثل نهر سبوا ، وأم الربيع ، وملوية [2]، ونهر مينه وسيرات ونهر الشلف [3].

أما عن واحات المنطقة فتوجد جنوبي إقليم طرابلس خاصة في منطقتي فزان وودان [4].

وإلى جانب هذه الأنهار هناك العيون والأودية الصغيرة ، ونتيجة للاستفادة من هذه التضاريس الجبلية والسهلية والرملية بما فيها من أنهار وعيون وآبار ومجاري جافة والواحات داخلية والمناطق الزراعية ، فانه من شأن هذه الأشياء كلها وبما فيها من مميزات تساعد على تنشيط الرحلات التجارية وقوافل الإبل بما تحمله من تجارات يعتمدون عليها فى التنقلات والاستراحة والطعام والشراب ومعرفة معالم الطريق والاستظلال فى ظلالها ، كذلك من أهم المميزات الاعتماد عليها فى ري بساتينهم ، وبالتالي أسهمت هذه الثروة المائية في قيام حياة زراعية هيأت الاستقرار لسكان المنطقة بالإضافة إلى أنها شكلت مصدراً هاماً من مصادر رخاء الدولة وازدهارها اقتصادياً.

د – المناخ :-

فقد تنوعت عناصر المناخ المتمثلة في درجات الحرارة وكميات الأمطار نتيجة لتنوع عناصر السطح من سهول ساحلية و هضاب وجبال وصحارى ، وكان لهذا التنوع أثره الكبير في تعدد أنواع النشاط الاقتصادي وبلوغه مرحلة متقدمة أدى إلى زيادة التبادل التجاري.

يرتبط مناخ المنطقة بشكل عام بمناخ البحر المتوسط والمناخ الصحراوي[5] الشبه مداري الحار الجاف صيفاً ، ويسود معظم القسم الشمالي من القارة [6] ، أما شتاؤه فبارد عمومًا وممطر أحيانا[7]، حيث إن المدن الساحلية في المنطقة ذات طقس معتدل لطيف في الشتاء ، خفيف في الصيف كثير الرطوبة ، كما تشتد

---

(1) - الغريري : عبد العباس نضيخ وآخرون ، جغرافية الوطن العربي ، دار الصفاء ، عمان ، 1999 ، ص ص 98 - 99 .
(2) - نتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص ص 7 - 8 .
(3) - محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ص 15 - 16 .
(4) - ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص 101 .
(5) - الجوهري : يسري ، جغرافية المغرب العربي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2001 ، ص 199 .
(6) - جوتث : حسين جودت ، جغرافية أوربيا الإقليمية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1996 ، ص 293 .
(7) - عبد العباس نضيخ الغريري وآخرون : مرجع سابق ، ص ص 119 - 225 .

الحرارة في السهول المرتفعة الداخلية ،ويستمر الارتفاع كلما تقدمنا نحو الصحراء مع انخفاض كمية الأمطار[1] ونتيجة لاحتواء المنطقة على مناخ متعدد يعني أن الإنتاج الزراعي متنوع ، وتنوع الإنتاج يكفل التكامل الاقتصادي والتجاري.

و كان لطبيعة المنطقة اثر حاسم في مصائرها التاريخية والاقتصادية ،كما أنها أثرت على السكان المحليين الذين حافظوا على تقاليدهم وتراثهم الاجتماعي والأدبي ، وهذه الطبيعة عكست عليهم الشدة والصلابة في مواجهة الأخطار مع المحافظة على أصولهم ، وإلى جانب ذلك أتاحت تكوين جماعات بشرية أخرى والمتمثلة في التركيبة السكانية.

(1) - محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 17 .

المبحث الثاني : التركيبة السكانية :-

تعتبر منطقة الشمال الأفريقي كغيرها من المناطق الأخرى مأهولة بكثافة سكانية تحتوي على شعوب عدة ، ودول كثيرة ، وتعاقبت عليها أجناس مختلفة ، أقدمهم السكان المحليون ، وقد انتشروا في المناطق الساحلية ومدن الدواخل ، ويؤلفون العنصر الأساسي من المجموعة السكانية ، بالإضافة إلى ذلك فقد عرفت المنطقة أجناساً عديدة – كما سنرى لاحقاً – منهم الروم ، والأفارقة ، وحل بعد الفتح الإسلامي عنصر آخر وهم العرب الذين استقروا في البلاد ،في الوقت الذي لم تبق فيه من العناصر الأخرى إلا أعداد ضئيلة.

وإذا كان الوطن الذي تمثل في التسمية والموقع والتضاريس هو الوعاء المستقر للدراسة ، فالإنسان قبائل وشعوباً هو الوعاء المحرك لها ،ومن هنا كان اهتمام البحث بوطن الدراسة واهتمامه اللاحق بإنسانها على النحو التالي:-

أ- البربر :-

هم سكان البلاد الأصليون وأقدم أمة عرفت هناك ، ينتشرون في المدن والداخل والصحراء [1] ، حيث قال عنهم العلامة ابن خلدون " جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى ملأوا البسائط والجبل من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره " [2] . والتسمية القديمة ليم أمازيغ وهي كلمة بربرية معناها: الرجل الحر الخشن . أما كلمة بربر فهي دخيلة أطلقها عليهم من غلب عليهم من الأمم كالرومان والإغريق والعرب[3] ، والسكان الأصليون لا يسمون أنفسهم بربراً فلكل قبيلة اسمها ولغتها الخاصة بها [4] فهناك اللغة الشلحة [5] لهجة الشلحوح وجبال أطلس الكبير ، ولهجة تمازرت وهي لغة سكان الأطلس المتوسط، ثم الزنائية لغة سكان جبال الريف في الشمال[6].

---

(1) - حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 54 .
(2) - المصدر السابق : العبر ،جـ 6 ، ص ص 89 - 103 - 175 .
(3) - شنارو : مرجع سابق ، ص 22 .
(4) - العبادي : مرجع سابق ، ص 15 .
(5) - حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 54 .
(6) - العبادي : مرجع سابق ، ص 15 .

والبربر يشبهون العرب في النظام الاجتماعي القبلي في الحرب والسلم ، وفي صفات الكرم والشجاعة ، و حدة المزاج وحب القتال إلا أن بعضهم يعتقد في السحر والشعوذة والتنبؤ[1].

وقد تعددت أراء الباحثين حول أصلهم ، فمنهم من ينسبهم إلى الحاميين مع الاختلاط بالأصول السامية [2]، وهناك من يرجع انحدارهم إلى الشعوب الأوربية، ومنهم من ينسبهم إلى الأصول العربية السامية ، وأنهم من أبناء قيس عيلان [3] ، ومن ولد كنعان بن حام بن نوح – عليه السلام – وجالوت ملكيم[4]، وهناك من ادعى أن أصل البربر كنعاني باعتبار أن الهجرات الكنعانية الفينيقية أهم الهجرات التي عرفتها المنطقة وأثرت تأثيراً عظيماً على السكان [5]، في حين يرى فريق أخر أنهم قدموا من فلسطين [6]على أثر الحروب التي وقعت مع أبناء عمومتهم في بلاد الشام فدفعتهم هذه الحروب للهجرة إلى المنطقة[7] ، ويذكر أن غضب جدهم الأعلى بر بن قيس من أبيه وأخوته دفعه للخروج من الحجاز إلى جهة المغرب العربي ، فقال الناس بربر أي توحش في البراري فسموا بربراً[8] وهؤلاء البربر يدينون بأديان مختلفة فالوثنية أي عبادة الكائنات والظواهر الطبيعية فقد انتشرت بين غالبيتهم ولا سيما في البوادي والجبال والصحراء ، أما اليهودية انتشرت منذ القديم في داخل البلاد بين التجار والمرابين ، بينما انتشرت المسيحية بين البربر المستقرين في المناطق والمدن الساحلية ،غير أن هذه الديانات كانت منتشرة انتشاراً سطحياً ضعيفاً بمعنى أنها منتشرة بالاسم فقط ، ولم يكن لها نفوذ ، بدليل أن العرب لم يجدوا صعوبة في اجتذاب البربر إلى الإسلام حتى صاروا من أشد الناس تعصباً له ودفاعاً عنه[9].

---

(1) ـ العبادي: مرجع سابق : ص ص 15 - 18 .
(2) المرجع نفسه، ص 15 ، حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 54 .
(3) شيلرو : مرجع سابق ، ص 22 .
(4) ـ المسعودي : ابن الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وضع حواشيه خليل بن عمران المنصور منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1987 ، جـ2 ، ص 4 ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص ص 97 - 191 - 192 ، الناصري : مصدر سابق جـ1 ، ص 64 .
(5) ـ عبد الباسط دردور : مرجع سابق ، ص 52 ، شيلرو : مرجع سابق ، ص 23 .
(6) ـ الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص62 ، حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 54 ، دبوز : محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، دار أحياء الكتب المغربية ، د.ن ، 1963 ، جـ1 ، ص23 .
(7) ـ محمد علي دبوز : مرجع سابق ، جـ 1 ، ص 23 .
(8) ـ العبادي : مرجع سابق ، ص 18 .
(9) ـ العبادي : مرجع سابق ، ص 19 ، حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص ص 56 - 57 .

اتفق علماء الأنساب نتيجة لكثرتهم وتعدد قبائلهم على تقسيمهم إلى قسمين رئيسين ، قسم منهم ينتسب إلى مادغيس بن بر الملقب بالأبتر وإليه ينتسب البربر البتر ، والقسم الآخر ينتسب إلى برنس بن بر وإليه ينتسب البرانس – كما انتظمت القبائل العربية في جذمين عظيمين : قحطان ، وعدنان [1]– وكل فرع من البربر يضم مجموعة قبائل ، فالفرع الأول البتر يتكون من أربع قبائل رئيسية جميعها تسكن البادية وتعيش حياة التنقل والترحال وتعتمد على الرعي والصيد وعلى الإغارة على المدن الحضرية [2].

وهي: اداسة ، نفوسة ، فرية أوضريسة ، بنو لوأ الأكبر[3]، وكل قبيلة منها تضم بطوناً عدة يصعب حصرها ، وغالباً ما تسكن هذه القبائل في المناطق الداخلية على جبال درن والسوس الأقصى ، وبعض المناطق الشمالية[4].

أما الفرع الثاني فيتفرع إلى سبعة قبائل : كتامة ، صنهاجة ، أوربة ، عجيسة ، مصمودة ، إزداجة ، أوريغ [5] ، والبعض يضيف إليها ثلاث قبائل هي : لمطة ، هسكورة (هسجورة) ، كزولة [6] ؛ وجميعها استوطنت معظم المدن الرئيسية للمنطقة ، لذا اعتبرت من أهل الحضر وكانوا على اتصال بالحضارة القرطاجية واللاتينية ، واعتمدوا في حياتهم على الزراعة والصناعة [7] باستثناء بعض القبائل الصنهاجية التي سكنت الصحراء [8] وبالتحديد في الجزء الفاصل مع

---

(1) - ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص ص 89 - 176 ، حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص ص 54 - 55 ، العبادي : مرجع سابق ، ص 15 .

(2) - الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 64 - 65 ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 20 ، العزيتي : صالح مصطفى ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، طبرق ، 2002 ، ص 167 ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ص 49 ، كذلك كتابه المغرب العربي الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 م ، جـ2 ، ص 135 .

(3) - ابن حزم الاندلسي : محمد علي بن سعيد ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف المصرية ، مصر ، 1971 ، ص296 ، ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص ص 178 - 179 ، الناصري : مصدر سابق ،جـ1 ، ص 65 ، حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص55 ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ص52 .

(4) - السيد عبد العزيز سالم : المغرب العربي الكبير ، جـ2 ، ص ص 135 - 136 .

(5) - ابن حزم الاندلسي : مصدر سابق ، ص 295 ، ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص177 ، الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 65 + حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 55 .

(6) - ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص 177 ، الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 63 .

(7) - ابن عبد الحليم : كتاب الأنساب ، تحقيق محمد يعلي ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي ، مدريد ، 1996 ، ص 54، ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص ص 89 - 311 ، الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 64 - 65 ، كذلك جـ2 ، ص 3 .

(8) - ابن أبي زرع : علي الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 120 .

بلاد السودان من جهة غانة [1] ، وتضم كل قبيلة منها مجموعة بطون يصعب هي الأخرى حصرها.

يُستخلص من خـــلال ما تقدم أن أصل البربر كنعاني سامي عربي ، وليس غربي أوروبي ، حيث إن الجماعات أو الأقليات التي هاجـــرت إلى المنطقة لم تستطع (باستثناء الكنعانية منهـــا) أن تأثر على السكـــان المحليين لا في العادات ولا في التقاليد ، بل ظلت على هيئة أقليات ، فضلاً عن وجود بعض الأحرف في الأبجدية البربرية وهي أحرف عربية سامية مثل حرف الحاء ، العين ، الضـــاد ، بالإضـــافـــة إلى أن العرب عندما حلوا بالمنطقة لم يجدوا البيئة الثقافية غريبة عنهم أو صعبة الفهم عليهم ، بل وجدوا أنفسهم في محيط لا يختلف عن المحـــيط الذي جاءوا منه ، وفي جو ليس بغريب عنهم وعادات وتقاليـــد تماثـــل عـــاداتهم وتقاليدهم ، على الرغم من مقاومة السكان المحليين للعرب الفاتحين سنين طويلة، إذ استمرت عملية الفتح للمنطقة ما يقارب من سبعين سنة (70 سنة) ابتداءً من سنة 21 هـ/ 641 م إلى 86 هـ / 705 م – على عكس فتح مصر والشام وبلاد فارس والعراق الذي فتح في فترة لا تزيد على عشر سنوات – وربما يعود ذلـك إلى عدم فهم السكان المحليين لمقصد العرب من الفتح وعـــدم معـــرفتهم الجيـــدة لمبادئ الرسالة التي جاء بها الفاتحون ، وكان في اعتقادهم أن العرب جاءوا مـــن أجل السلب والنهب والاستيلاء على المدن والقرى واحتلالها ، ولا سيما أن البلاد كانت مستعمرة رومية بيزنطية وأنهم لم يكتفوا بالمقاومة بل دفعو السكان المحليين لقتال العرب ،وربما أجبروهم على المقاومة التي استمرت طويلاً ، إلـــى أن تـــم الاتصال بين الطرفين نتيجة الصلح الذي قامت به قبيلة لواتة البربرية فـــي برقـــة وذلك عقب تأكدهم من هدف الفاتحين وأنه أسمى مما تقدم ، لذا تجاوبوا مع الفـــتح بشكل لا نظير له ، وشاركوا فيه حيث برز منهم قادة عظمـــاء أمثال طارق بـــن زياد (50 – 102 هـــ / 670 – 720 م) فاتح الأندلس، والقائد زواوة بن نعـــيم البربري.

---

[1] ـ البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، تحقيق دي سلان ، المطبعة الحكومية ، الجزائر، 1911 ، ص 164 .

وهكذا لم تمر فترة وجيزة حتى أصبح سكان المنطقة مزيجاً من الجنس المحلي والعربي ، حيث لا يمكن التفريق بينهما، وإنما قبائل عربية تطبعت بالطابع المحلي ، ومحلية تعربت ، غير أنه لم يقتصر السكان على وجود القبائل المحلية والعربية ، بل شهدت البلاد وجود أجناس أخرى لا تقل أهمية عن الأهالي سواء في النواحي الإدارية أو الاقتصادية أو العسكرية وما دفعنا بصدد التحدث عن السكان لا بد من إعطاء نبذة بسيطة عنه كالأتي :-

ب – العرب الفاتحون :-

دخل العرب المنطقة قبل الإسلام للتجارة أو الهجرة ، لكن أهم توافد لهم عليها كان أيام الفتح الإسلامي حيث حملوا رايته وقضوا على حكم الرومان ، فدخلوها من شمالها الشرقي فاتحين في القرن (1هـ / 7م) ناشرين الإسلام مقيمين صرح حضارته ، واختلطوا بالبربر وتناسلوا وتصاهروا وامتزجت دماؤهم وأنسابهم [1] مع بعضهم بعضاً ، و بهذه الطريقة استقر العرب في المنطقة بشكل واسع ، وقد جاءوا إليها من عدة مناطق عربية أبرزها شبه الجزيرة العربية ، والمشرق الإسلامي (مصر والعراق)[2] ، وهم إما جماعات عسكرية أسهمت في حركة الجهاد ، أو جماعة من العلماء والفقهاء والأئمة الذين نذروا أنفسهم لنشر الدين الإسلامي بالمنطقة وتعريف السكان المحليين بأمور دينهم [3] كما أن المنطقة كانت ملاذاً للفارين والمعارضين لأنظمة الحكم في المشرق العربي خاصة الشاميين الذين اشتركوا في الحملات العسكرية[4]،وهؤلاء جميعاً وجدوا في المنطقة وسائل عدة من تربة خصبة ووفرة الخيرات ، وعقول واعية جذبتهم إليها، وبالتالي سيلت في فصل البلاد عن حكم المشرق وظهور بعض الدول المستقلة[5] تمثلت في الأدارسة والأغالبة والرستميين وبني مدرار ، وهذه الدويلات غلب عليها الطابع العربي الذي تمثل في بعض القبائل أهمها : قريش ، بني ربيعة ،

---

(1) - حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 52 ، محمد الصادق عفيفي ومحمد بن تاريت : مرجع سابق ، ص 16 .

(2) - ابن عذاري : أبو العباس أحمد ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، تحقيق ليفي بروفنسال و. ج . س . كولان ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، جـ1 ، ص 123 .

(3) - حسن : حسن علي ، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1980 ، ص ص 306 - 307 ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ص 18- 19 .

(4) - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ2 ، ص ص 415 - 416 .

(5) - ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ص 19 - 20 .

مضر [1] وقيس [2] ، وبعض القبائل القحطانية المتمثلة في قبيلة بلي، وغنث ، وميدعان ، وصدف المعروفة بميولها العلوي ، ولخم ،وجذام إحدى بطون عدي القحطانية[3]كذلك قبيلتا الأوس والخزرج ،وجهينة إحدى بطون قضاعة القحطانية التي هاجرت في القرن (2هـ / 8م) إلى المنطقة ، وأصبح لها دعوة منفردة في الديوان عند إعادة التدوين سنة (102هـ / 720م)[4]، كما تولت بعض المراكز الهامة في البلاد فأصبحت ذات مكانة مرموقة ،وما جاء القرن (3هـ / 9 م) حتى صارت من أقوى القبائل في المنطقة [5] وإلى جانب هؤلاء وجدت قبائل أخرى منها القبائل العدنانية وأخلاط من أهل خراسان ، والبصرة ، والكوفة ، وأهل اليمن [6] . والجدير بالذكر أن العنصر العربي كثر وجوده في المدن الشمالية بينما أمتين السواد الأعظم منهم الأعمال العسكرية [7]، وأن أكثر العرب كانوا من القبائل القحطانية ، أما القبائل الأخرى فهي قليلة العدد.

جـ - العجم (الفرس) :-

وكان الفرس من ضمن التركيبة السكانية وقد جاءوا إلى البلاد مع الجيوش الإسلامية [8] في عصر الخلفاء العباسيين [9] من أجل إخماد ثورات البربر[10] التي تقوم من وقت لأخر ضد الخلافة ، وربما كان الهدف من جلبهم القضاء على الخلافة الأموية التي تأسست نتيجة لفرار عبد الرحمن الداخل ، (الأول) إلى الأندلس سنة 138هـ / 755 م وتكوين دولة فيها ، إضافة إلى أن الدولة العباسية التي قامت في المشرق الإسلامي عام 132هـ / 749 م أردت بث سياستها في المغرب الإسلامي أيضاً ، لذا فإن العباسيين استعانوا بالفرس الذين وفدوا معهم من

---

(1) - اليعقوبي : مصدر سابق ، ص 348 .
(2) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، 123 .
(3) - اليعقوبي : مصدر سابق ، ص ص 342 - 343 .
(4) - سلام : حورية عبده عبد المجيد ، علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الخلافة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1977 ، ص 96 .
(5) - المزيني : مرجع سابق ، ص 184 .
(6) - اليعقوبي : مصدر سابق ، ص ص 342 - 345 .
(7) - سلطان : عبلة محمد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن جنوب المغرب (عصر المرابطين و الموحدين) رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1992 ، ص 135 .
(8) - محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 19 .
(9) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص 329
(10) - محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 19 .

بلاد المشرق ، خاصة من خراسان ، وبلاد فارس مع ولاة بني العباس[1] وكونوا القسم الأعظم من الجند وقد عاشوا عيشة حسنة وكان مقامهم في القلاع البيزنطية القديمة[2] مما ميزهم عن غيرهم من الأجناس الأخرى ، وأطلق عليهم اسم العجم ،ولعل هذا التمييز جعل لهم نصيباً كبيراً في أحداث الدولة السياسية [3].

د - أهل الذمة :-

مثلما عرفت المنطقة أجناساً تدين بالإسلام ، عرفت أيضاً أجناساً أخرى تدين بأديان سماوية غير الإسلام ، وظلوا على ديانتهم حتى بعد انتشار الإسلام في المنطقة ويطلق عليهم أهل الذمة ، وقد استقر أكثرهم في المدن الساحلية وبعض الدواخل في حين لم يهتموا بالضواحي والأرياف والقرى [4] ، وهؤلاء إما أن يكونوا مسيحيين أو يهود ، غير أن نسبة اليهود كانت تفوق نسبة المسيحيين بأضعاف مضاعفة ، خاصة في أغمات وسجلماسة والقيروان وتونس [5] وفاس التي كانت من أكثر البلاد يهوداً [6] ، وعرف عنهم ممارستهم للتجارة والأعمال المتعلقة بها مثل مهنة الصيارفة – كما سنرى لاحقاً – وقد برعوا في هذا الجانب وجنوا أموالاً طائلة [7].

أما عن موطنهم الأصلي فهم إما أن جاءوا من فلسطين ، أو ربما من شبه الجزيرة العربية التي عرفت اليهود منذ العصر الجاهلي ، وكانوا معارضين للدعوة الإسلامية وقد هاجروا إلى المنطقة مع الهجرات التي وفدت عليها منذ القرن (اهـ / 7م) وذلك أثر سماعهم عن المعيشة الكريمة هناك عكس أوطانهم، فمثلاً يهود فلسطين لم يعاملوا معاملة حسنة بل هدم معبدهم وطردوا منها لأعمالهم الوحشية [8] ، كذلك الحال ليهود روما فقد عوملوا أسوأ معاملة ، وتعتبر نهاية القرن (اهـ / 7م) فترة اضطرابات حاسمة لهم خاصة بعد المشاكل التي أثارها جوناثان الذي اعتقل وأعدم فخاف البقية على حياتهم فهاجروا إلى مناطق عدة منها منطقة

---

(1) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص ص 329 - 331 .
(2) - المرجع نفسه : ص 331 .
(3) - محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 19 ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص 331 .
(4) - موسى : عزالدين أحمد ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن (6هـ / 12 م) دار الشروق ، بيروت ، 1983 ، ص 104 .
(5) - البكري : مصدر سابق ، ص 152 ، عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص 106 .
(6) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص 402 .
(7) - عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص ص 109 - 110 .
(8) - المزيني : مرجع سابق ، ص 194 .

الشمال الأفريقي إذ تمتعوا بمكانة عالية ، وأصبح لهم دور كبير في مجال التجارة [1] بل بمثابة المحرك الأساسي لها بين الشرق والغرب.

وربما قد جذبهم إلى المنطقة غناها بالذهب الذي كان يجلب من غرب أفريقيا ، بالإضافة إلى اليهود الذين أتوا من أسبانيا[2] ، فضلاً عن جاليات أخرى قبطية وعبرية ونصرانية[3] ، و كان أغلبها من الأندلس وتم إدراجهم ضمن الجيوش الإسلامية بمقابل مادي ولهذا شاركوا في العديد من الحروب[4] ،كما امتهنوا إلى جانب العمل العسكري أنشطة أخرى خاصة في مجال التجارة والزراعة [5].

هـ - الروم :-

كانوا يحكمون البلاد قبل عملية الفتح الإسلامي ، وظلت منهم عناصر مقيمة بعد الفتح [6] ، تمركزت في القيروان وسوسة ، ولهم بعض الأزقة والأحياء عرفت باسمهم ، فمثلاً هناك زقاق الروم في سوسة [7].

يعود أصلهم إلى إيطاليا أو فرنسا أومن جهات شتى من شمال البحر المتوسط ، وهذا يدل على أنهم ليسوا من بيزنطة وإنما من الفرنجة[8] ، ولا يعني هذا أن العناصر البيزنطية لم تنزل المنطقة بل على العكس فقد وجدت عناصر بيزنطية رومية يونانية في سواحل ليبيا وتونس[9] ، وهذه العناصر لم تفارق البلاد بل اختارت البقاء تحت ذمة عرب أفريقية.

واشتغلت هذه العناصر في نواح عدة ، فمنها من اقتصر عملها على فلاحة الأرض وزراعتها واستثمارها ، وبعضها اشتغل في البيع والشراء والمتاجرة ، في حين انصرف البعض إلى السياسية والحكم والإدارة ، أما متوسطي الحال فقد

---

(1) - المزيني : مرجع سابق ، ص 193 .
(2) - المرجع نفسه : ص 194 .
(3) - البكري : مصدر سابق ، ص ص 5 - 6 - 7 - 14 - 15 .
(4) - عبلة سلطان : مرجع سابق ، ص 142 .
(5) - عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص 109 .
(6) - المزيني : مرجع سابق ، ص 180 .
(7) - عبد الوهاب : حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، 1964 ، جـ2 ، ص 52 .
(8) - ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص 214 .
(9) - المزيني : مرجع سابق ، ص 181 .

رضوا بمهنة الحراسة الليلية في الأماكن الحكومية والأربطة والموانئ والمواخل[1].

ومن ذلك نلاحظ أنهم انقسموا إلى طبقتين ، طبقة الأغنياء الذين عاشوا عيشة الترف والبذخ ، وطبقة الفقراء الذين رضوا بالقليل واشتغلوا في مصالح الأغنياء من أجل العيش.

ونتيجة لأن الروم يدينون بالمسيحية لذا عوملوا معاملة أهل الذمة [2] ، ومثلوا أقلية محدودة العدد ، وقد تم إجبارهم على ارتداء زي معين يعرفون به مع وضع الزنانير المغايرة اللون فوق الملابس وفي حالة عدم الارتداء يتعرضون لمحاسبة المحتسب الذي يوقع العقاب المناسب لهم إما أن يكون بالجلد عشرين سوطاً أو الحبس[3].

و - الأفارقة : -

يعود أصلهم إلى بقايا شعب قرطاجنة ، وبعض القبائل السودانية ومن مدن جنوب الصحراء[4] وقد وجدوا بأعداد كثيرة ، ولا سيما في مدن الجنوب[5] فكان في أغمات حوالي ثلاثة آلاف شخص من أهل السودان[6] ، وبعض الزنوج[7]، وهذا راجع إلى رخص أثمانهم في أسواق الرقيق ، و لحاجتهم في الأعمال اليومية [8] ، كما يعود أصل بعضهم إلى أخلاط من المستعمرين اللاتين والوطنيين الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية[9] ، وقد استوطن هؤلاء جميعاً الأجزاء الجنوبية لتونس والجزائر ، ونظراً لإقامتهم الطويلة فقد أصبحوا من أصحاب المنطقة بشكل نسبي ، وأن الغالبية العظمى كانت تشتغل خدماً للروم

---

(1) - المزيني : مرجع سابق ، ص 180 .
(2) - اليعقوبي : مصدر سابق ، ص 348 ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ2 ، ص ص 50 - 51 .
(3) - لقبال : موسى ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، د . ر ، الجزائر ، 1971 ، ص 78 .
(4) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 73 ، البكري : مصدر سابق ، ص 181 ، مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، د . ر ، الاسكندرية ، 1958 ، ص ص 145-146 .
(5) - عبلة سلطان : مرجع سابق ، ص 140 .
(6) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ4، ص 84 .
(7) - حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 58
(8) - عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص ص 119 ، 120 ، عبلة سلطان : مرجع سابق ، ص 139 + حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 38
(9) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص 47 .

في مزارعهم وتجارتهم ، ويدينون بالطاعة والولاء لهم ، إلى جانب العناصر الرومية الفقيرة[1].

ونتيجة لعدم امتلاكهم وعدم سيطرتهم على المراكز الهامة ، وبقائهم على هذا الحال جعلهم يمثلون الطبقة العامة في البلاد لذا نجدهم دائمي التنقل والترحال[2] بحثاً عن العمل حاملين لغتهم التي يتكلمون بها بالرغم من دخول بعضهم الإسلام .

أما بالنسبة لأماكن تواجدهم فقد انتشروا مع الروم على امتداد الساحل من الشمال إلى الجنوب ، بينما تقل أعدادهم في الصحراء ، في حين استقر السكان المحليون من الشرق إلى الغرب باستثناء قبائل البرانس التي سكنت المناطق الساحلية [3].

ز - عناصر أخرى :-

لم تكن العناصر السابقة الذكر هي الوحيدة التي قطنت البلاد ، فبالإضافة إليها وجدت أجناس أخرى سكنت المنطقة لوقت قصير ، لهذا مثلت أقل كثافة لأن إقامتها غير مستقرة ، ونقصد بهذه العناصر التجار الذين يأتون في أوقات المواسم والمناسبات الدينية لغرض الاتجار ببضائعهم وسلعهم ، وهؤلاء تمثلوا في التجار المصريين[4] ، والأسيويين*[5] ، والأندلسيين[6] ، كما سكن المنطقة بعض أهل العراق (تجار البصرة والكوفة والبغداديون)[7] ، وتجار الفرس وسوريا[8].

---

[1] - ابن عبد الحكم : مصدر سابق ،ص 116 ، والذي يقول أن الافارقة كانوا خدماً للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم

[2] - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 73 ، البكري : مصدر سابق ، ص 183 ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، ج2 ، ص 52 .

[3] - المزيني : مرجع سابق ، ص 183 .

[4] - لمعا مودي : حياة عبود محمد ، أسواق أفريقية في العصر الفاطمي (297 - 443هـ/ 909 - 1051 م) ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1996 ، ص 130 .

* - الأسيويين : هم الذين جاءوا من سمرقند ، نيسابور ، البصرة ، و واسط .

[5] - المزيني : مرجع سابق ، ص 231 .

[6] - عبد الحميد سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1979 ، ج2 ، ص 217 ،عبد الرحيم عبد العزيز مهيدي عمر ، المشاركات أهميتها ودورها كوثائق تاريخية حضارية في المغرب العربي (1 - 6هـ/ 7 - 12 م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الفاتح طرابلس ، 2004 - 2005 ، ص 54 .

[7] - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 65 ، الجنحاني : الحبيب ، المغرب الإسلامي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين (3- 4هـ/ 9 - 10 م) الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1977 ، ص 113 .

[8] - المزيني : مرجع سابق ، ص 231 .

وكان يطيب لبعضهم المقام بعد أن يرى خيرات البلاد وثرواتها خاصة وإن كانت حالته المادية جيدة ، فعلى سبيل المثال : التاجر الأندلسي أبو جعفر خيرون الذي جاء من الأندلس وعند وصوله راق له العيش ، وكان من التجار الأثرياء فأقام في المنطقة وبالتحديد في القيروان وامتلك العديد من الفنادق وبنى المسجد الشريف المسمى باسمه[1].

هذه إذن التركيبة السكانية للمنطقة ، ومما تجدر الإشارة إليه أن السكان المحليين انتشروا بشكل عام في أنحاء المنطقة ، على عكس العناصر الأخرى التي انتشرت في أنحاء معينة منها.

حـ - العادات والتقاليد الاجتماعية :-

تختلف العادات والتقاليد من شعب لأخر ومن جيل إلى جيل ، ومن مكان لأخر ، ومن زمان إلى لأخر ، وكانت عادات العرب بصفة عامة تتشابه مع بعضها بعضاً ، وتكاد تتشابه مع عادات وتقاليد البربر . فالعرب عند فتحهم للشمال الأفريقي واستقرارهم فيه وجدوا أنفسهم في بيئة قريبة من بيئتهم ، فمثلاً من حيث انقسامهم إلى قبائل وبطون ، فضلاً عن الشجاعة ، وحدة الخلق ، وحب القتال والخشونة ، لذلك حين انتشر الإسلام انتشرت معه اللغة والعادات العربية في وقت ليس بالطويل ، وبطريقة سهلة ، ولاقت قبولاً وإعجاباً من السكان المحليين ، لدرجة أن بعض القبائل البربرية رجعت بأصولها إلى الأصول العربية العريقة"[2]، وليس إلى الأصول الأوروبية . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاختلاف الموجود بين العرب والغرب الأوربي ، وبين البربر أنفسهم والغرب في العادات والتقاليد.

إن العائلة هي نواة المجتمع وتلتف حولها الأسرة ، وعلى رأسها الأب وهو بمثابة الرئيس الأول ، وصاحب السلطة المطلقة على الأبناء والزوجة وإليه ترجع الأمور[3].

---

[1] - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 169 .

[2] - المثل على ذلك : - قبيلة لواتة البربرية التي نسبت إلى قبيلة قيس عيلان ولي نحم ، كما نسبت هوارة إلى أصول يمنية . و صنهاجة إلى عرب حمير . الناصري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 65 .

[3] - الناصري : المصدر نفسه ، جـ1 ، ص 65 ، الزيلي : مرجع سابق ، ص 176 .

[4] - محمد علي دبوز : مرجع سابق ، جـ1 ، ص 75 .

والعائلة في فترة الدراسة غير العائلة في الوقت الراهن ، فهي تدل على مجموعة أسر تتكون منها العشيرة ، ويربطها جد واحد وحتى الذين ينضمون إليها سواء بالزواج أم المصاهرة أم بالتبني ، يخضعون لنفس السلطة وهي سلطة الرئيس الذي عند وفاته لا تنتقل السلطة إلى أكبر أولاده وإنما إلى الرجل الأكبر في العائلة ومن مجموع العوائل تتكون القبيلة ، ومن مجموع القبائل يتكون المجتمع[1] والذي بدوره ينقسم إلى قسمين: البدو،والحضر ، ونلاحظ وجود هذه العادة في المجتمعين(البربري – العربي)،فالبدو يعيشون على التنقل والترحال وتكون لديهم قطعان كثيرة من الماشية يعيشون عليها إلى جانب الصيد ، وإن ضاقت بهم الحياة فلا يمانعون من الإغارة على السيول والطرق التجارية.

أما مساكنهم فكانت عبارة عن خيام من الشعر والوبر وهي ما تعرف باسم البيت، وهذه الخيام ينتقلون بها من مكان لأخر مع مواشيهم بحثاً عن الرزق[2].

أما بالنسبة للحضر فمنازلهم تتباين مع منازل البدو ، فهي مبنية من الحجارة والطين* ، و تتكون القرية من عدة بيوت ، ومن مجموعها تتكون المدينة فهم إذاً سكان المدن [3] والسيول الخصبة واليضاب المزروعة[4]، وطعامهم المفضل الحلزون** [5] وأكل الكسكسي ، والعسل[6] واللحم ويبدو أنهم يتناولونه كثيراً، فالبكري يذكر أنه في بعض أيام عاشوراء ذبح في القيروان وحدها تسعمائة رأس من البقر غير ما ذبح من أنواع الحيوانات الأخرى[7] ، فضلاً عن أكلهم للحلويات[8] ، والتمر، ويشربون اللبن مع الخبز المصنوع من دقيق الحبوب.

وأهم ما يميز أهل البادية اعتمادهم على أنفسهم في المأكل والمشرب ، وفي اللباس وصناعة البيوت ، فيزرعون الأرض ويربون الماشية لغرض الغذاء ، ويشربون من مياه العيون والوديان والترع ،فبالإضافة إلى صنعهم المواجل

---

(1) - محمد علي دبوز: مرجع سابق ، جـ1 ، ص 75 ، المزيني : مرجع سابق ، ص 177 .
(2) - المزيني : مرجع سابق ، ص 178 .
* - وفي المناطق التي تسقط فيها الثلوج خاصة الجبال وتتجمع فيها الامطار بغزارة فيكون السقف من الطين أو الطوب على عكس المناطق الجافة والبعيدة عن الجبال ولا سيما الحضرية فإن السقف يكون من الأشجار وفروع النخيل .
(3) - ابن خلدون : العبر ، جـ6 ، ص 175 .
(4) - سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص 49 .
** - الحلزون : ويسمى أيضا البيوش .
(5) - المزيني : مرجع سابق ، ص 178 .
(6) - زيتون : محمد محمد ، القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية ، دار المنار ، القاهرة ، 1988 ، ص ص 175- 176.
(7) - مصدر سابق : ص 26 .
(8) - زيتون : مرجع سابق ، ص 176 .

لتخزين المياه والاستفادة منها في أوقات الجفاف فإنهم استفادوا من الماشية في صناعة البيوت والملابس التي كان أغلبها يصنع من الصوف والوبر ، فكانوا يلبسون الأكسية والثياب الصوفية في فصل الشتاء وكذلك القشابة* لأنها تستر الجسم حتى الرأس وتحميه من البرد القارس ، مع لبس القميص أو الجبة والسروال تحتها ، والسروال نوعان : الأول ينتهي إلى أسفل الركبة قليلاً ، أما النوع الأخر فيصل إلى الكعبين وهو الشائع في الوقت الحاضر[1] ، وهناك الرداء الصوفي ، والقلنسوة الصوفية وهي عبارة عن غطاء يضع على الرأس ، عالية قليلاً ، مدورة وفي العادة يلبسون فوقها لحافاً صغيراً من الصوف ، رقيقاً ينسج لذلك الغرض ، أو حائك من النوع الرقيق، وأحياناً يضعون عمامة ويفضل اللون الأسود وتتخذ من خيوط وبر الإبل[2].

أما حرفتهم المعتادة : فهي الرعي والصيد بالنسبة للبدو، بينما الحضر أمتهن بعضهم الزراعة أو الصناعة، في حين انصرف البعض للتجارة .

- فبالنسبة للرعي : نجد أن الأسرة تملك قطعاناً كثيرة من الماشية ، وأغلبها من الماعز والضأن ، وهناك من أمتلك الإبل ، أما غير ذلك فوجودها قليل نسبي .
- أما الزراعة : فقد أمتلك الأهالي أراضي شاسعة من أجل زراعتها وفلاحتها ، فهم لا يزرعون القليل الذي يسد حاجاتهم ، بل يزرعون مساحة واسعة بنوع واحد من المحصول ، وإذا وجد فراغ زرعوه بنوع أخر من المحصول ، والغرض من ذلك تخزينه والاستفادة منه في العام التالي – لأنهم يزرعون الأرض تحسباً لشح الأمطار ، التي يتذبذب سقوطها من لأخر– أو لغرض الاتجار ، وينطبق ذلك على الحبوب، أما الأشجار المثمرة فيزرعونها لغرض سد الحاجة والاتجار بها.

وإلى جانب الحرفتين السابقتين هناك من أمتهن الصناعة التي تقوم على المنتجات البسيطة التي ينتجها الأهالي ، فضلاً عن صناعة بعض الآلات

---

* - القشابة : هي عبارة عن لباس من الصوف مثقلة من الامام وبها أكمام وتحتوي من الخلف على لباس للرأس .

(1) - محمد علي دبوز : مرجع سابق ، جـ1 ، ص ص 42 - 43 ، المزيني : مرجع سابق ، ص 179 .

(2) - المزيني : مرجع سابق ، ص 179 .

الحديدية أو الأوانى الفخارية والخزفية ، أما القسم الأخر من السكان فقد انخرط في عالم التجارة – وهذا ما سوف توضحه الدراسة لاحقاً –.

ومن ضمن عاداتهم أيضاً ولا سيما عند بعض البربر الاعتقاد في الأرواح الشريرة ، أي السحر والشعوذة ، وهذا راجع إلى أنهم حديثو العهد بالإسلام ، لذا عندما تصيبهم مصيبة يلجأون إلى العرافة لرفع الشر في مقابل طقوس يعطونها ليؤلاء العرافين ، والملاحظ أن هذه الطقوس لا تزال مستمرة في بعض مناطق الشمال الأفريقي حتى يومنا هذا.

ولم تقتصر العادات على السابق فحسب ، بل وجدت إلى جانبها عادات أخر تمثلت في نصرة المظلوم ، والكرم والشجاعة وحب القتال والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته ونشر دينه ، كذلك معاونة الجار والعطف على المحتاج ... إلى غيرها من شيم سمحة تزعزعوا وربوا عليها.

وإلى جانب هذه الخصال الحميدة لا نتعجب من وجود خصال نقيضة لها في ذات المجتمع ، فأينما وجد الخير وجد الشر ، والمميزات والعيوب في كل إنسان وفي كل مكان وزمان ، فمن بين العادات السيئة شرب الخمر ، ولعب القمار ، النهب والسطو على حقوق الغير ، وهذه والعادات تم تحريمها بدخول الإسلام المنطقة.

إن الإنتاج المحلي في المنطقة وتنوعه من رعوي، وزراعي ،وصناعي، زائد عن الحاجة ، بالإضافة إلى ما كان يجلب من سلع مختلفة من الخارج والتي إما أن تباع أو يعاد تصديرها ، ويفهم من ذلك أن تصريف السلع التجارية في بعض الأحيان يتطلب تحريكها من موضع لأخر في سبيل إيجاد أماكن مناسبة لتسويقها في الداخل أو الخارج ، وحركة البضائع تتم عبر مسالك وطرق معروفة تسير من خلالها القوافل التجارية البرية منها والبحرية، إلى جانب بعض المسالك النهرية ، وجميعها يستفاد منها في بعض الحالات للربط بين بعض المناطق وإحداث توازن في عملية البيع والشراء ، وتصريف السلع والبضائع بالشكل المطلوب مما ساعد على تحريك البضائع داخل الأسواق ونقل الفائض للخارج.

الفصل الثاني : الطرق والمراكز التجارية

المبحث الأول : الطرق التجارية

المبحث الثاني : المراكز التجارية

المبحث الأول : الطرق التجارية :-

إن تصريف السلع والبضائع التجارية يتطلب تحريكها من موضع لآخر وإيجاد أماكن مناسبة لتسويقها في الداخل أو الخارج، وهذه العملية تتم عبر مسالك وطرق خصصت لذات الغرض.

والطرق قد تكون داخلية بين مدن المنطقة أو بين مدن القطر الواحد فيها، وهناك طرق أخرى خارجية تربط المنطقة مع غيرها، كما أن الطرق قد تكون برية وهي تخص القوافل ، أو نهرية أو بحرية وتكون حينئذ خاصة بالقوارب والسفن، وأهم هذه الطرق:-

أولاً :- الطرق البرية الداخلية:-

فالطرق الداخلية لها دور مهم في عملية التواصل والاتصال بين مدن المنطقة وأسواقها، حيث استخدم التجار هذه الطرق لنقل وتحريك البضائع فيما بينهم ويمكن تقسيم الطرق الداخلية إلى:-

1 – تونس:-

عرفت تونس بعض الطرق الداخلية التي تمر عبرها القوافل التجارية المحملة بمختلف البضائع ، وهي مرتبطة بشبكة واسعة من الطرق والتي سهلت عملية نقل السلع التجارية من مدينة إلى أخرى وأهمها :-

أ – الطريق من طرابلس إلى صبرة ومنها إلى بئر الحمالين تارة ، وإلى قصر الدرق تارة أخرى ، ثم تسير القوافل إلى بارجمت والقوارة ، وفي النهاية تصل إلى مدينة قابس[1].

ب – الطريق من قابس إلى صفاقس ، وهي لا تسير مباشرة إلى صفاقس بل لابد للقوافل أن تمر بالعديد من المحطات ، فهي تبدأ من قابس إلى عين الزيتونة إلى تاروت ومنها إلى غايف وأخيراً إلى صفاقس[2].

جـ – الطريق التي تتجه من صفاقس مباشرة إلى القيروان[3].

د – الطريق من القيروان إلى تونس[4].

---

(1) – المقدسي : مصدر سابق ، ص ص 245 - 246 .
(2) – البكري : مصدر سابق ، ص 19 .
(3) – المقدسي : مصدر سابق ، ص 246 .
(4) – المصدر نفسه .

هـ – الطريق من القيروان إلى قفصه [1].

و – الطريق من القيروان إلى بونة [2].

ز – الطريق من القيروان إلى سوسة [3].

حـ – الطريق من القيروان إلى قابس [4].

2 – ليبيا :-

لقد ارتبطت المسالك الشرقية بشبكة طرق داخلية نشطت فيها حركة القوافل وشيدت نمواً تجارياً واسعاً ، منها :-

أ – الطريق من نفوسة إلى زويلة : وتبدأ من جادو ثم تيرى ثم تامرما ثم مدينة زويلة وتتميز هذه الطريق بقصرها حيث إن المسافة بين قرية وأخرى لا تزيد على مسيرة أربعة أيام ، وتوجد فيها عدد من الواحات التي تزود القوافل بما تحتاج إليه من ماء وطعام[5].

ب – الطريق من طرابلس إلى ودان : وتبدأ من منطقة هوارة ثم قصر ابن ميمون ومنها تصل إلى ودان ، وتتميز بقصرها أيضاً فالمسافة بين منطقة وأخرى لا تزيد على مسيرة ثلاثة أيام[6].

جـ – الطريق من زويلة أوجلة : وتقطعها القوافل في مدة لا تقل عن أربعة وعشرين يوماً بعد مرورها بمدن تمسي ، وزلة ، واجدابيا ، وقصر زيدان ، وكلها مدن عامرة بالسكان والمساجد ، وتكثر فيها أشجار النخيل وعيون المياه[7].

د – الطريق من زويلة إلى تاجرفت : والمسافة بينهما أربعة عشر يوماً. فهي تبدأ من زويلة ثم تصل إلى سبها ، ومنها إلى مدينة هز مثل ذلك ثم إلى ودان ثم تسير إلى مدينة تاجرفت[8].

---

(1) – البكري : مصدر سابق ، ص 54 .
(2) – المصدر نفسه .
(3) – المصدر نفسه : ص 34 .
(4) – المقدسي : مصدر سابق ، ص 246 .
* – تقدر مسيرة اليوم الواحد بـ (38,15 كم) . عبلة سلطان : مرجع سابق ، ص 132 .
(5) – البكري : مصدر سابق ، ص 10 ، الصباغي : صالح الصادق ، مسلكة كاغم ، دورها وعلاقتها بقطاع الشمال الأفريقي من القرن (3 - 10 هـ / 9 - 16 م) كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1988 - 1989 ، ص ص 141 - 142 .
(6) – المصدر نفسه : ص 12 .
(7) – المصدر نفسه : ص ص 11 - 12 ، المزيني : مرجع سابق ، ص 217 ، السنوسي : مرجع سابق ، ص 142 .
(8) – المصدر نفسه : ص 11 .

وإلى جانب ذلك هناك طريق زويلة سبها إلى ودان ، ثم طريق بني وليد – سوكنه وعلى خط المواصلات المار بزويلة [1] ، حيث تبدأ هذه الطريق من جنوب طرابلس قاطعة القوافل رمال جفارة وسفوح جبال ترهونه إلى بني وليد ثم أبي نجيم ومنه إلى منطقة الجفرة حيث مدن ودان، وهون، وسوكنه ثم تقطع الجبال السوداء وتصل إلى واحات الزيغن ، وسمنو ، وتمنهيت ، ثم إلى سبها ملتقى طرق القوافل الواردة من مصر عن طريق جالو وأوجله ، وزلة والقاصدة السودان الغربي فتواصل سيرها حتى تصل إلى زويلة[2].

وأيضاً هناك طريق غات التجاري والتي تربط طرابلس بغدامس إلى غات وقد لعب دوراً مهماً في ربط العلاقات الليبية مع بلاد السودان ، وعن طريقها عبرت بعض الهجرات العربية من شمال أفريقيا إلى جنوبها[3].

ونستنتج من ذلك أن ليبيا تحتوي على العديد من طرق التجارة الهامة خاصة طريق زويلة ذات الأهمية الإستراتيجية ، فهي مفتاح الطريق إلى موطن الذهب وأنها ملتقى الطرق التجارية الصحراوية.

3 – المغرب الأقصى :-

عرفت هي الأخرى طرقاً داخلية ربطت مدنها بعضها بعضاً في عملية نقل السلع والبضائع ، ولعبت دوراً فعالاً في التواصل التجاري أهمها :-

أ – طريق سجلماسة أغمات بطول ثماني مراحل* وتمر هذه الطريق بدرعة[4] وارتبطت المدينة بكل من نول لمطة ، وأزكي بطول ثلاث عشرة مرحلة[5].

ب – طريق درعة مع أغمات وسجلماسة ، كما ارتبطت بطريق مباشر مع بلاد السوس بمسيرة أربعة أيام[6].

---

(1) ـ الهيتي : مرجع سابق ، ص 142 .

(2) ـ برنو : سلفتور ، تجارة طرابلس عبر الصحراء ، مجلة بحوث تاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير ، 1981 ، ص 83 .

(3) ـ الهيتي : مرجع سابق ، ص 143 .

* ـ المرحلة تعادل 38,4 كم . جلة سلطان : مرجع سابق ، ص 101 .

(4) ـ الادريسي : الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر وإفريقيا ، وهو جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 1994 ، جـ1 ، ص 226 .

(5) ـ المصدر نفسه والجزء : ص ص 224 ، 225 .

(6) ـ المصدر نفسه والجزء : ص 227 .

جـ – هذا وقد تواصلت أغمات مع العديد من المدن بطرق سلكيا التجار بقوافلهم فبعد تواصلها مع مدن الجنوب (سجلماسة ودرعة) ارتبطت أيضاً بمنطقة السوس بمسافة ست مراحل ، مروراً بمدينة نفيس بمسافة مرحلة واحدة ، ثم تستمر الطريق بمحاذاة جبل دزن وبعض المناطق التي يقطنيا المصامدة ، وصولاً لايجلي مركز بلاد السوس[1].

د – هناك طريق أخرى تربط المدينة (أغمات) مع داي وتادلة باتجاه الشمال الشرقي بمسيرة أربعة أيام[2].

أما الطرق التي تربط فاس ببقي مدن القطر فقد مكنيا موقعيا الوسطي من سيولة الاتصال بنظيراتيا في البلاد بشكل كبير . فارتبطت بسبتة في الشمال بطريقين تجاريين تسير عبرهما القوافل التجارية مدة ستة أيام قبل الوصول إليها .

فالطريق الأولى : تبدأ من قلعة ورطيطة ، ومناطق أصاده ، وديجاجين، وتشومس (تشمس) وبعض القرى الأخرى وصولاً إلى سبتة[3].

أما الطريق الأخرى فتبدأ بقلعة افتس ووادي نكور فتطوان ومنيا إلى سبتة[4] ثم ارتبطت فاس بمسلك تجاري مع طنجة[5]. ومدينة سلا عبر طريق تصل طولها أربع مراحل[6].

وارتبطت المدينة أيضاً بأغمات عبر مكناس وتادلا[7] ، ومع سجلماسة عبر صفرو[8].

ثم هناك طريق ساحلية بين طنجة وسلا ، وأخرى ساحلية تبدأ من مليلة إلى سبتة بطول (150 كلم) ثم تستمر نحو طنجة بمسافة (32 ميلاً)[9] كذلك ربطت سجلماسة بأودغست جنوباً[10].

---

(1) – البكري : مصدر سابق ، ص ص 160 - 161 ، الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 229 .
(2) – الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 241 .
(3) – فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 106 .
(4) – البكري : مصدر سابق ، ص ص 114 - 115 .
(5) – المصدر نفسه : ص ص 109 - 111 .
(6) – الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 242 - 244 .
(7) – الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 249 ، ابن عبد ربه الحفيد : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، العراق ، د . ت ، ص 187 .
(8) – البكري : مصدر سابق ، ص ص 146 - 147 ، ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 84 .
(9) – الإدريسي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص ص 530 - 533 ، ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 81 .
(10) – ابن حوقل : مصدر السابق ، ص 84 .

4 – الجزائر :-

أما الطرق التجارية الداخلية في الجزائر لم تتمتع بنفس الشهرة التي تمتعت بها نظيراتها في المنطقة ، وما تمتعت به الجزائر من طرق خارجية ربطتها بالدولة الرستمية ، وهذا يتضح مما لها من تجارة رائجة مع الدول الأخرى.

أما الطرق الداخلية التي ربطت أقاليم المنطقة ببعضها فأبرزها طريق القيروان والتي تمر بعدة محطات تاهرت : وفاس ومنها إلى سجلماسة[1] ، إلى جانب الخط الواصل عبر أفريقية وطرابلس وبرقة[2] ، وهناك طريق تنطلق من واحة الجريد إلى ورقلة وغدامس[3].

هذه أهم الطرق الداخلية البرية التي ربطت مدن المنطقة بعضها بعضاً، واستخدمها التجار أثناء تحركهم بالقوافل التجارية، وإلى جانبها وجدت طرق داخلية غير برية وهي الطرق النهرية.

ثانياً :- الطرق النهرية :-

استخدم سكان المنطقة بصفة عامة أنهارها كطرق داخلية لربط بعضها ببعض، وكانت وسيلة النقل في هذه الطرق القوارب والسفن الصغيرة[4] التي صنعت من أجل ذلك الغرض.

وكان من أبرز الأنهار التي ربطت مناطق البلاد واستخدمها التجار نهر أسمير[5] ونهر سفدد[6] ، ولطنجة نهر تدخله السفن ويصب في البحر المحيط [7]. كذلك نهري لاو ، ولو[8] ، ونهر مجسكة وأم الربيع[9] ، وقد عرفت هذه الأنهار حركة القوارب ، فكانت وسيلة ربط واتصال تجاري مهمة، الأمر الذي يتيح للتجار فرصة الحصول على مبتغاهم من السلع ، كما أوجدت أمامهم فرصة

---

(1) - ابن حوقل : مصدر سابق ، 84 .
(2) - عبد العزيز سيدي : مرجع سابق ، ص 50 .
(3) - جميلة أحمد التكتك : مرجع سابق ، ص 116 .
(4) - الادريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 239 .
(5) - المصدر نفسه والجزء .
(6) - المصدر نفسه : جـ2 ، ص 530 .
(7) - الحميري : محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافية ، د.ن ، 1980 ، ص 396 .
(8) - ابن سعيد : أبو الحسن علي بن موسى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، المكتب التجاري ، بيروت ، 1970 ، ص ص 139 - 140 .
(9) - البكري : مصدر سابق ، ص 197 .

تصريف سلعهم ليس في السوق المحلي فحسب بل حتى على صعيد السوق الخارجي.

ثالثاً :- الطرق البرية الخارجية :-

مما لاشك أن ازدهار النشاط الاقتصادي في المنطقة أدى إلى وجود تجارة رائجة عمت المنطقة ، ونجحت في تحقيق أرباح طائلة من التسويق التجاري الخارجي، ومن تجارة العبور التي تجني من القوافل التجارية المارة عبر أراضي المنطقة إلى غيرها ، وساعد الموقع الاستراتيجي المنطقة في أن تأخذ مكانتها التجارية على مستوى ساحة التجارة العالمية ، كما ساعد موقعها على شبكة المسالك التجارية إلى وجود طرق خارجية تمر عبرها مختلف القوافل التجارية ، وتقوم عليها عدة محاور أساسية أهمها : الاستفادة من التجارة مع الدول الأخرى وعلى رأسها السودان موطن الذهب ، ثم تصريف سلعها ومنتجاتها في الخارج ، فضلاً عن أنها تخدم رحلات الحج وطلب العلم.

والملاحظ على هذه الطرق أنها لم تبق ثابتة عبر القرون ، بل تغيرت تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية ومع هذا تؤدي دورها في ربط عملية الاتصال والتقارب خاصة في فترة القرون الأولى للإسلام ، وعلى مسالكها تتم عملية تبادل السلع والمنتجات المحلية والخارجية المستوردة عبر البلدان.

وتسهيلاً لدراسة الطرق الخارجية سوف يتم تقسيمها إلى :-

أ - طرق خارجية مع ممالك جنوب الصحراء و بلاد السودان :-

- إن أهم الطرق التي تربط شمال أفريقيا مع بلاد السودان تلك الممتدة بين سجلماسة وولاته[1] في المغرب حتى تصل السنغال والنيجر الأعلى[2]، وهي تؤدي إلى موطن الذهب[3].

---

(1) - يونس : محمد المنوني ، التطور التاريخي للعلاقات العربية الأفريقية ، مجلة البحوث التاريخية ، 1953 - 1977 ، ص 19 ، العزيزي : مرجع سابق ، ص 217 ، ارشيبالد لويس : القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1960 ، ص 255 .

(2) - محمد المنوني يونس : مرجع سابق ، ص 19 ، De La Ronciere .C H ,La Decouverte De La Frique Au Mayen Age,T.I.I.E .Caire ,1934.p.156 .

(3) - De La Ronciere:Ibid ,p.157.

- ثم طريق غدامس وتمر خلالها القوافل القادمة من أفريقية وطرابلس إلى غات وأهيري حتى ممالك الهوسا [1].
- والطريق الثالثة : تمر بطرابلس ولبدة إلى فزان ثم كانو – البرنو – وبحيرة تشاد [2].
- إلى جانب طريق أخرى من برقة إلى الكفرة إلى واداي[3].
- وطريق أخرى تبدأ من طرابلس وفزان وزويلة ومرزق إلى مركز كوار ثم إلى ضفاف بحيرة تشاد ، وهي طويلة حيث تقطعها القوافل في ستة أشهر ذهاباً وإياباً ، مع ذلك تعتبر أهم وأشهر طريق عبر الصحراء لجلب السلع خاصة الرقيق منذ فترة سابقة حتى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي[4].

وإلى جانب هذه الطرق الرئيسية هناك طرق فرعية منها ما تبدأ من بنغازي إلى الكفرة ثم أبشه إلى واداي ، وتعرف بطريق دار واداي ، ثم طريق أخرى من وادي الحياة بفزان إلى كانم – برنو – بعد أن تمر عبر عدوة وتراغن وزويلة ثم الواحات ، وأخيراً طريق تبدأ من وادي الحياة إلى تساوا ثم قصر مارا ثم شربه فالقطرون ثم فايا ومنها إلى كانم[5].

وليس من المستبعد أن البلاد عرفت طرقاً أخرى ، فبالرغم من وجود الصحراء بين الطرفين إلا إنها لم تقف عائقاً في وجه التجارة بل أصبحت من أهم المراكز التجارية فيما بين القرنين(3 – 13هـ /9– 19 م) بالإضافة إلى كونها وسيلة اتصال بين العرب والأفارقة من جهة ، وبينهم وبين شعوب الدول الأخرى من جهة أخرى ، لذا فأن العلاقات التجارية كانت أقوى الروابط في تاريخ الاتصال بين البلدين ووجدت الطرق التي تعد أهم وسيلة لتقوية هذا الاتصال ،

---

(1) - De la Ronciere .op .cit .p.160 ، بو عزيز : يحيى ، طريق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وصفها الأوروبيون خلال القرن 19 (البضائع ـ العملات ـ الأسعار ـ الأساليب التجارية) تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن 19 ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984 ، ص 142 .

(2) ـ أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن عمر ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ص 147 ، حسين : مؤنس ، فزان ودورها في نشر الإسلام ، مجلة كلية الآداب ، بنغازي ، العدد الثالث ،1969 ، ص 112 .

(3) ـ رياض : زاهر ، شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، 1981 ، ص 74 ، المزيني : مرجع سابق ، ص 219 ، بحيى بو عزيز : مرجع سابق ، ص 142 ، محمد الميروك بوشن : مرجع سابق ، ص 19 .

(4) - موني : ريمون ، طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير ، 1981 ، ص 130 .

(5) - البكري : مرجع سابق ، ص 144 .

فتمر عبرها القوافل حاملة أهم سلع المنطقة من الحرير والسروج، والنحاس ، والملابس ، والقمح ، وأهمها الملح ، في حين تعود ومعها سلع المناطق الأفريقية والتي تمثلت في العاج والجلود ، والكولا ، وريش النعام ، وأهمها الذهب.

فمن جملة الطرق التي دعمت تاريخ الاتصال التجاري إلى جانب الطرق السابقة الذكر هي :-

- الطريق من سجلماسة إلي ولاته ، تمبكتو – جني – جاو.
- الطريق من تلمسان إلي توات ثم إلي تمبكتو.
- الطريق من تكرث ورقلة إلي جاو ومنها إلي الموانئ الجزائرية.
- طريق تبدأ من طرابلس إلي غدامس و فزان وتنتهي عند برنو وجاو.
- الطريق من مصراته إلي واحة سيوة ، زويلة ، تادمكة – جاو – تمبكتو[1]
- الطريق المحاذية لنهر النيجر.
- الطريق التي تبدأ من المغرب الأقصى إلى غرب أفريقيا.
- الطريق القادمة من غدامس إلى غرب أفريقيا[2].
- طريق تربط تاهرت بمدينة سجلماسة نقطة تجمع القوافل الذاهبة إلى غرب أفريقيا [3] ، ومنها تسير القوافل إلى تغازا ثم اودغست ومن هناك إلى غانا [4].
- طريق تبدأ من تاهرت وتمر بواحة ورجلة (ورجلان) إلى تادمكة وتنتهي عند مدينة جوجو (جوا) على نهر النيجر[5].
- طريق تربط الإقليم الشرقي من الدولة الرستمية (طرابلس وفزان) بأفريقيا الوسطى ، وهذه الطريق تتفرع إلى :-

1 – تربط طرابلس بجبل نفوسه(الجبل الغربي) مرورة بغدامس إلي تادمكة حتى منحني نهر النيجر.

---

(1) – عوض الله : الشيخ الامين ، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي و أثرها الحضارية حتى القرن (16 م) ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن (19) ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984 ، ص 74 ، جميلة إبحمت التكيك : مرجع سابق ، ص 116 .

(2) – Barth .H, Travels and Discoveries in North and Central Africa ,Vol III, London , Frankcass , Ltd 1965 , p- 358

(3) – الاصطخري : المسالك والممالك ، مصدر سابق ، ص 351 .

(4) – البكري : مصدر سابق ، ص ص 149- 161 .

(5) – المصدر نفسه : ص 182 .

2 – تربط طرابلس بزويلة مع بحيرة تشاد وإقليمي كانم وبرنو[1].

– الطريق من سجلماسة وتغازة إلي مدينة تاسر هلا ثم ولاته ومنها إلـــي نبـــالي والي تمبكتو ثم إلي مدينة تكدا [2] ، ورغم تعدد المسالك العابرة للصـــحراء إلا أن هناك ثلاث طرق رئيسية ارتادتها قوافل التجار وهي :-

أ – المسالك الغربية من الصحراء والتي ربطت المغرب الأقصى جنوباً .

ب – المسالك الوسطى من الصحراء والتي ربطت المغرب الأوسط جنوباً .

جـــ – المسالك الشرقية والتي ربطت المغرب الأدنى ، وخاصة منطقة ليبيا ببلاد السودان جنوب الصحراء [3].

وبهذه الطريق الأخيرة تصبح فزان أحسن المســالك فـــي شـــمال القـــارة وجنوبها ، وميزها على الطرق الأخرى سواء منها المار بوادي النيـــل أو تلـــك الواقعة بين موانئ المنطقة وأفريقيا ،هذه أهم طرق التجارة الخارجية التي تـــربط المنطقة مع ممالك جنوب الصحراء، كما جعلت من المنطقة خاصة فزان بمثابـــة حلقة وصل إلى غيرها من الدول ، وبمثابة الشريان الـــذي يـــؤدى إلـــى القـــارة الأفريقية ، ومما لاشك فيه أن هذه الطرق شاهدت كميات هائلة من السلع خاصـــة الملح والذهب التي تذهب من وإلى المنطقة وممالك الصحراء ، ولكن كيف كـــان الذهاب والسير في هذه الطرق ؟ وكم عدد القافلة ؟ وهل توجد صعوبات تعترض طريقها ؟.

إن القوافل التجارية قبل أن تذهب إلى ممالك ما وراء الصـــحراء تجيـــز نفسها من المراكز التجارية الهامة في المنطقة وهى مثـــل : فـــاس ، غـــدامس ، تونس، طرابلس ، تلمسان ، القيـــروان ، وعندئـــذ تنطلـــق فـــي رحلتهـــا عبـــر الصحراء[4].

---

(1) – البكري : مصدر سابق ، ص ص 110 ، 182 ، الادريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 132 - 133 .

(2) – ابن بطوطة : شمس الدين محمد بن إبراهيم ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص ص 189 - 190 ، BOVILL, E.W:The Golden Trade of The Moors, Oxford Uni –Versity Press,1968,P.235 .

(3) – حركات : إبراهيم ، دور الصحراء الأفريقية في التبادل والتشويق خلال العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير ، 1981 ، ص 29 .

(4) – يحيى بو عزيز : مرجع سابق ، ص 131 .

وهذه الرحلة التجارية يتراوح عدد جمالها في الغالب ما بين ألف إلي ثلاثة آلاف جمل ، محملة بمختلف السلع والبضائع من والى القطرين ، وبالنسبة إلى مدة الرحلة فستغرق في ذهابها وإيابها عادة فترات طويلة* تمتد إلى أشهر عدة[1].

أما الصعوبات التي تعترض طريقها ففي طليعتها مشكلة توفر المياه ، فمن المتعارف عليه أن المياه لا توجد في الصحراء ، وإنما يكثر وجودها في الواحات، وفي بعض الأحيان يحتاج استخراجها إلى معرفة خاصة وهنا تظهر مشكلة أخرى، وفي ذلك يقول ابن خلدون :-

" وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب ، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى ، وتطوي جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة ، فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقيا عن الماء فينبعث صاعداً فيفعم البئر ... [2] "

أما عن المشاكل الأخرى فيمكن إجمالها في :-

- اعترض قطاع الطرق والطوارق الملثمين طريق القافلة.
- مهاجمة اللصوص والأعداء والعصابات لها.
- عدم المعرفة الجيدة للطريق ومن ثم الضياع.
- دفع إتاوات وضرائب للقبائل التي تمر في أرضها القوافل[3].

2 - طرق خارجية مع بلاد المشرق الإسلامي:-

كما وجدت طرق ربطت المنطقة مع غربيها ، وجدت طرق أخرى ربطت المنطقة مع المشرق الإسلامي ، و يمكن القول إنها ربطت غرب البلاد الإسلامية بشرقيها ، نظراً لوفود التجار عليها بكثرة من الشرق إلى الغرب والعكس ، وقد

---

* - الرحلة عادة ما تبدأ في الشتاء لاشتداد حرارة الصيف وهناك ثلاث قوافل برية من سجلماسة تصل إلى القيروان وطرابلس وبرقة حتى مصر ثم تخرج إلى المغرب الافريقي ، هذا علاوة على قوافلتين بحريتين في فصل الصيف ، حواتين : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصي ، د . ر ، بيروت ، 1980 ، ص 220 ، حية عبود : مرجع سابق ، ص 69 .

(1) - يحيى بوعزيز : مرجع سابق ، ص 131 ، حواتين : مرجع سابق ، ص 220 .

(2) - مصدر سابق : العبر ، جـ7 ، ص 119 .

(3) - يحيى بوعزيز : مرجع سابق ، ص ص 132 - 133 ، الحراوي : رائد ، حالة مصر الاقتصادية في عهد المماليك ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1948 ، ص 216 .

لعبت هذه الطرق دوراً تجارياً هاماً في شمال أفريقيا ، لأن الأمن والطمأنينة يسودها وإن محطات البربر توجد على مسافات متساوية بين كل محطة وأخرى وتقريباً بين كل ثلاثة أميال * توجد محطة مزودة بالخيل [1]، والماء والطعام ، وعلى كل فرسخين** يوجد رباط*** [2] ، وفي ذلك يقول آدم متز المستشرق الألماني إن الطرق كانت أكثر أمناً واستقراراً في القرن (3هـ/9م) لما قامت به دولة بني الأغلب من العناية بها، بالإضافة إلى أنهم وضعوا المحارس والمخافر على جانبيها [3] ، فضلاً عن الفنادق والحمامات[4]، وهنا أرى أن مثل هذه الأشياء تعتبر أمراً طبيعياً وضرورياً ليس بسبب أن الطرق تجارية ، بل أن وسائل الأمن والحماية لابد من توفرها من أجل سلامة المنطقة وأهلها ، فليس من المعقول أن يترك الحاكم أو الأهالي منطقتهم عرضة للأعداء ودون حماية أو حراسة ،ولكن من المبالغة أن نذكر هذه الطمأنينة وذلك الأمن دون أن ننوه إلى بعض الصعوبات التي تواجه التجارة في هذه الطرق ، فبالرغم من كل التحصينات السابقة إلا أنه وجدت بعض المشاكل تمثلت في :-

1 - قطاع الطرق ، ومهاجمة اللصوص للقوافل التجارية من أجل سلبها ونهبها.

2 - كثرة الرسوم والضرائب المفروضة على مرور القوافل.

3 - العواصف الرملية [5] التي تعتبر من أهم الصعوبات التي تواجه القافلة وتعرقل سيرها ، وبعد هذه النبذة تطرق البحث إلى الطرق نفسها وهي :-

1 - الطريق الساحلية :-

يسير بمحاذاة الساحل البحر المتوسط ، ولعله أكثر الطرق راحة، فهو خال من البدو ومن العواصف الرملية ومن مهاجمة القراصنة بحراً، لأنه يحتوي على العديد من الحصون وأنظمة المراقبة[6].

---

* - الميل : يساوي 1600 متر .

(1) - حورية عبد سلام : مرجع سابق ، ص 208 .

** - الفرسخ : يساوي ثلاث أميال .

*** - الرباط : عبارة عن تكلة من مسجد ، ومن عشرات الغرف الانفرادية تنتهي بجامع كبير وصومعة للأذان .والغرض منه تجمع المجاهدين فيه وذلك لمراقبة السواحل من الغارات ، وتولدت فكرة انشائه في العصر الاغلب . الفيتوري : جمعة مصطفى ، النشاط العلمي بالمغرب الإسلامي ، دار الندار الإسلامي ، لبنان ، 2002 ، ص 78 ، المزيني : مرجع سابق ، ص 256 .

(2) - المتني : مصدر سابق ، ص 66 .

(3) - الحضارة الإسلامية في القرن (4 هـ / 10 م) نقله محمد عبد الهادي أبو ريده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1948 ، جـ2 ، ص 418 .

(4) - البكري : مصدر سابق ، ص ص 4 - 5 - 6 - 20 - 28 .

(5) - العنزي : مراجع عقيلة ، علاقات الإمارة الصنهاجية بجيرانها وآثارها في ليبيا ، المكتبة الوطنية ، بنغازي ، د . ت ، ص ص 66 - 67 ، البراوي : مرجع سابق ، ص 216 - بوعزيز : مرجع سابق ، ص ص 132 - 133 .

(6) - البكري : مصدر سابق ، ص ص 4 - 24 - 81 - 82 .

وهذه الطريق تخرج من الفسطاط إلى ترنوط[1] ومنها تتفرع إلى وجهتين إحداهما تصل إلى الإسكندرية ، والأخرى إلى ذات الحمام ، وهناك تلتقي الطريقان في طريق واحدة تتجه إلى برقة وإلى قصر العسل ثم إلى أوبران فسلوق، ومن سلوق تفترق إلى طريقين : الأولى : تسير جنوباً من الطريق الساحلي وهي ما تعرف بطريق السكة ، أما الأخرى : فتتجه من سلوق إلى اجدابيا، ومنها تخرج طريقان تسير إحداهما إلى طرابلس عن طريق الساحل، بينما تسير الأخرى إلى أفريقية إلى الجنوب الطريق الأولى[2].

وبالإضافة إلى الطريق الأولى توجد طريق ساحلية أخرى تمتد من الإسكندرية مارة بذات الحمام ، ومنها إلى مدينة الرمادة ثم تصل إلى برقة فسرت وطرابلس وتسير حتى صفاقس[3] ثم تتجه نحو الداخل إلى القيروان ومن القيروان تتفرع في ثلاث طرق تلتقي في مكان واحد يسمى المسيلة تسير طريقان عبر هضاب تل أطلس، أما الطريق الثالثة فتسير عبر الجريد والزاب ثم تتابع سيرها عبر وادي شلف وتلمسان وفاس[4].

وفي هذه الطريق يذكر المراكشي عبد الواحد بن علي بأنها أكثر أمناً وراحة ، وهذا راجع إلى كثرة العمارة بين الإسكندرية والقيروان ، ولذا فلا عجباً إن قلنا إن القوافل تسير فيها ليلاً ونهاراً[5].

وتوجد طريق أخرى إلى الجنوب من الطريق التي قبلها تبدأ من الفسطاط إلى ذات السلاسل ثم تصل إلى ترنوط ومنها تسير إلى برقة [6] ، وهناك تلتقي بالطريق الأولى عند اجدابيا ثم تتابع السير إلى القيروان مارة بطرابلس

---

(1) - نجم : محمد يوسف وإحسان عباس ، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ، دار ليبيا ، بنغازي ، د.ت ، ص 13 .

(2) - ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، كتاب المسالك والممالك ، نشر دي غويه ، ليدن ، 1889 ، ص ص 4 - 85 ، قدامة بن جعفر : أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، الخراج وصنعة الكتابة ضمن المسالك والممالك لابي خرداذبة ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1889 ، ص ص 222 - 225 - 24 ، البكري : مصدر سابق ، ص ص 142 - 146 ، المزيني : مرجع سابق ، ص ص 226 -227 ، محمد يوسف نجم وإحسان عباس : مرجع سابق ، ص 17 .

(3) - قدامه بن جعفر : مصدر سابق ، 221 ، حياة عبود : مرجع سابق ، ص 67 .

(4) - المراكشي : محي الدين أبو محمد بن علي بن عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1963 ، ص 432 .

(5) - المصدر نفسه : ص 249 .

(6) - ابن خرداذبة : مصدر سابق ، ص 84 .

والقيروان [1] ، ثم تسير بمحاذاة الساحل [2] ، والى جانب هذه الطرق يذكر الإدريسي طريقاً أخرى يخرج من البهنا إلى جب مناد وتتابع السير إلى سجلماسة[3] .

2 - الطريق الصحراوية :-

باعتبارها صحراوية فهي تمر بالواحات الخارجية من صحراء مصر الغربية حتى تصل إلى الواحات الداخلية في المنطقة ، ومنها تسير إلى أن تصل إلى غدامس وغات وسجلماسة وصولاً إلى غرب أفريقيا[4]، وهناك طريق تخرج من غدامس إلى فزان جنوباً ثم تصل مباشرة إلى مصر شرقاً[5].

هذا وبرزت طريقين رئيسيتين استخدمتا للتجارة الخارجية وتؤديان في نفس الوقت إلى موطن الذهب ، لذا فأن بلاد السودان كانت نقطة البداية أو النهاية بعد عبور أراضي المغرب الأقصى وصولاً إلى بلاد الشام ، ومسار هاتين الطريقين على النحو التالي : -

الطريق الأولى : تبدأ من بلاد السودان ثم إلى تامدلت في بلاد السوس ، فدرعة وسجلماسة ، وتستمر بعدها إلى صفرو ومنها إلى فأس ثم تنحرف الطريق شرقاً نحو أراضي المغرب الأوسط وصولاً إلى وجدة قبل الدخول لتلمسان والتي منها تتجه القوافل نحو أفريقية وبلاد المشرق الإسلامي[6] (بلاد الشام).

الطريق الثانية : فتبدأ من بلاد السودان باتجاه أغمات أو سجلماسة أغمات ثم تنحرف نحو الشرق مروراً بجبال درن ثم تصل إلى تادلة فجبال فازاز ومدينة مكناس قبل دخول فاس ومنها إلى وجدة التي تواصلت مع تلمسان ومنها إلى المشرق الإسلامي[7] (بلاد الشام)، ثم هناك الطريق الواصل للمشرق

---

(1) - ابن خرداذبة : مصدر سابق ، ص 86 .
(2) - آدم متز : مرجع سابق ، جـ2 ، ص 258 .
(3) - مصدر سابق : ص 163 .
(4) - البكري : مصدر سابق ، ص ص 14 - 15 - 85 .
(5) - عبد العزيز مهيدي : مرجع سابق ، ص 50 .
(6) - اليعقوبي : مصدر سابق ، ص 360 - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ص 91 - 93 .
(7) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 91 - البكري : مصدر سابق ، ص ص 88 - 89 - 152 - 153 + الإدريسي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 226 .

(بلاد الشام) عبر أفريقية وطرابلس وبرقة حتى الإسكندرية [1].

وإلى جانب طرق التواصل هذه وجدت طرق أخرى للتواصل التجاري عبر طرق خارجية ولكن غير البرية تمثلت في الطرق البحرية.

رابعاً :- الطرق البحرية :-

إن حركة السلع عبر الطرق البرية أو النهرية لكي تستكمل عملية نقلها لابد من وجود طرق بحرية تسير في البحر، وتكون وسيلة النقل في هذه الحالة السفينة أو الزورق.

وإن موقع المنطقة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ساعد على وجود نوعية هذه الطرق وتوسيع الاتصال ببقية الموانئ في مختلف المناطق[2] ، كما أن عوامل المناخ لها أثر كبير في حركة السفن التجارية نحو المنطقة خاصة نحو المغرب الأقصى ، فالرياح الشرقية والغربية في البحر المتوسط ساعدت على حركة السفن من وإلى الموانئ المغربية الشمالية[3].

لذا فإن معظم هذه الطرق كانت مع بلاد الأندلس وبخاصة في ظل وجود بعض المراكز التجارية والمراسي الكبيرة مثل مدينة سلا ومرسي فضالة وأسفي[4]. وأن طنجة بحكم موقعها بالقرب من بلاد الأندلس على مضيق جبل طارق كانت على صلة مع موانيها ، فضلاً عن الموانئ الشمالية المطلة على البحر المتوسط فميناء سبتة أبرزها [5]، فهي تقابل الجزيرة الخضراء من الطرف الثاني[6].

غير أن حركة السفن لم تنحصر بين المنطقة وبلاد الأندلس بل تواصلت مع مصر وبلاد الشام مستفيدة أيضاً من الرياح الشرقية الغربية ، فمن بين طرق هذا الاتجاه : الخط الممتد من الإسكندرية إلى مدينة سبتة ، فالسفن المستعملة لهذا الخط ترسو في ميناء طبُرق ، ثم تجد العديد من الموانئ على طول الساحل

---

(1) - عبد العزيز مهيدي : مرجع سابق ، ص 50 .

(2) - الشيادي : أحمد مختار و فتيحة عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د. ت ، جـ2 ، ص ص 243 - 245 .

(3) - عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص 318 .

(4) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 240 .

(5) - فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 111 .

(6) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص ص 528 - 529 .

الأفريقي أهمها : درنة ، سوسة ، اجدابيا ، سرت ، طرابلس ، قابس ، لكن ليس عليها أن تنزل في جميع هذه الموانئ وبعدها تصل إلى سبتة[1].

ثم الخط من الإسكندرية إلى طرابلس ، ومن جملة الموانئ فيه : طبرق ، سرت ، برقة[2].

بالإضافة إلى خط أخر يمتد من الإسكندرية ويمر بسلسلة من الموانئ أهمها: السلوم ، طبرق ، برقة ، طرابلس ثم يصل إلى قابس ومنها إلى صفاقس[3]، ثم يستمر إلى سوسة وتونس ومنها إلى بونه ثم يصل إلى مرسى بجاية فيتابع إلى سبتة وطنجة [4].

وأحياناً نجد أن سفن الاتجاه السابق تأخذ طريقاً أخر وذلك بأن تبحر شمالاً نحو الموانئ الإيطالية ثم تتجه نحو الإسكندرية أو الشام وبخاصة ميناء عكا[5].

وفي هذه الحالة تكون الموانئ الايطالية بمثابة نقطة عبور ، تخلق أمام التجار فرصة في تصريف بضائع بلادهم ثم يخرجون محملين بما يجدوه في هذه الموانئ والتي يمكن أن تباع في الموانئ التي سيذهبون إليها في مصر أو بلاد الشام .

أما بالنسبة للصعوبات التي تواجه وسيلة النقل في الطرق البحرية فتمثلت في مواجهة القراصنة الذين يأخذون كل ما فيها غصباً قال تعالى:-

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ [6].

وأيضاً حوادث الغرق التي قليلاً ما تحدث في ذلك الوقت ، والملاحظ أن السفن لم تنزل في كل الموانئ التي تمر بها ، بل تنزل في بعضها لغرض التزود بالوقود أو الماء والزاد.

---

(1) ـ البكري : مصدر سابق ، ص ص 85 - 89 ـ المزيني : مرجع سابق ، ص 228 .

(2) ـ Goitein,S.D: :A Mediterran Ean Society of The High Middle Ages .I, New York .1967 , p . 212 .

(3) ـ البكري : مصدر سابق ، ص ص 7 - 18 .

(4) ـ المراكشي : مصدر سابق ، ص 443 ـ أحمد : حسن خضيري : علاقة الفاطميين بدول المغرب ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1992 ، ص 71 .

(5) ـ عز الدين احمد موسى : مرجع سابق ، ص 318 .

(6) ـ سورة الكهف ، الآية 79 .

هذه إذنْ طرق التجارة البـــــرية أو البحرية ، فالدول المطلة على السواحل (ممالك جنوب الصحراء وبلاد السودان) تربطها طرق تجارية برية مع المراكز التجارية في الداخل ، وبالنسبة لبلاد المشرق الإسلامي (بلاد الشـــام ومصـــر) فتربطها مع المنطقة طريق بري وبحري ، أما المـــدن الداخـــلية والســـاحلية (الجزر الموجودة في البحر المتوسط وأوروبا وبلاد الأندلس) فالطرق البحريـــة هي المستخدمة فيها وتكون مكملة للطرق البرية ، وبذلك فالعمليـــة تكامليـــة بـــين الطرق البرية والبحرية في عملية نقل البضـائع التجاريـــة وتبادلهـــا ، وإن موقـــع المنطقة ساعد على وجود طرق تجارية تمر عبرها القوافل حاملة السلع والبضائع حيث يتم تصـريفيا داخل الأسواق والمراكز التجارية الداخليـــة أولاً ثـــم تحملهـــا القوافل والسفن عبر المسالك التجارية خارج المنطقة.

المبحث الثاني: المراكز التجارية:-

تعكس الحركة التجارية التي شهدتها المنطقة خالة الاستقرار والأمن التي تعيشها البلاد وما أدى إلى رواج البضائع والسلع الضرورية المختلفة في الأسواق الداخلية والخارجية على حد سواء و إلى خلق حركة شرائية مستمرة نشطت معها الحركة الانتقالية التجارية ، وهذه الحركة لابد من وجود مقومات أو مناخ تجاري مناسب لها ، وقد تمثل ذلك في الأسواق والمراكز التي يتم فيها تصريف أو شراء السلع التجارية ، وقد تميز بعض هذه الأسواق ببيع سلعة معينة ، بينما تنوعت سلع البعض الأخر حسب طلب التجار عليها ، لذا وجدت العديد من المراكز التجارية في المنطقة بأكملها أسهمت في زيادة مردود التجارة داخل البلاد ، وتعتبر مكملة لبعضها في المعاملات التجارية ، فشكلت نسيجاً تجارياً في الداخل والخارج.

ويمكن حصر بعض أهم المراكز التجارية الكبرى في الآتي :-

أولاً :- أهم المراكز التجارية في ليبيا:-

1 - غدامس :-

تقع في الجنوب الليبي ، وتعد من المراكز الرئيسية في ليبيا ، حيث أسيمت إسهاماً فعالاً في تنشيط تجارة القوافل عبر الصحراء[1] ، وقامت بدور كبير في انتعاش التبادل التجاري ورواجه بين جنوب الصحراء وشمالها مما دفع أهليا إلى بناء الأسواق التي احتوت على العديد من البضائع التجارية المحلية ، أهمها الملابس الصوفية ودباغة الجلود التي أصبحت من أجود الدباغ ولا يفوقها شيء في الجودة حيث يقال كأنها ثياب الخز في النعومة والإشراقة [2]، ومن المرجح أن تكون قد قامت على هذه الجلود صناعات عديدة كالأحذية ، والحقائب ، وبعض الأدوات الجلدية ، وصناعة السروج.

فبالإضافة إلى ما في أسواقها من منتجات محلية ، فأنها تعج بتلك السلع التي يحملها التجار معهم من بلدانهم ، مما أدى إلى تفرع عدة طرق تجارية منها

---

(1) - جميلة أحمد التكتيك :مرجع سابق ، ص 130 .
(2) - اليعقوبي : مصدر سابق ، ص ص 74 - 345 .

تصل إلى كل من طرابلس وجنوب تونس والجزائر ، وأخرى تتجه جنوباً (ممالك جنوب الصحراء) عن طريق توات تمبكتو ، أو غات كانو، أو مرزق برنو[1].

لذا اعتبرت غدامس من أهم الواحات الليبية ، ومحطة مهمة تتجمع فيها القوافل التجارية، وملتقى التبادل بين كافة دول الشمال الأفريقي والسودان الغربي[2] مما جعلها مركزاً تجارياً هاماً أسهم في دفع اقتصاد المنطقة إلى الأمام.

2 – فزان :-

تأتي في مقدمة المراكز التجارية الهامة بسبب وقوعها على طرق القوافل الذاهبة إلى بلاد السودان الغربي[3]، مما جعلها عامرة بحركة شرائية لا تنقطع وذلك لمرور أغلب منتجات المغرب الإسلامي والمشرق (مصر) التي تصدر إلى جنوب الصحراء والعكس[4].

ونظراً للموقع الجغرافي الذي تتمتع به في مفترق الطرق فأنها سهلت عملية الاتصال والتبادل التجاري بين الشمال والجنوب ، كما قامت بدور بارز في تكوين صلات تجارية طيبة بين الرحلات التجارية[5]، وبهذا كانت فزان مركزاً تجارياً مأهولاً بالتجار والبضائع والسلع التجارية.

---

(1) - Abu Boohen A : Britaun . The Sahara and Western Sudan (1788-1861) Oxford Clarendon press , 1964 p.113 .

(2) - إبراهيم : فخار ، تجارة القوافل في العصور الوسطى ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن (19) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث العربية ، بغداد ،1984 ، ص ص 49 - 50 - محمد المبروك يونس : مرجع سابق ، ص 20 - محمد يوسف نجم وإحسان عباس : مرجع سابق ، ص 14 .

(3) - قاسم : جمال زكريا ، كتاب وصف أفريقيا وتاريخها للحسن محمد الوزان ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، مج 11 ، 1968 ، ص 292 .

(4) - جامي : عبد القادر ، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ، ترجمة محمد الأسطى ، قدمه علي مصطفى المصراتي ، دار المصراتي للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، 1974 ، ص 93 .

(5) - فخار إبراهيم : مرجع سابق ، ص 57 .

3 – برقة :-

أما برقة فأنها مدينة وسطة ليست بكبيرة [1] ، ذات كورة عامرة فسيحة خصبة[2] ، تمتاز بأرضها الحمراء الخلوقية التربة[3] ، وكثرة الفواكه والخيرات والأعسال[4] ، لذا اشتهرت بإنتاج الفلفل[5] والفواكه من أبرزها الجوز ، واللوز، والسفرجل، والزيتون[6] ،كما اشتهرت أيضاً بالثروة الحيوانية وربما يرجع إلى استغلال الأراضي الشبه زراعية كمراع تربي فيها الحيوانات المختلفة مثل الضأن ،والماعز ، والإبل ، والبقر، والخيل ، والحمير ، إضافة إلى أن أرض برقة كثيرة الخصب مما جعلها مراعي ذات أهمية تصلح لتربية الماشية على اختلاف أنواعها.

لا شك في أن هذه الثروة أسهمت في نشاطها التجاري بحيث أكسبتيا مراعيها الغنية ثروة حيوانية ممتازة ،لدرجة أن مصر والإسكندرية أصبحتا تعتمدان في لحومها على الأغنام الواردة إليها من برقة[7]، وبالإضافة إلى اللحوم كان يعرض في أسواقها أنواع من الأكسية والثياب الصوفية[8] والأصواف الخام[9] والجلود البقرية والنمور[10] التي تصدرها إلى غيرها من الدول.

هذا ولم يهمل أهل برقة النحل ، بل اعتنوا بتربيته حتى أصبحت أسواقها تزخر ببيع العسل ، وما يتبع ذلك من استخراج الشمع[11] وصنع الخلايا.

كل ذلك جعلها مركزاً تجارياً ذا أسواق تمتاز بحركة شرائية ، وربما كان ذلك السبب وراء رقيها وازدهارها اقتصادياً ورواجها تجارياً ، فمن بين أسواقها الحافلة بمختلف المنتجات (سوق أجية) وغيره من الأسواق المزدهرة ازدهاراً

---

(1) - الاصطخري : مصدر سابق ، ص 33 .
(2) - البيذاني : أبي بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل ، 1302 ، ص 79 .
(3) - المقدسي : مصدر سابق ، ص 224 + ابن حوقل مصدر سابق ، ص 69 .
(4) - المقدسي : نفس المصدر .
(5) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 69 .
(6) - محمد يوسف نجم وإحسان عباس : مرجع سابق ، ص66 - العزيزي : مرجع سابق ، ص 200 .
(7) - العزيزي : نفس المرجع ، ص 206 .
(8) - المقدسي : مصدر سابق ، ص 239 .
(9) - البكري : مصدر سابق ، ص 5 .
(10) - العزيزي : مرجع سابق ، ص 213 .
(11) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص69 .

كبيراً نتيجة لما يرد إليها من التجار في جميع الأوقات ، وقد جذب تردد التجار على أسواقها انتباه ابن حوقل فعبر عن ذلك بقوله :

"وهي أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان ، وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة ، وعابرين عليها مغربين ومشرقين وذلك أنها تنفرد في التجارة بالقطران الذي ليس في كثير من النواحي كيو ، والجلود المجلوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة ، وليا أسواق حادة حارة ..."[1].

ثانياً :- أهم المراكز التجارية في تونس :-

1 - رقادة* :-

أمر الأمير الأغلبي إبراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب سنة (263 هـ / 876 م) [2] ببناء رقادة لملائمة هوائها العليل وتربتها الخصبة وكثرة بساتينها التي تجود بمختلف الغلات الزراعية من فواكه وحبوب ، هذا كما ساعد بقاء الأغالبة بها لفترة طويلة [3] على انتعاشها اقتصاديا ورواج تجارتها وقد صاحب ذلك بناء القصور والمساجد والأسواق التي يلتقي فيها التجار لجلب الواردات من غلات وبضائع المدن الأفريقية الأخرى والبلاد المجاورة،وحمل صادراتها إلى غيرها من الأقاليم ، ونظرا لقربها من القيروان فقد كان هناك طريق للتبادل التجاري لا ينقطع منه الراجلون والراكبون صباحا و مساء[4].

ونتيجة لوفود التجار عليها بشكل كبير حرص أهلها على بناء المنشآت التي تخدمهم كالفنادق والحمامات[5].

---

(1) - مصدر سابق ، ص 69 .

* - يقال أن سبب تسميتها بهذا الاسم هو أن الأمير إبراهيم أرق وشرد عنه نومه ليلة وعندما ذهب إلى طبيبه وصف له الخروج والمشي فلما وصل إلى المكان الذي بنيت فيه المدينة نام فأمر ببنائها وسميت رقادة لما تنقل إليها بني الأغلب وعمرت القصور والمساجد والأسواق . البكري : مصدر سابق ، ص 227 ، ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 207 .

(2) - البكري : مصدر سابق ، ص 227 ،ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 107 ، ياقوت الحموي : مصدر سابق جـ3 ، ص 63 ، الطالبي : محمد ، الدولة الأغلبية ، نشأته إلى المرحلة المنحى السياسي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ،ص 308.

(3) - القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص 199 .

(4) - المصدر نفسه ، ابن الشماع : مصدر سابق ، ص 143 .

(5) - ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ3 ، ص 63 ، ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 207 .

هكذا صارت المدينة من أهم المراكز التجارية التي تعج بمختلف السلع والبضائع ويقصدها التجار من كافة الأقطار ، واستمر الحال على ما هو عليه حتى قيام الدولة الفاطمية في أفريقية (296 هـ / 908 م) حيث مكث الخليفة الفاطمي أبو عبيد الله الشيعي فيها إلى أن استجدت المهدية وانتقل إليها.

2- سوسة :-

يعود بناؤها إلى العهد الروماني لذا تعتبر مدينة قديمة مطلة على البحر المتوسط ، تحيط بها المياه من ثلاث جهات ، ولها أسوار جميلة و ثمانية أبواب[1]، وتحتوى على العديد من المباني المعمارية ومن أشهرها الملعب والأسواق التي ساعدت على ازدهارها تجاريا ، وقد جعل منها موقعها الساحلي ميناء هام ترسو فيه السفن التجارية المحملة بمختلف السلع ، فكانت مقصداً للتجار وذلك بسبب أسواقها العامرة [2]والتي تحوى أحسن الأمتعة بمختلف أنواعها، حيث تشتهر بحياكتها وصناعتها وتطريزها فكان يغزل فيها غزل قيل إنه يباع زنة المثقال منه بمثقالين من الذهب[3].

هذا فضلاً عن البضائع الأخرى كالثمار وأنواع الفواكه الرخيصة الأسعار ولاسيما الزيتون وزيته، والحبوب من حنطة وشعير ومن منتجاتها أيضاً اللحوم[4] لما تتمتع به من جودة المراعي.

ومما لاشك فيه أن مثل هذه السلع والمنتجات المحلية لفتت أنظار التجار فكانوا يتوافدون عليها ويقيمون في أربطة خاصة أقيمت لذات الغرض ؛ ثم يغادرونها ومعهم أشهى الأطعمة وأفخر الملابس[5].

---

(1) - ليو الأفريقي : الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليو الأفريقي ، وصف أفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، جـ2 ، ص83 ، البكري : مصدر سابق ، ص 34 .

(2) - الحميري : مصدر سابق ، ص 331 .

(3) - البكري : مصدر سابق ، ص 36 .

(4) - البكري : المصدر نفسه ، ص 34 ، الوزير السراج : محمد بن محمد الأندلسي ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ، جـ1 ، ص 81 .

(5) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 73 ، المقدسي : محمود مقديش ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأمصار ، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ، جـ1 ، ص 37 .

ولهذا أصبحت سوسة مدينة سياحية ومركزاً تجارياً هاماً ، يأتي إليها السواح والتجار حاملين ما تحتاجه من بلدانهم ، آخذين ما يفيض عن حاجتها من منتجاتها ومصنعها وصناعتها التي تشتهر بها.

3 – تونس :-

فتح المسلمون * هذه المدينة و أحدثوا بنائها وأطلقوا عليها تسونس ، وكانت تعرف باسم ترشنيش [1] ، ويقال إنها بنيت على أنقاض مدينة بالقرب منها (قرطاجنة) [2] فأصبحت مدينة عظيمة ، وبها العديد من الأسواق ذات الشهرة والرواج التجاري و ربما يرجع ذلك إلي خصوبة تربتها وتنوع غلاتها الزراعية ومنتجاتها المحلية [3] ، فبالرغم من أنها قليلة المياه[4] إلا أن الأهالي حرصوا على بناء المواجل لحفظ المياه[5] فأصبحت تنتج محاصيلاً زراعية كثيرة ومتنوعة أهمها الزيتون الذي يعتبر من أكثر غلاتها لاستخدامه في أغراض عدة منها:

الزيت في الطعام والمداوة ، والأخشاب المستخدمة في صناعة الفحم[6] ،أما الفائض فيصدر إلى غيرها من المدن وعلى رأسها القاهرة وملحقاتها[7].

وكانت تنتج إلى جانب ذلك اللوز الفريك ، ونتيجة لرقة قشرته فلا يحتاج إلى آلة لتكسيره ، وإنما يفرك بعضه ببعض بواسطة اليد ، ويتميز أكثره بوجود حبتين داخله مع طيب طعمه وكبر حبه ، والرمان اللذيذ الحلاوة الذي يتميز بكثرة مائه، والعنب الرفيع ، ومن ضمن المحاصيل الزراعية الفرجل المشتهي في الكبر مع لذة الطعم وعطر في الرائحة ، والأترج ** الطيب الذكي الرائحة ، والتين الأسود الكبير الرقيق القشرة، والبصل القلوري الذي بحجم الأترج مع كثرة الماء[8] ،هذا فضلاً عن الحبوب والكروبا والقطن والسمن والماشية[9].

---

* – تمت عملية الفتح لأول مرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان عندما أرسل واليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح سنة (27هـ / 647 م) والذي قبل الصلح مقابل أن يدفعوا له (300) قنطار من الذهب ، ثم جاءت الدولة الأموية وتولي معاوية بن أبي سفيان خلافة المسلمين فأمر واليه على مصر معاوية بن حديج السكوني أن يبعث الجيوش لفتح إفريقية فأرسل عقبة بن نافع من الفهري سنة (50 هـ / 670 م) وتم الفتح واختط القيروان .

[1] – البكري : مصدر سابق ، ص 37 ، ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 75 .

[2] – ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 70 .

[3] – ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 73 .

[4] – أبو الفداء : مصدر سابق ، ص 143 .

[5] – ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 432 ، أبو منظور : لسان العرب المحيط ، تأليف العلامة عبد الله الكبير وآخرون ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، جـ6 ، ص 4142 .

[6] – أبو الأفريقي : مصدر سابق جـ 2 ، ص 77 .

[7] – نفس المصدر .

** – الأترج : نبات ليس ببري بل يغرس غرساً ، وهو يحمل فاكهة ، وتوابله شبيه بالترنج ولكنه أشبه ، ل ياسين : محمد حسن ، معجم النبات والزراعة ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، د.ن ، جـ1 ، 1986 م ، ص 151 .

[8] – البكري : مصدر سابق ، ص 41 ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 71 .

[9] – ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 74 .

أما بالنسبة للصناعات المحلية فقد اشتهرت بصناعة الأسماك المملحة وتعليبها نظراً لما تمتاز به من ثروة بحرية تحتوي على أنواع عديدة من الأسماك والتي تشتهر بطيب الطعم[1]، وصناعة الخزف المستخدم في صنع الأواني وأدوات لحفظ المياه [2]، كما اشتهرت بصناعة الأكسية والملابس الباهظة الأسعار وذلك راجع إلى جودتها ومتانتها ، وهذه الصورة انعكست على النساء اللاتي تفنن في غزل الصوف والنسيج غاية الإتقان [3]، كما امتاز أهلها بصناعة الفلانس* و أفاقوا في صناعتها وأبدعوا فيها لدرجة أن الكثير من أهل البلاد المجاورة حاولوا تقليدهم[4].

ونتيجة لما سبق فقد أصبحت تونس من أهم المراكز التجارية في المنطقة ، وبها العديد من الأسواق المرتبة والمنظمة تنظيماً دقيقاً يتفق مع الحركة الشرائية فيها ، وهذه الحركة غلب عليها طابع الغزل والنسيج وأن معظم تجارها نساجون وخياطون ، وتجار القماش والحرير ، ووجد إلى جانب هؤلاء العطارون والفرانون والقصابون، وبائعو الأشربة والعقاقير ، وتجار الحبوب والفواكه، مما أدى هذا إلى ازدياد النشاط التجاري ، حتى قصدها التجار الأمر الذي دفعهم إلى توفير المنشآت والمرافق المرتبطة بمثل هذا النشاط كالفنادق والحمامات التي أخذت تنتشر في المدينة ، حتى يتم استيعاب الوافدين عليها ، فبلغ عدد الحمامات فيها ما يقارب من الخمسة عشر حماماً[5] ، أضف إلى ما سبق ذكره توفير المحال التجارية ودور الصناعة من أجل تلبية حاجة التجار المتزايدة على البضائع والسلع المحلية مع توفير الأمن والاستقرار فزاد ذلك من أهميتها التجارية.

4 – قابس :-

أطلق على قابس جنة الدنيا ودمشق الصغرى لكثرة منتجاتها وخيراتها، فهي تحتوي على غابات كثيرة مملوءة بمختلف الأشجار كالزيتون،

---

(1) - الحميري : مصدر سابق ، ص 144 .

(2) - ابن أبي دينار : أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، 1993 ، ص 21 .

(3) - ليو الأفريقي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص ص 4 – 7 .

* - الفلانس : تشبه غطاء الرأس المعروف بالطاقية في الوقت الراهن .

(4) - Dozy .R: Supplement aut Dictionnaires Arabes Leyden , Brill 1881 .pp 376 -400.

(5) - البكري : مصدر سابق ، ص 4 .

والكروم، والنخيل،[1] والجوز والفستق،[2] والموز[3] ، و بكثرة أشجار التوت التي يصنع منها حرير رقيق[4] ، أما نخيلها فهو ملتف وكثير التمر والرطب طيب المذاق*[5] ، ومن غلاتها الزراعية الحناء التي تزرع بجانب الأشجار بكثرة، لدرجة أنها تصدر الفائض منها إلى جاراتها من المدن الأفريقية كتونس التي تشتهر بأسواق العطارين العامرة بالحناء القابسية[6].

وبالإضافة إلى المنتجات الزراعية هناك المنتجات الحيوانية كالألبان ومشتقاتها ، واللحوم[7] المستفاد منها بالدرجة الأولى في سد الحاجات اليومية، ومن منتجاتها الجلود المصنوعة بطريقة رائعة حيث يضاف إليها القرظ فتخرج طيبة الرائحة،ناعمة الملمس وبسبب كثرتها تقوم بتصديرها إلى الدول المجاورة[8] وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على انتشار المراعي الخصبة، والتي تضم أعداداً كثيرة من القطعان أسهمت بدورها في تطوير اقتصاد المنطقة وتوسع تجارتها.

وبمرور الوقت أخذت المدينة تتبوأ مكانة تجارية بين مدن المنطقة ، خاصة وأنها مدينة ساحلية تقع على البحر[9] ، لذا فلا شك في أنها تضم ميناءً عظيماً ترسو فيه السفن التجارية المحملة بمختلف البضائع ،مما يخلق حركة تبادل تجاري واسع وتجمع لمختلف التجار ، وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى مكان لتلك السلع فدفع بأهل المدينة إلى بناء الكثير من الأسواق والمحلات التجارية، وأكثرها بنيت في أرباضها ، وبجانبها وجدت الفنادق، والحانات ، والحمامات لغرض إيواء التجار الوافدين والذين كانوا سبباً في جعلها مركزاً تجارياً هاماً أدى إلى تزايد النشاط التجاري والذي دفع بدوره اقتصاد المنطقة إلى الأمام .

---

(1) - التيدلي : أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد ، رحلة التيجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981 ، ص ص 86 – 87 ، المرزوقي : محمد ، تاريخ جبة الدنيا ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1962 ، ص 16 .

(2) - أبو طالب الأنصاري : شمس الدين أبو عبد الله محمد ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، د . ر ، بيروت ، 1865 ، ص 234 .

(3) - ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ4 ، ص 328 + محمد المرزوقي : مرجع سابق ، ص 15 .

(4) - البكري : مصدر سابق ، ص 17 .

* - و لأهل قابس طريقة خاصة في جني التمر فهم يجنونه طريا ثم يودعونه فترة من الزمن لتخرج منه مادة عسلية يطلق عليها عسل التمر : الحميري : مصدر سابق ، ص 451 .

(5) - نفس المصدر .

(6) - محمد المرزوقي : مرجع سابق ، ص 16.

(7) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 70 .

(8) - نفس المصدر + محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 232 .

(9) - الحميري : مصدر سابق ، ص 450 .

5 - صفاقس :-

مدينة عامرة لوقوعها وسط غابة كثيفة الأشجار تميزت بمختلف أصناف الغلات الزراعية ، خاصة أشجار الزيتون ونظراً لجودة زيتها قصدها التجار من مختلف المناطق المجاورة ، ومن صقلية وبلاد الروم[1].

فضلاً عن كونها غنية بالثروة البحرية فكان السكان يصطادون أنواعاً شتى من الأسماك[2] ، كما يوجد في بحرها صوف البحر* المستخدم في صناعة الثياب الرفيعة ولا سيما الثياب الملكية ، بالإضافة إلى وجود صدف بداخله لؤلؤ صغير الحب [3].

لا شك في أن ذلك له تداعياته على الأحوال الاقتصادية ، حيث ظهرت الأسواق العامرة بمختلف أنواع السلع والمصنوعات التي دفعت التجار إلى الوفود إليها حاملين معهم منتجات بلدانهم والعائدين بكميات مختلفة من منتجاتها المحلية، وقد صاحب ذلك قيام العديد من المباني والعمارات المرتبطة بالنشاط التجاري، وهذا ما يؤكده وصف كل من ياقوت الحموي والإدريسي للمدينة اللذان ذكرا عنها:- " إنها مدينة قديمة عامرة ، ولها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وإلى جانبها هناك الأسواق والمساجد والحمامات والفنادق والقصور والرباطات "[4].

وبحكم أنها مدينة ساحلية أصبحت مركزاً وممراً تلتقي فيه السفن، مما يخلق تبادلاً في المصالح التجارية ، والتي عن طريقها بلغت المدينة مكانة متقدمة في التجارة مع توسعها وتنوعها.

---

(1) - البكري : مصدر سابق ، ص 20 .

(2) - الصفاقسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 108 .

* - وهو نوع من الصدف البحري ينبت على حجارة كأصبر البحر ويوجد في بحر المشرق وبلاد الروم و بالمناصير صفاقس وبلاد القيروان ، ويكون في صدفة كبيرة على قدر يد الإنسان أعلاها عريض وطرفها دقيق إلى الطول ولون الصدفة كلون صدفة اللؤلؤ وداخلها لونه أصفر مليح المنظر إلى الحمرة . http: // www.khayma.com/HAWAJ/baytar

(3) - التيجاني : مصدر سابق ، ص 68 .

(4) - مصدر سابق : ج 1 ، ص 280 ، مصدر سابق : جـ3 ، ص 252 .

6 – القيروان:-

يرجع بناؤها إلى القائد عقبة بن نافع الفهري سنة (50 هـ / 670 م) خوفاً على جنده من انتفاضات وثورات البربر[1] ، وقد روعي في بنائها أن تكون بعيدة عن البحر حتى لا تتعرض لهجوم أساطيل البيزنطيين[2] ، وأول ما اختط فيها دار الإمارة والمسجد[3] ثم نظر في أمر المؤسسات والمرافق العامة وعلى رأسها المحال والأسواق[4] ، وهكذا أصبحت من أعظم المدن الإسلامية ولا سيما بعد اتخاذها قاعدة سياسية وحربية تخرج منها الجيوش الإسلامية لنشر الدين الإسلامي في باقي الأقطار المجاورة والبعيدة، لذا اعتبرت النموذج الأساسي للمدينة الإسلامية في حضارتها وفنها المعماري ، وفي نشاطها التجاري الذي حرص عليه القائد عقبة بن نافع كل الحرص ، فعمرت الأسواق لأهميتها التجارية والصناعية التي تحتاج إليها مدينة حربية تخرج منها الجيوش فكانت تضم اكبر سوق وهو ما يعرف باسم السماط يبدأ من المسجد إلى باب الربيع ، ثم من المسجد إلى باب تونس[5] ، وبما أنها تضم اكبر سوق في ذلك الوقت فلا شك في أنها كانت تعيش حياة اقتصادية مستقرة ،عامرة بمختلف السلع و البضائع التجارية و مقصدا للتجار من كل حدب وصوب والذين أسهموا في جعلها أحد المراكز التجارية الهامة، بل احتلت مركز الصدارة لكثرة أسواقها المتصلة مع بعضها بعضاً ، إلى أن نظر في أمرها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ثم الوالي العباسي يزيد بن حاتم المهلبي (156 هـ / 772 م) الذي قام بتنسيق أسواق المنطقة وترتيبها فجعل لكل حرفة مكاناً خاصاً بها[6] ، يرأسها عريف أو أمين، مع إيجاد علاقة بينهما لأن من ضمن وظائف العريف الإشراف على

---

(1) - البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود ، فتوح البلدان ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1992 ، ص 265 ، ابن عبد الحكم : مصدر سابق ، ص 55 ،ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 20 .

(2) - مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ص 113 – 114 ، محمد محمد زيتون : مرجع سابق ، ص 75 ، الغنيمي : عبد الفتاح مقلد ، موسوعة المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1994 ، جـ1 ، ص 78 .

(3) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 19 .

(4) - ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ4 ، ص 477 .

(5) - محمد محمد زيتون : مرجع سابق ، ص 93 .

(6) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 78 .

سير التجـارة ، ومقاومة الغش وتكوين علاقات حسنة بين التجـار و أصـحاب الحرف، والحرص على صون حق الأجير[1].

وبهذه الكيفية احتوت القيروان العديد من الأسواق إلـى جانـب السـوق الكبيـر، وكلها أسهمت إسهاماً فعالاً في ازدهار المدينة اقتصاديا ورواج منتجاتها، فمـن أسواقها : سوق العطارين – البـزازين – الـدباغين – الجوهريين – وسوق البركة *[2]– الرهادنة[3] – اليهود – الزهاد[4] – الصيارفة **[5].

من خلال ما تقدم يتبين أن المدينة قامت بدور رئيس ومؤثر فـي النشـاط التجاري ليس لتجار المنطقة فحسب بل ولتجار المشرق الإسلامي، نظـراً لكثـرة السلع ، والصناعات التي تفنن فيها الأهالي لدرجة وجود أحياء تحمل اسم الصناعة ذاتها، فعلى سبيل المثال : حي الزجاجين والذي عرف عن أهله أنهم متخصصون في صناعة الأواني والأدوات الزجاجية[6] ، وبذلك أصبحت مركز التقاء تجـارى بين المغرب والمشرق الإسلاميين ، والذي ساعدها رواج أسواقها بسـلع العبـور وذلك بحكم علاقاتها التجارية الواسعة مع بلاد السودان الغربـي مـوطن الـذهب بالإضافة إلى الرقيق[7]، كما كان لها علاقات تجارية مع الأندلـس وصـقلية[8] وبما أنها ملتقى لتجار أقطار مختلفة من العالم بما فيها تجار سلع العبور فهـي إذاً مقر للتجارة العالمية بمنطقة الشمال الأفريقي.

فعلى الرغم من أنها لم تكن بلداً زراعياً وتستورد بعض الغلات الزراعيـة من جاراتها*** إلا أنها كانت مثالاً يحتذي به في حركتها التجارية وتنظيم أسواقها من قبل العديد من المدن الإسلامية ، التي سـرعان مـا اتخـذت نفـس الطـابع

---

(1) ـ حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ1 ، ص 58 .

* ـ سوق البركة : ويتم فيه عرض وبيع الرقيق والجواري .

(2) ـ المقدسي : مصدر سابق ، ص 225 ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ1 ، ص 58 .

(3) ـ المصدر نفسه : ص 30 ، كحلاني : عثمان ، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، طبع في معهد الدراسات العربية ، د . ن ، 1965 ، ص 8 ، حياة محمود : مرجع سابق ، ص 359 .

(4) ـ المصدر نفسه : ص 235 ، محمد محمد زيتون : مرجع سابق ، ص 94 ، القاضي عياض : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، تراجم أعلية ، تحقيق محمد الطالبي ، المطبعة الرسمية التونسية ، تونس ، 1968 ، ص 359 .

** ـ سوق الصيارفة : فيه خاص بالمعاملات المالية .

(5) ـ الدباغ : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق محمد ماضور ، د . ن ، تونس ، 1978 ، جـ3 ، ص 203 ، عبد العزيز مبيدي : مرجع سابق ، ص 55 .

(6) ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ2 ، ص 409 .

(7) ـ الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي ، ص 68 ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ1 ، ص 435 .

(8) ـ زيدان : جرجي : تاريخ التمدن الإسلامي ، مطابع دار الهلال ، د . ن ، 1957 م ، جـ5 ، ص47 .

*** ـ نظراً لقلة مياهها فلم تكن بلد زراعي فعلى الرغم من وجود مختلف أنواع الذاكية إلا أنها تثيرة الحبوب كالقمح والشعير لذا فهي مضطرة إلى استيرادها من جاراتها وفي مقدمتها تونس وسوسة وقابس وبونه . أبو الأفريقي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 90 .

التخطيطي والتنظيمي للمدينة مع تطبيق الأحكام المتعلقة بذلك والخاضعة لأصول الفقه الإسلامي[1] ، بل تعدى الأمر إلى خضوعها لأسعار موحدة وما يترتب عليها من ارتفاع وانخفاض[2].

كانت المدينة مركزاً تجارياً في وسط طريق قوافل ملئ بالتجار، ومن أجل خدمتهم زودت بالفنادق والحمامات مما جعل أسواقها في حركة تجارية دائمة حافلة بكل الواردات التي تأتي إليها من نظيراتها من المدن الأخرى ، والصادرات التي تحملها القوافل التجارية المارة بها إلى بلدانها فتكون تلك القوافل حاملة بخيرات الشرق والغرب معاً ، وذلك راجع إلى موقعها الجغرافي بالدرجة الأولى، هذا الموقع الذي كان سبباً في جعلها محل إعجاب بعض المؤرخين والجغرافيين العرب ومنهم على سبيل المثال : الإدريسي الذي وصف المدينة وانتعاشها الاقتصادي ورواج تجارتها بقوله أنها " أم الأمصار ، وأعظم مدن المغرب ، وأكثرها سكاناً وأيسرها أحوالاً ، وأوسعها أموالاً ، وأتقنها بناءاً ، وأنفسها حجماً، وأربحها تجارة ، وأكثرها جباية ، وأنفقها سلعة ، وأغلاها ربحاً[3] "وقد وصفها ابن عذاري بنفس الوصف وإن اختلفت كلمات ذلك الوصف[4] ويتفق ابن حوقل مع كل من الإدريسي وابن عذاري حيث قال عن وصفها :- " أعظم مدينة بالمغرب، وأكثرها تجراً وأموالاً ، وأحسنها منازلاً وأسواقاً ، وكان فيها ديوان جميع المغرب ، وإليها تجبي أمواليا ، وبها دار سلطانها[5] .. ".

أما المقدسي فجعلها من أكبر عواصم الإسلام، وهذا ما يؤكده حديثه عن المدينة حيث قال :- " مفخرة المغرب ، ومركز السلطان ، وأحد الأركان ، أرفق نيسابور ، وأكبر من دمشق ، وأجل من أصبهان[6] ".

وأن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عقل سليم واختيار حسن لموقعها عند التشييد ، فنتيجة ليذا الاختيار ووقوعها في بساط الأرض جعلها تأخذ مكانتها

---

(1) ـ الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي ، ص 69 .
(2) ـ البكري : مصدر سابق ، ص 56 .
(3) ـ مصدر سابق : جـ1 ، ص 284 .
(4) ـ الذي اتفق مع الإدريسي في وصف المدينة وان كانت الكلمات مختلفة لكنها تعطي نفس المعنى فمثلا قال الإدريسي أكثرها سكاناً ، أما ابن عذاري فقال أكثرها بشرا ... مصدر سابق : جـ1 ، ص 208 .
(5) ـ ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 94 .
(6) ـ مصدر سابق : ص 225 .

التجارية وترتقي بها حتى صارت من المراكز التجارية الهامة داخل المنطقة ، فمن جهة الغرب تحيط بها تونس ، وفي الشرق توجد سوسة والمهدية فيما بعد ، أما من جهة القبلة فصفاقس وقابس ، فهي إذاً واقعة في وسط مدن الشمال التونسي.

ثالثاً : - أهم المراكز التجارية في الجزائر :-

1 - ورقلة :-

فهي عبارة عن واحة في صحراء نوميديا بالجزائر ، يكثر بها النخيل ، وسكانها بسطاء ، غالبيتهم صناع ؛ وهي حلقة وصل بين الجزائر والسودان الغربي ، فكانت مقصداً للتجار والباعة ، عندئذ تحولت إلى مركز تجاري هام، يعج بالسلع التي يحملها التجار معهم ، إضافة إلى المنتجات المحلية[1] وأهمها القمح ، والأسلحة ، والأقمشة بأنواعها ، فضلاً عن الملح ، واللحم ، والسمن[2].

وبما أنها حلقة وصل مع السودان فقد توفر بها أهم سلعتين (الذهب والرقيق) اللتين لفتت أنظار التجار إليها ، مما دفع بالأهالي إلى إقامة الفنادق والحمامات لغرض إقامتهم وإيوائهم.

2 - تاهرت :-

عندما تمكن عبد الرحمن بن رستم من الانتصار على ابن الأشعث انصرف إلى تأسيس دولة تكون خاصة به وبأبناء جلدته من الرستميين ، وينزل فيها مع أتباعه وأنصاره ويتخذها عاصمة يباشر منها مهام الحكم والإدارة ، لذا راح يبحث عن موقع مناسب فوقع اختياره على مكان يبعد خمسة أميال من تاهرت القديمة[3].

بدأ ابن رستم بعد أن وجد الموضع الملائم في عملية التخطيط وقد حفر الأساس سنة (144 هـ / 761 م)[4] فأقبل الناس على بناء الدور والقصور، والمساجد ،والحمامات ، والفنادق ، والحوانيت ، والأسواق ، وبذلك اكتملت المدينة

---

(1) - حسيلة احمد التكتك : مرجع سابق ، ص 129 .
(2) - ليو الأفريقي : مصدر سابق ، ص 508 .
(3) - البكري : مصدر سابق ، ص 67 ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، ص 454 .
(4) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 277 ، موريس لومبار : مرجع سابق ، ص 91 .

التي امتازت بموقعها الاستراتيجي ، حيث تقع على سفح جبل جزول المرتفع ؛ وبأرضها الخصبة الصالحة للزراعة وفيها نهر مينية الذي لا ينقطع ماؤه، بالإضافة إلى العيون[1] مما جعلها ذات بساتين مليئة بمختلف أنواع الأشجار وأبرزها : الكتان ، والسمسم ،والحبوب[2]، والسفرجل ، الذي من حسنه ولذته يفوق سفرجل سائر الأفاق ، ولا شك في أن كل ذلك أسهم في أن تعرف بعراق المغرب أو بالعراق الصغرى[3] لأنها مدينة عظيمة ، ذات نمو سكاني كبير مزدهرة اقتصادياً وفي حالة رائجة تجارياً ، ولا سيما أن بها موانئ مثل تنس، وفروخ ، ومستغانم حيث ترسو فيها الكثير من السفن التجارية المحملة بمختلف السلع و البضائع ، ومن أهم مراسيها مرسى ميران الذي يربط المدينة مع الأندلس[4] مما أدى إلى قيام علاقات اقتصادية تجارية بين الطرفين على نحو فريد تمثل في التسهيلات التي منحها الرستميون للتجار الأندلسيين حيث فتحوا أمامهم الطريق إلى سائر بلدان العالم الإسلامي[5] وذلك بحكم علاقة المدينة الوثيقة مع بلاد المشرق الإسلامي و السودان الغربي ، مما دفع بالتجار إلى التهافت عليها في عملية أخذ وعطاء فمن جملة منتجاتها : المنسوجات على اختلاف أنوعها والقوارير الزجاجية ، والأواني الخزفية البراقة الملونة ، والأصواف، والتحف، والبخور، والعطور،[6] والعسل ، والسمن[7]، في الوقت الذي يرد إليها (خاصة من السودان الغربي) الذهب ،والعاج، وريش النعام، والجلود[8]، وأن مثل هذه البضائع دفعت بالأهالي إلى بناء العديد من الأسواق ، لدرجة وجود بعض الأسواق التي تنتسب في تسميتها إلى أشخاص كسوق ابن وردة الفارسي، وبدورها أسهمت في توسيع اقتصاد المدينة وتطويره، كما أن موقعها المتوسط بين المغربين (الأدنى والأقصى):والعلاقات الحسنة التي كونتها مع بلاد السودان والأندلس[9]

---

(1) ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص 178 .
(2) ـ محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 231 .
(3) ـ نفس المرجع ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الإسلامي ، ص ص 458 – 459 .
(4) ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص 456 .
(5) ـ محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 219 .
(6) ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الإسلامي ، ص 491 ؛ محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 234 .
(7) ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص 458 .
(8) ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص 491 ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 234 .
(9) ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص 491 .

والمشرق الإسلامي بما فيه مصر وسواحل البحر المتوسط ووقوعها على طريقين من أشهر الطرق التجارية آنذاك ألا وهي طريق الشرق والغرب ، وطريق الشمال والجنوب[1] كل ذلك هيأ لها أن تحتل مركزاً تجارياً في المنطقة بأسرها، وجعلها محط أنظار للعديد من القوافل التجارية ، كما قام الأهالي بدور الوسيط التجاري ، فأخذوا من المشرق وأعطوا الأندلس ، فكانت بلادهم بمثابة ماء الحياة الذي أوجد الانطلاق الاقتصادي، لاسيما وأن الأندلس في أمس الحاجة إلى الأسواق الخارجية لتصريف منتجاتها التي زادت بسبب تقدم الأمويين في ميادين الزراعة و الصناعة،كما كانت في حاجة للحصول على بعض المواد الخام من البلاد الإسلامية وبلاد السودان،فسيل الرستميون عليها المية وفتحوا لها موانيم.

هكذا أصبحت قوة اقتصاد المدينة سنداً للإمارة الأموية في عمليات التصدير والاستيراد ، وترددت أصداء هذا الازدهار الاقتصادي بصورة خاصة في نشاط الأساطيل التجارية الأندلسية.

3 - توات :-

تعتبر توات من المراكز التجارية الهامة رغم وقوعها في وسط الصحراء فهي واقعة على طريق تجاري مار ما بين الشمال الأفريقي وبلاد السودان الغربي ، وكان التجار يقضون فيها ساعات طويلة لغرض الراحة والماء والغذاء[2].

وأثناء ذلك يقومون بعرض سلعهم وبضائعهم ، فأدى ذلك إلى وجود أسواق رائجة بالبضائع والمنتجات المتنوعة ، وبالتالي وفود التجار عليها من كافة الأقطار حتى أصبحت المدينة عامرة اقتصاديا ، وفيها يقول ابن خلدون:- " فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة ، وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المئتين [200] ، آخذة من الغرب إلى الشرق ، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران ، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان ... " [3].

والظاهرة الغريبة التي يمكن أن نلاحظها وجود التجار اليهود بشكل لا مثيل له،حيث يعتبروا المحرك الهام للتجارة فيها ، بل وتسير عن طريقهم[4] ، مع تمكنهم من لعب

---

(1) - محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 233 .

(2) - حميدة أحمد الكتكيك : مرجع سابق ، ص 128 .

(3) - ابن خلدون : العبر ، ج7 ، ص ص 117 - 118 .

(4) - زيادنة : عبد القادر ، القلصادي محمد بن عبد الكريم السفيلي ، مجلة الأصالة ، الجزائر ، السنة الرابعة ، العدد (26) ، 1975 ،ص 211 .

دور الوسطاء في عملية التبادل التجاري فكانوا على اتصال مع تجار القوافل وتجار السفن ، وإلى جانب التجارة اشتغلوا في جوانب اقتصادية أخرى كصناعة الحلي وضرب النقود[1] ، وقد هيأ لهم فتح أسواق عديدة وعن طريقها احتلت توات مركزاً تجارياً هاماً جلب لها أموالاً باهظة ، أدت إلى بلوغها مراتب متقدمة في التجارة ، كما أنها أصبحت ملتقى هاماً لعدد كبير من القوافل التجارية القادمة من منطقة الشمال الأفريقي والذاهبة إلى ممالك جنوب الصحراء والعكس.

رابعاً : – أهم المراكز التجارية في المغرب الأقصى :-

1 – سجلماسة :-

تأتي سجلماسة في مقدمة المراكز التجارية، ولها أهمية تجارية على مستوى البلاد الإسلامية في تلك الحقبة، وقد ميزها عن غيرها موقعها الممتاز على أعتاب الصحراء [2] ، ووقوعها على مفترق الطرق[3] والمسالك التجارية[4] ولا سيما تجارة القوافل التي تمر بغانة والسنغال وبلاد السودان[5] ، وهذا ما جعلها على اتصال مباشر بمصادر الذهب أهم سلعة آنذاك ، وبذلك أصبحت سجلماسة على علاقة وثيقة مع بلاد السودان الغربي.

أما بالنسبة لموارد ثروتها الداخلية فاعتمدت على الزراعة ، وخاصة زراعة النخيل الذي در على سكانها أموالاً باهظة إلى جانب أنواع الفاكهة الأخرى[6] ، وقد اعتمد سكانها على الصناعة ، فنساؤها شاركن في هذا المجال ،وكان لهن يد في صنع غزل الصوف والنسيج الذي صاحبه صناعة الثياب التي لا يمكن الاستغناء عنها ، حيث كان الطلب عليها في تزايد مستمر[7] ،وإلى جانب الصناعة كانت التجارة مورداً اقتصادياً هاماً [8].

---

(1) – حجي : محمد ، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1977 ، ص 268 .

(2) – السالح : الحسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986 ، ص 143 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 86 .

(3) – De La Ronciere :op . cit , p . 157

(4) – ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 84 .

(5) – السالح : مرجع سابق ، ص 143 ، العربي : إدريس صالح ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الدولة الرستمية ومدن جنوب الصحراء الكبرى والسودان في نشر الإسلام هناك ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، العدد الأول ، يناير ، 1983 ، ص 78 .

(6) – المقدسي : مصدر سابق ، ص 231 ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ3 ، ص 217 .

(7) – ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ3 ، ص 217 ، القزويني : مصدر سابق ، ص 42 ، الحميري : مصدر سابق ، ص 54 ، الدالي : الهادي المبروك ، مملكة سالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن (13 - 15 م) ، تقديم محمد رزق ، دار الملتقى ، بيروت ، 1993 ، ص 142 .

(8) – الجلخاني : الحبيب ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 ، ص 176 .

وعلى وجه التحديد تجارة الذهب مع غانة والسنغال وبلاد السودان[1] ، وهذه التجارة جعلتها على قدر كبير من القوة الاقتصادية ، وذات هدف تجاري يقصده التجار[2]، وقد استفاد الأهالي من تنامي الحركة التجارية فيها حتى عرف عنهم الغنى والثراء ، وبالتالي زادت فرص العمل أمامهم سواء في بيع السلع أو في خدمة التجار الوافدين ، فانتشرت الحمامات ، وازدهرت الأسواق، وعمت التجارة، وأصاب أهلها الغنى وسعة الحال[3] ، حتى أصبحت مدينة كبيرة كثيرة العمارة ،و مقصد للوارد والصادر ، كثيرة الخضر والجنات ، رائعة البقاع والجهات ، وهي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر كثير الماء[4].

ولم تقتصر أهمية المدينة على الناحية التجارية فحسب، بل شملت المراعي الفسيحة التي تربي فيها أعداد كثيرة من الإبل أهم وسيلة نقل ، مما زاد في تشجيع التجار على حمل البضائع واستخدامها في عبور المناطق الصحراوية تجاه بلاد السودان والبلدان الأخرى ، ويبدو أن توفر الإبل فيها جعلها مركزاً لتجمع الحجيج[5] ، هذا المركز الذي أتاح الفرصة لحمل البضائع وبيعها في هذا الموسم .

وأمام هذه الحركة التجارية والثراء الكبير أصبحت مركزاً تجارياً داخل المنطقة وميناءً صحراوياً تتجمع فيه السلع ، فضلاً عن أنها حلقة وصل بين مناطق الشمال الأفريقي والمدن السودانية في الجنوب مما أسهم في دفع اقتصاد البلاد إلى مراتب متقدمة.

2 – فاس :-

تمتاز مدينة فاس بموقعها المتوسط الذي مكنها من الاتصال بشكل مباشر بأهم المدن والمراكز التجارية داخل المنطقة مثل: سجلماسة، وسبتة ،والقيروان، حتى وصفت بقاعدة المغرب الأقصى[6].

---

(1) ـ الحبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، ص 176 ، حسن السائح :مرجع سابق ، ص 143 .

(2) ـ جميلة أحمد التكليك : مرجع سابق ، ص 126 .

(3) ـ حسن السائح : مرجع سابق ، ص 143 ، زيتير : محمد أحمد ، المغرب في العصر الوسيط ،منشورات كلية العلوم الإنسانية ، الرباط ، د.ت ، ص 414 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 86 .

(4) ـ الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 225 .

(5) ـ فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 87 .

(6) ـ ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ3 ، ص 192 ، القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الفزاري ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ، جـ3 ، ص ص 152 – 156 .

ولم يكن موقع المدينة السبب الوحيد وراء أهميتها التجارية ، بل إن توفر البضائع بأصناف وأنواع مختلفة كان سبباً أخر في هذه المكانة ، فقصدها التجار من مختلف المناطق المجاورة والبعيدة لضمان وجود ما يحتاجونه من بضائع[1] وبخاصة تجار اليمن وبلاد السودان ومصر والشام الذين جلبوا معهم بضائع وسلع بلدانهم ثم عادوا محملين بما يجدونه في أسواق المدينة ، ولذا أصبحت فاس مركزاً وممراً آمناً يتبادل فيه التجار مصالحهم[2] مما أدى إلى بلوغها مكانة متقدمة جعلت منها أعظم مدينة في المنطقة من مصر إلى أخر بلاد المغرب[3] وليس بالمشرق ولا بالمغرب مدينة تضاهيها[4].

وقد حرص أهلها على توفير المنشآت والمرافق العامة التي تخدم التجار الوافدين عليها كالفنادق ، والحمامات التي بلغت عشرين حماماً ، والارحاء، والمساجد ، والأسواق[5] التي كانت على قدر كبير من الأهمية ، ويجلب إليها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة [6]، والمطاحن لطحن الحبوب ، ولا شك في أن هذه المؤسسات زادت من أهميتها التجارية التي كانت دافعاً وراء زيادة المنشآت الاقتصادية بشكل كبير ،لاستيعاب الطلب المتزايد على البضائع والسلع المحلية[7].

وقد بلغت المدينة قمة الكمال الاقتصادي ، وهذا الجمال أثار إعجاب المؤرخين والجغرافيين العرب ، ومنهم على سبيل المثال اليعقوبي[8] ، وابن حوقل[9] ، والإدريسي[10] ، والبكري[11] وأخذ كل منهم يصفها بطريقته الخاصة، فمثلاً وصفها اليعقوبي في القرن(3 هـ / 9 م) بقوله :- " ثم يدخل إلى المدينة العظمى التي

---

(1) - حسن علي حسن : مرجع سابق ، ص 271 ، سعد زغلول عبد الحميد : مرجع سابق ، جـ3 ، ص 445 .
(2) - ابن عذاري المراكشي : مصدر سابق ، ص 181 ، حسن علي حسن : مرجع سابق ، 271 ، طه : جمال أحمد ،مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، د.ت ، ص 236 ، محمد أحمد زنيبر : مرجع سابق ، ص 371 .
(3) - ابن عذاري المراكشي : مصدر سابق ، ص 180 .
(4) - القلقشندي : مصدر سابق ، جـ5 ، ص 153 .
(5) - ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص 46 .
(6) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 246 .
(7) - البكري : مصدر سابق ، ص 115 ، ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص 48 ، الجزنائي : كتاب تاريخ مدينة فاس المعروف بزهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2001 ، ص ص 76 – 77 ، جمال طه : مرجع سابق ، ص 234 ، محمد أحمد زنيبر : مرجع سابق ، ص ص 372 – 373 .
(8) - مصدر سابق : ص ص 357 – 358 .
(9) - مصدر سابق : ص ص 89 – 90 .
(10) - مصدر سابق : جـ1 ، ص ص 75 - 76 .
(11) - مصدر سابق : ص 115 .

يقال لها مدينة أفريقية على النهر العظيم الذي يقال له فاس ، وبها يحيى بن يحيى بن إدريس ، وهي مدينة جليلة ، كثيرة العمارة والمنازل ، ومن الجانب الغربي من نهر فاس وهو نهر يقال أنه أعظم من جميع أنهار الأرض ، عليه ثلاثة آلاف رحى تطحن ..." [1].

ومن خلال ما تقدم تبين أن المدينة قامت بدور رئيس ومؤثر في النشاط التجاري ، ليس لتجار المنطقة فحسب ، بل وللتجار الأجانب أيضاً، وهذا الدور كان نتيجة لتوفر البضائع المتنوعة ، وموقعها المتوسط فقصدها التجار للحصول على مبتغاهم دون الحاجة لقطع مسافات طويلة.

3 – أغمات :-

من أكبر المراكز التجارية في المغرب الأقصى ، وأحد المراكز لتجمع القوافل المتوجهة نحو الصحراء في المنطقة عامة ، وفي المغرب الأقصى خاصة[2] ، وعلى الرغم من انقسام المدينة بين قبيلتي هيلانة – وريكة إلا أن ذلك لم يؤثر على نشاطها التجاري ، فأغلب تجارها يملك الواحد منهم بشكل عام ما بين سبعين إلى مائة جمل[3] مما يعكس ذلك مدى ثراء أهلها، وهذا ما أكده الإدريسي في حديثه عن المدينة بقوله :- " وهم أملياء تجار مياسر "[4].

4 – سبتة :-

تعتبر سبتة مدينة ساحلية تطل على البحر المتوسط حيث مكنها موقعها من الاتصال بالمراكز التجارية المطلة على البحر في مختلف المناطق[5] ولا سيما التي يتعذر الوصول إليها عبر الطرق البرية ، وبذلك أصبحت مركزاً تجارياً هاماً تتجمع فيه بعض البضائع المحلية والتي أشهرها قصب السكر ، والفاكهة ، وبعض المنتجات البحرية كالحوت ، والتنين ، وشجر المرجان ، والياقوت ، والجرم الصغير العريق في الجودة[6]، ونتيجة لكثرته خصصت له العديد من الأسواق لصنعه وثقبه ثم تصديره إلى غانة وجميع بلاد السودان[7]، وفي مقابل ذلك تتجمع فيها البضائع التي تجلب من بلاد السودان

---

(1) – مصدر سابق ، ص ص 357 – 358 .
(2) – البكري : مصدر سابق ، ص 153 ، الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 232 ، ابن عبد ربه العقيد : مصدر سابق ، ص 207 .
(3) – الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 231 – 232 .
(4) – نفس المصدر والجزء : ص 232 .
(5) – ابن سعيد : مصدر سابق ، ص 73 .
(6) – ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 202 ، حسن المالح : مرجع سابق ، ص 142 .
(7) – حسن المالح : نفس المرجع .

والمراد تصديرها عن طريق البحر ، كما كانت مركزاً لرسو السفن المحملة بالسلع الرائجة في أسواق المنطقة أو تلك المجلوبة من الخارج[1].

إضافة لذلك كان لموقع المدينة أهمية بالنسبة لحركة القوافل البرية للمدن الساحلية، حيث ربطت بين تلك المدن، وبالتالي توسعت الطريق بين الشرق والغرب [2]، وفي ظل ذلك النشاط الاقتصادي انتشرت العديد من الفنادق والأسواق وهذه الأخيرة تجاوز عددها المائة سوق [3] ، وهذا العدد يعكس حجم البضائع والسلع داخلها أو تلك الوافدة عليها من الخارج .

وبذلك تكون المدينة قد وصلت إلى مراحل متقدمة من الناحية الاقتصادية وأنها من أهم المنافذ التجارية البرية والبحرية ، والمنطقة بشكل عام تعج بحركة شرائية وتصدير الفائض إلى غيرها من المدن ، وفي مقدمتها الإسكندرية حيث زود الطريق البحري بينهما بأبراج المراقبة ، فأصبحت السلع تنقل في يوم واحد رغم بعد المسافة.

إن توفر السلع التجارية بمختلف أنواعها في مراكز المنطقة بصفة عامة أدى ــ ودون أدنى شك ــ إلى وجود بعض الصناعات القائمة عليها ، ولا سيما تلك البسيطة التي تقوم على الثروة الحيوانية والزراعية خاصة الضرورية والتي لا يمكن الاستغناء عنها ، وفي الوقت نفسه تسد حاجيات الأهالي اليومية ، فمثلاً هناك صناعة العسل ، وزيت الزيتون ، وعصائر الفاكهة ، والتين المجفف، وأيضاً استخراج ملح الطعام والتي تعد من الصناعات الرئيسية ، هذا فضلاً عن صناعة الدقيق من الحبوب (القمح والشعير).

كما عرفوا بعض الصناعات القائمة على الجلود مثل صناعة الأحذية والحقائب والثياب الجلدية التي تصنع من جلود الأبقار والنمور، وكذلك صناعة الدلو المستعملة في رفع المياه ، بالإضافة إلى بعض الأدوات الأخرى ، أو تلك القائمة على سعف النخيل ، مثل الوعاء المستخدم لنقل التمور ، والفراش أو ما يعرف باسم (الديسة).

---

(1) ـ محمد أحمد زنيبر : مرجع سابق ، ص ص 371 – 372 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 91 .
(2) ـ البكري : مصدر سابق ، ص 115 .
(3) ـ محمد أحمد زنيبر : مرجع سابق ، ص 376 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 92 .

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على غنى المنطقة بوفرة الخيرات، فتاريخها الاقتصادي – ولا سيما في القرون الأولى للإسلام – كان في حالة انتعاش ورواج جذب إليها التجار من كل مكان وعلى اختلاف جنسياتهم ، فكان فيها التجار اليهود ومن صقلية والأندلس ، وتجار الممالك الجنوبية عبر الصحراء ومصر، وتجار الفرس والعراق وسوريا.

كانت المراكز السابقة أهم المراكز التجارية داخل حدود المنطقة وذات أهمية تجارية لا مثيل لها ، ومما لا شك فيه وجود بعض المراكز الأخرى الصغيرة والتي لم تكن بنفس أهمية المراكز المذكورة ، والملاحظ عليها أن غالبيتها غير ساحلية باستثناء سبتة – سوسة – تاهرت – صفاقس – قابس – وتونس ، التي بسببها وجدت التجارة البحرية ، ولكن لم تكن مثل التجارة البرية ذات النصيب الأكبر في المنطقة وتحتل مركز الصدارة ، والتي ساعدت في إثبات حضورها على ساحة التجارة العالمية بأن تنوعت السلع المصدرة من المنطقة سواء أكانت محلية أم سلع عبور ، وعلى وجه التحديد معدن الذهب القادم من بلاد السودان الغربي.

الفصل الثالث : السلع والأسواق التجارية

المبحث الأول : السلع التجارية

المبحث الثاني : الأسواق التجارية

المبحث الأول : السلع التجارية :-

أ – أهم سلع المنطقة :-

إن ما يميز مدن الشمال الأفريقي بصفة عامة هو احتوائها على العديد من المواد التجارية التي تعتمد بالدرجة الأولى على الإنتاج الزراعي والرعوي ثم الصناعي ، و قد استفاد منها السكان بشكل كبير سمح لهم بالمتاجرة بها ، فهم صنعوها للاستفادة منها في أمور أخرى ولسد حاجاتهم اليومية ، وفي نفس الوقت عادت عليهم بالربح الوفير وقد نقلها التجار من مدينة إلى أخرى حسب الحاجة والطلب.

لهذا نجد أن مدن المنطقة خاصة مدن المغربين الأدنى و الأقصى في حركة تجارية دائمة ، وفي عملية نقل مستمرة للسلع والصناعات إلى غيرها من الدول خاصة الأندلس ، ومصر ، والمشرق الإسلامي ، وممالك جنوب الصحراء، في حين تستورد بعض المنتجات وعلى رأسها الذهب من هذه الأخيرة فأدى ذلك بطبيعة الحال إلى قيام نوع من التبادل أو التكامل بين الأسواق التي أصبحت تعج بمختلف السلع والبضائع .

فالسلع التي اشتهرت بها المنطقة وكانت فائضة عن الحاجة وتتاجر بها هي أنواع الفواكه المختلفة والتمر الذي يوجد بكثرة في قفصه والزاب[1] ، والفستق الذي اعتبر من أجود الأنواع [2].

أما برقة فكانت تتاجر بالعديد من المواد منها الفلفل ، والشمع ، وزيت الزيتون، والثياب ، والأكسية القطنية[3] ،واشتهرت كل من جالو، وودان، واجدابيا، وسرت بزراعة النخيل ، والزيتون الذي اشتهرت به كل من سرت ، واجدابيا، هذا بالإضافة إلى الحبوب مثل الحمص ، والفول الموجود في باجة[4] ، والجلولاء التي اشتهرت إلى جانب حبوبها بالنباتات العطرية – مثل الياسمين، والبنفسج – والفواكه[5]، هذا في الوقت الذي اشتهرت فيه قابس بالموز،

---

(1) - البكري : مصدر سابق ، ص 47 ، ابن سعيد: مصدر سابق ، ص 126 .
(2) - الوزير السراج : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 420 .
(3) - المقدسي : مصدر سابق ، ص 239 ، ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 69 .
(4) - البكري : مصدر سابق ، ص 56 ، الحميري : مصدر سابق ، ص 75 .
(5) - مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص 116 .

والجوز ، والفستق [1] أما القطن فكان يوجد في قرطاجنة[2]، وزيت الزيتون في صفاقس [3] ، أما السفرجل* المعتق فكان في المسيلة[4].

وقد اشتهرت سجلماسة ودرعة بزراعة النخيل، والقطن ، والذرة ، والكمون، والكروياء ، والحناء [5]، وعرفت كذلك بلاد السوس بوفرة الخضروات والفواكه على اختلاف أصنافها وهذا يعود إلى خصوبة تربتها ووفرة مياهها ، إلا أن أبرز ما يزرع فيها قصب السكر الذي عرف بالصفاء والطيب وتكثر زراعته على جانبي نهر السوس [6] ، أضف إلى ذلك الحبوب (القمح ، الشعير) ، الموجودة فيها بكثرة [7] أما مدينة مكناس فيكثر فيها العنب والزيتون حتى عرفت بمكناسة الزيتون [8].

هذه أهم المناطق التي تكثر فيها المواد الزراعية والتي تنتجها بكثرة وتصدر الفائض منها ، وإلى جانبها وجدت مناطق في المغرب الأوسط اشتهرت هي الأخرى بالإنتاج الزراعي منها الجزائر بني مزغنة وقلشانه اللتان اشتهرتا بزراعة التين الأخضر[9].

إن هذا التنوع في المحاصيل راجع إلى تمشيها مع نوعية المناخ والتضاريس، وإلى أرضها الخصبة الصالحة لكل أنواع الزروع ، وكذلك المهارة التي امتاز بها الأهالي في الزراعة واكتسابهم الخبرة التي يحتاجها كل صنف مع الاهتمام بها .

غير أن هذا الاهتمام لم يقتصر على الإنتاج الزراعي ، بل كان للإنتاج الرعوي نصيب منه ، فبالإضافة إلى المواد الزراعية من خضروات ، وفواكه،

---

(1) - البكري : مصدر سابق ، ص 17 ، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص 143 .
(2) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ص 75 – 119.
(3) - مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص 116 ، أبو طالب الأنصاري : مصدر سابق ، ص 234 .
* - السفرجل : شجرة ذات أغصان تشبه التفاح والكمثرى ، ثمارها منها الحامضة ومنها الحلوة . مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق محمد عيسى صالح وإحسان صدقي ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1984 ، ص 231 .
(4) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 85 .
(5) - اليعقوبي : مصدر سابق ، 389 ، الحميري : مصدر سابق ، ص ص 236 – 305 ، ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 90 ، الإدريسي : مصدر سابق ، جـ ، ص 266 .
(6) - ابن عبد ربه الحفيد : مصدر سابق ، ص 211 ، عبلة سلطان : مرجع سابق ، ص 67 .
(7) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 227 ، الحميري : مصدر سابق ، ص 339 .
(8) - عبلة سلطان : مرجع سابق ، ص 69 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 47 ، موريس لومبار : مرجع سابق ، ص 234 .
(9) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 76 ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ2 ، 181 .

والحبوب التي اشتهرت بها المنطقة ، امتازت أيضاً بالثروة الحيوانية التي تصدر الفائض منها إلى البلاد المجاورة ،خاصة مصر حيث كانت تستورد من برقة اللحوم التي فضلتها على غيرها[1] ، وكذلك تستورد منها السمن والعسل ، وإلى جانب برقة اشتهرت كل من جالو، وودان ، واجدابيا ، وسرت بثرواتها الحيوانية، وجزائر بني مزغنة ، وقلشانه ، وقسطينة التي كانت توجد في كل منها ثروة حيوانية كثيرة[2] ولا شك في أنها تصدر الفائض عن حاجتها إلى غيرها من الدول.

وربما ساعد على وجود هذه الثروة في المنطقة وفرة المراعي المهيئة لتربية الدواب وقطعان الماشية ، خاصة حول مناطق أطلس ، والتي تعتبر من أهم الأراضي الرعوية وأصلحها ، وذلك لامتيازها بكثرة الأعشاب والأمطار الغزيرة[3] إضافة إلى البساتين والمزارع ، التي كانت تربى فيها الخيل، والبغال، والإبل ، والغنم ، والضأن ،والبقر، والحمير، [4]والنعام ، التي اشتهرت بها المسيلة[5] ، وإلى جانبها حيوان اللمط الذي وجد في المغرب الأقصى[6].

وجملة القول إن السكان لم يعتمدوا على هذه الثروة من الناحية الغذائية فحسب بل عرفوا كيف يستخدمونها في أغراض أخرى ، فاستخدموها في أعمال الزراعة من ري وحرث ، كما استخدموها أيضاً وسيلة للنقل ، هذا فضلاً عن الصناعات القائمة على ألبانها، ولحومها ،وأصوافها، وجلودها ، ووبرها ، وبذلك تكون الثروة الحيوانية إحدى السلع التجارية، وأسهمت إسهالاً فعالاً في تطوير اقتصاد المنطقة.

كما كان من ضمن المنتجات التي تعتمد عليها المنطقة في تجارتها الثروة البحرية التي تتوفر في سواحلها وأنهارها خاصة الأسماك ، حيث كان لتضاريس المنطقة الفضل في توفرها ، فالبلاد – كما مر بنا – تقع على شاطئين كبيرين هما

---

(1) ـ مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص 143 .
(2) ـ الادريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 265 ، ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ص 69 – 70 – 78 .
(3) ـ فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 54 .
(4) ـ القلقشندي : مصدر سابق ، ص 113 ، الدباغ : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 221 ، ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 85 .
(5) ـ ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 85 .
ـ وهو دابة دون البغل لها قرون حادة لذكرانها وإناثها . البكري : مصدر سابق ، ص 171 .
(6) ـ المصدر نفسه سابق : ص 171 .

شاطئ البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، ومما لا شك فيه أنيما مكنا الأهالي من الاستفادة من الثروة السمكية بشكل كبير ، كما كان لبعض الأنهار أثر في تزويد البلاد بأنواع مختلفة من الأسماك[1] والتي منها الشابل[2] والبوري الكبير ، والشوالي ، والحوت (القرب) الذي وصل وزنه إلى (65) رطلاً[3] ، كذلك وجدت أنواع أخرى من الأسماك منها الليين ،والسلباح ، والبوقة [4]، والتين الكبير[5].

إن وجود مثل هذه الثروة القيمة وذات النفع الغذائي والمادي لازمه وجود مراكز هامة من أجل الصيد ، وتزويدها بالمعدات الخاصة به والتي يحتاجيا الصيادون[6] ، وكل ذلك تبعه ــ ودون أدنى شك ــ وجود فائض من هذه الثروة والذي بدوره شجع على عملية التصدير إلى باقي الدول.

ولكن الثروة السمكية لم تكن هي الوحيدة المستخرجة من البحار ، حيث اشتهرت المنطقة إلى جانبها بصيد بعض الحيوانات البحرية ،وأهميا المرجان الذي يعتبر من أجود الأنواع و أكثرها ، فكان يصنع منه العقود[7] ، ذات القيمة المادية العالية والتي لاقت قبولاً كبيراً من التجار.

وإلى جانب ما تقدم تأتي الصناعات المحلية كأحد المواد الخام ، فالمنطقة عرفت الكثير من الصناعات المحلية لوفرة المادة الخام الرئيسية التي تقوم عليا وذلك للإفادة منيا في الاستهلاك البشري وحفظيا من التلف والإفادة منها أيضاً في غير موسمها والمتاجرة بيا، مما أدى إلى بروز النشاط الصناعي في اقتصاد البلاد وهذا النشاط اختلف في أن بعضه اعتمد على الزراعة والثروة الحيوانية ، بينما اعتمد البعض الأخر على المعادن المتوفرة في المنطقة ، ويأتي على رأسيا معدن الحديد.

---

(1) - حسن علي حسن : مرجع سابق ، ص 253 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 56 .
(2) - حسين : حمدي عبد المنعم محمد ، مدينة سلا في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1993 ، ص 65 .
(3) - ابن عبد ربه الحفيد : مصدر سابق ، ص ص 184 ــ 185 ، الإدريسي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 529 .
(4) - الجزنائي : مصدر سابق ، ص ص 68 ــ 69 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 57 .
(5) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 529 .
(6) - ارشيبالد لويس : مرجع سابق ، ص 253 .
(7) - الاصطخري : مصدر سابق ، ص 34 ، الإدريسي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 529 ، ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 202 + آدم متز : مرجع سابق ، جـ2 ، ص 240 .

فالنوع الأول من النشاط يتمحور في صناعة زيت الزيتون ، وهي من أهم الصناعات التي مارسها السكان ، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالزراعة ، فكان يزرع الكثير من هذه الشجرة المباركة ، كما كان هناك العديد من المعاصر خاصة في الأماكن القريبة من زراعتها[1]، كذلك صنع السكان نوع أخر من الزيت وتكثر صناعته في المغرب الأقصى ، ويستعمل في علاج بعض الأمراض كمرض الكلى ؛ وأيضاً تستخدمه النساء كدهان للشعر ؛ الزيت المقصود كان يسمى زيت البرجان ، وتسمى الشجرة التي يصنع من ثمرها – حسب تسمية الإدريسي – شجرة بارقان وهي تشبه شجرة الكمثرى[2].

ويقوم الأهالي بالإضافة إلى الصناعات السابقة بتحويل قصب السكر إلى سكر[3] ،وبعض الفواكه بعد تجفيفها مثل التمر والتين ؛ هذا فضلاً عن صناعة الدقيق الذي يستخلص من القمح والشعير[4] ، وعرفوا أيضاً صناعة الملابس القطنية والكتانية ، والسفن التي تصنع من أخشاب الصنوبر والبلوط ؛ فظهر دور لصناعتها في المناطق الساحلية حتى يتسنى نقلها إلى الساحل في سهولة ويسر، على عكس المدن التي تبعد عنه ، ووجد هناك نوعان من السفن الأول خاص بنقل الجند ومعداتهم ، أما الأخر فخصص لنقل التجار والسلع والبضائع التجارية، كما تم تصنيع القوارب والسفن النهرية وبالتحديد في المناطق التي تقع بالقرب من الأنهار مثل مدينة فاس التي تقع بالقرب من نهر سبو الكبير[5] .

هذه هي الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي ، وإلى جانبها وجدت صناعات أخر قامت على الإنتاج الرعوي ، واعتبر الجلد، والصوف، والوبر، المادة الأساسية فيها وأفاد السكان منها في سد حاجاتهم ، فكان يصنع من الجلود السروج والأحذية ، وأحزمة الجلد المزخرفة بالحرير الملون، واللجام والاقتاب

---

(1) - ابن عبد ربه الحفيد : مرجع سابق ، ص 210 ، العبيري : مصدر سابق ، ص 541 .
(2) - ابن عبد ربه الحفيد : نفس المصدر ، ص 212 ، الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 230 – 231 .
(3) - ابن عبد ربه الحفيد : نفس المصدر ، ص ص 211 – 212 .
(4) - المزيني: مرجع سابق ، ص 209 .
(5) - فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص ص 62 – 63 .

المعـــدة لخدمة الإبل[1] ، كما تفنن الأهالي في صناعة الدروع اللمطية و التـــي تصنع من جلد حيوان اللمط [2]، أما من الصوف فكانـــت تصـــنع منـــه الثيـــاب الصوفية، وتصنع الأكسية من وبر الإبل[3].

ولكي يكتمل النوعُ الأول من النشاط الاقتصادي لا بد من وجود صـــناعات قائمة على المعادن ، هذه الصناعات اعتبرت النوع الثاني من النشاط حيث تنوعت الصناعة بتنوع المواد المعدنية ووفرتها في المنطقة ، فالحديد كان أهـــم المعـــادن والأدوات التي يدخل في صناعتها مهمة ، والسكان في حاجة ماسة إليها لذا اعتبر وجوده ضرورياً لأنه يدخل في صناعة الأسلحة والأبـــواب الحديديـــة الخاصـــة لحراسة المدن والحصون[4]، ومثل هذه الأشياء ضرورية جداً ، فمن أجلها وجدت دور لصناعة الحديد والتي كان يصنع فيها مختلف الأدوات القائمة علـــى معـــدن الحديد من سيوف، ورماح ، وخناجر ، ومسامير ، وسكاكين، وأبر[5]، والأواني الحديدية ، بالإضافة إلى الأبواب.

ثم يأتي النحاس بعد الحديد في الأهمية حيث برع الســـكان فـــي صـــناعته وتشكيله وفق الاحتياجات المختلفة ، فصنعت منه أدوات للزينة المنزلية وأخـــرى خاصة بالمساجد والقصور [6] كما صنعت منه أوان نحاسية.

أما بالنسبة إلى المعادن الثمينة (الذهب ، الفضة) فدخلت في ســـك العملـــة[7] وبعض أدوات الزينة التي تضاف إلى السروج والسيوف لتحليتها ، كما دخلت في صناعة الملابس الفاخرة على شكل خيوط لتزينها[8] ومثل هذه الملابس كان يقتنيها الأثرياء وأصحاب المراكز الاجتماعية في المنطقة ، كما وجـــد معـــدن الفخـــار المستعمل في صناعة الأواني الفخارية والجرار لحفظ المياه.

---

(1) ـ الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 224 – 225 ، جمال طه : مرجع سابق ، ص ص 216 – 217 .
(2) ـ الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 224 .
(3) ـ ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 69 .
(4) ـ إبراهيم : عفيفي محمود ، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2001 ، ص 183 .
(5) ـ جمال طه : مرجع سابق ، ص 217 .
(6) ـ عفيفي محمود إبراهيم : الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب العربي ، ص 158 .
(7) ـ المقريزي : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ، رسالة في أسماء النقود الإسلامية ، مخطوط ، دار الكتب المصرية ، تاريخ 565 ، ميكروفيلم ، 4558 ، ص 1 - 7 .
(8) ـ فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 65 .

من خلال ما تم عرضه عن السلعة التجارية عامة تبين أن هناك اختلافاً في كافة الأنشطة ولم يكن التركيز على حرفة أو نشاط معين ، وهذا التنوع من شأنه أن يلبي حاجة الفرد داخل المنطقة أولاً ، ثم يتم تصدير الفائض إلى المناطق الأخرى.

ب – أهم المناطق المتبادل معها تجارياً :-

من المتفق عليه أن هذا التنوع في المنتجات والمحاصيل الزراعية ووفرتها تبعه تبادل تجاري بين مدن الشمال الأفريقي وبين غيرها من الدول الأخرى وفي مقدمتها مصر ، في حين كانت ترد إليها البضائع والسلع غير المتوفرة ، فتنتقل تلك السلع والبضائع من مدينة إلى أخرى ويتم تداولها في الأسواق وهذا دون أدنى شك يخلق نوعاً أخر من التجارة الخارجية معتمدة على تبادل السلع المنتجة داخل حدود المنطقة أو تلك المصنعة فيها ، ثم تنقلها القوافل والسفن التجارية – وربما سفن الحجيج أثناء موسم الحج – إلى الدول التي هي في حاجة إليها ، وهذا التبادل التجاري كان مع الأتي : –

1 – مصر :-

ارتبطت العلاقات التجارية بين البلدين خاصة أثناء موسم الحج فالسفن تقلع إلى مصر محملة بالحجاج في طريقهم إلى مكة المكرمة ومعهم مختلف أنواع السلع التي من جملتها القنب ، والقطن[1] ، واللوز ، والفستق، إلى جانب زيت الزيتون ، واللحوم المقددة ، وخامات الحرير ، والمنسوجات بمختلف أنواعها، والديباج، والأكسية ، والعسل ، والقطران ، والبلور[2]، ونوع خاص من النسيج يسمى بالنسيج الطراقي[3].

---

(1) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 74 .

(2) - المقدسي : مصدر سابق ، ص 199 ، مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص 113 ، راشد البراوي : مرجع سابق ، ص 362 ، جوانين : مرجع سابق ، ص 172 .

(3) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 70 ، البكري : مصدر سابق ، ص 47 ، حورية عبده سلام : مرجع سابق ، ص 221 ، حسن خضيري أحمد : مرجع سابق ص 89 .

ومن ضمن الصادرات أيضاً الرقيق الأسود المجلوب إلى المنطقة من بلاد السودان [1] وغيرها * – لكثرة الحاجة إليهم للعمل بالبيوت ، والحقول ، والمحال والأسواق التجارية، – فضلاً عن الأسماك المملحة التي ترد بكميات كبيرة إلى مصر [2] ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غنى المنطقة بالثروة البحرية وكثرة اصطيادها للأسماك من سواحليا في (تونس ، بونه ، سبتة ، بنزت) وكان فصلي الشتاء والربيع أنسب الأوقات لصيد الأسماك وتصنيعيا ونقليا إلى الدول المتاجرة.

أما عن السلعة الأهم في الصادرات فهي معدن الذهب [3]، ويأتي من مدن جنوب الصحراء حيث كان يستبدل بالملح ومن ثم يصدر إلى مصر.

هذه كانت أهم السلع الصادرة أما ما حفلت به أسواق المنطقة من السلع المصرية فيمثل قماش البوقلمون ** الفاخر الغالي الثمن ، والذي لا ينسج إلا في مناطق معينة وبالتحديد تنيس*** [4] ، ويقال إن لونه يتغير حسب ساعات النهار[5]، بالإضافة إلى الأقمشة الأخرى المذهبة والملونة ، والكتان المصري[6] وماء الورد ، وزيت الياسمين[7].

وكانت التوابل والبعطور والبخور تأتي من أسواق الشرق إلى مصر عن طريق ميناء عيذاب ، ثم تحملها السفن التجارية إلى أسواق المنطقة[8]. وكان الفلفل أكثر التوابل طلباً من المنطقة ، لذا ارتفع ثمنه ارتفاعاً هائلاً وهو نوعان أحدهما أسود ويستخدم في صناعة الأغذية ، والأخر أبيض ويدخل في صناعة الأدوية

---

(1) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 11 .
* - المناطق التي يأتي منها الرقيق هي : بلاد الترك بأسيا الصغرى ، بلاد الصقالبة ، بلاد الحبشة ، و أوروبا .
(2) - ليكري : مصدر سابق ، ص ص 41 – 58 ، حوتين : مرجع سابق ، ص 243 .
(3) - العبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، ص 68 .
** - البوقلمون : نوع من الطيور يوجد في جزيرة تنيس . القزويني : مصدر سابق ، ص ص 177 – 178 .
*** - تنيس : جزيرة في مصر ما بين الفرما ودمياط . ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 60 ، القزويني : مصدر سابق ، ص 176 .
(4) - القزويني : نفس المصدر ، ص 177 .
(5) - حسن خضيري أحمد : مرجع سابق ، ص 116 ، حياة عبود : مرجع سابق ، ص 75 .
(6) - حياة عبود : مرجع سابق ، ص ص 75 – 76 .
(7) - نفس المرجع : ص 78 .
(8) - المقريزي : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، بولاق ، 1270 هـ ، جـ1 ، 375 ، ارشيبالد لويس : مرجع سابق ، ص 252 .

وهناك القرنفل ، والقرفة ، وجوزة الطيب، والزنجبيل ، والأبزار ، وخشب الساج، والجوهر ، والياقوت ، والعقيق ، وحجر الزمرد[1].

و كانت السلع الأخيرة ترد من الشرق وتمر بمصر ومنها إلى الشمال الأفريقي لذا أطلق عليها سلع العبور ، ثم يصدرها الشمال الأفريقي إلى ممالك الجنوب وبهذا تكون المنطقة بمثابة حلقة وصول تجاري بين أسواق مصر وأسواق الجنوب الصحراوي ،ونتيجة لهذا التبادل التجاري قام نوع من النشاط التجاري المتكامل بين البلدين ، وكان للشمال الأفريقي الفضل في ذلك ، مما صاحب هذا النشاط قيام العديد من المراكز التجارية على الساحل وعبر الصحراء ، التي كانت تمد السوق بأهم سلعتين في ذلك العصر : ألا وهما الذهب والرقيق من السودان.

2 – ممالك جنوب الصحراء وبلاد السودان :-

نظراً لحاجة بلاد السودان وممالك جنوب الصحراء الماسة للملح الذي يتم الحصول عليه من بعض المناطق الواقعة في الشمال الأفريقي ، لذا كان من الطبيعي أن تنشط الحركة التجارية السودانية مع مناطق الشمال ، بل ترتبط ارتباطاً وثيقاً خاصة مع مدن المغرب الأقصى باعتبارها منطقة عبور، أي أنها تسمح بعبور البضائع إلى المغرب والمشرق الإسلاميين ، بالإضافة إلى أنها منطقة عبور إلى أوروبا ، في الوقت الذي نشطت فيه التجارة الشمالية من أجل الحصول على الذهب ولا سيما مع سجلماسة الواقعة بالقرب من بلاد الذهب والتي بدورها تقوم بتصديره إلى باقي مناطق الشمال ، بل إلى باقي دول العالم ، حيث كان السودان الغربي أعظم مصدر للذهب بالنسبة لعالم البحر المتوسط ، ومن هنا تكمن أهمية التجارة بين الطرفين ، الأمر الذي أدى إلى تدفق البضائع المتبادلة بشكل مستمر ، وقد اختلفت وتنوعت صادرات المنطقة إلى بلاد السودان وجنوب الصحراء ، إلا أن الملح كان له الطابع الغالب عليها جميعاً ، حيث تصل أهميته عند سكان السودان الغربي بأن يتم استبدال وزنه ذهباً[2] ، أما إذا تم بيعه نقداً فأسعاره غالية الثمن[3] فالجمل الواحد من الملح في دواخل السودان يبلغ ثمنه من

---

(1) – المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ1 ، ص 192 ، مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص 85 .

(2) – ابن عبد ربه الحفيد : مصدر سابق ، ص 219 ، الحميري : مصدر سابق ، 584 ، صالح العلاق السباتي : مرجع سابق ، ص ص 146 – 147 – 191 .

(3) – ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 98 ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص 684 .

مئتين إلى ثلاثمائة دينار [1] ، وقد يزيد سعره* ، بل وأكثر من ذلك فإنه كان يستخدم كعملة يتداول بها كغيرها من العملات الموجودة [2].

وعن الملح وأهميته الكبرى يقول البكري إنه :- " كان يحمل من بلاد البربر إلى بلاد السودان ، فقوافل التجار تخرج بالجمال المحملة بأحمال الملح، ثم تسير في رمال كالبحار إلى مدن ما وراء الصحراء ، وهناك يتم بيعه الوزن بوزن الذهب وربما الوزن بوزنين أو أكثر من ذلك " [3]، لأن أهم مراكز تصديره موجودة في الشمال الأفريقي وفي مقدمتها تغازة وأودغست[4].

وبالإضافة إلى الملح هناك سلع أخرى يتم تصديرها ، وأن كانت أقل أهمية منه ، حيث تأتي المعادن الحديدية وعلى رأسها النحاس خاصة النحاس الأحمر والملون[5] وينقل على هيئة سبائك[6]، تدخل في صناعة أدوات الزينة [7] ، والمعدن الأخر الحديد الجاهز المصنع [8].

ومن جملة المنتجات الصادرة :- الأكسية ، والثياب المختلفة[9] ، والعمائم والمآزر، والسيوف[10]، ومنسوجات الصوف ، ومنها البرانس، والجلد المصبوغ المصنع ، وقماش الملف[11]، وصنوف النظم من الزجاج، والفخار ،والشب، والأصداف ، والأحجار الكريمة ، والأقاوية ، والعطر[12] المصنوع من عقد خشب الصنوبر[13]، والمرجان الذي يتم تصديره جاهزاً وبكميات كبيرة [14].

---

(1) - ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص 684 - شرف الدين : لمياء محمد سالم ، تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، العدد الثاني ، 2001 ، ص 156 .

* - للمزيد عن أسعار الملح انظر إدريس صالح الحرير : مرجع سابق ، ص ص 79 - 80 .

(2) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 182 ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص 684 .

(3) - مصدر سابق : ص 171 .

(4) - نفس المصدر : ص 183 .

(5) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 232 .

(6) - البكري : مصدر سابق ، ص 162 ، ابن عبد ربه الحفيد : مصدر سابق ، ص 212 .

(7) - ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 12 ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص 491 ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 210 .

(8) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 232 .

(9) - لمياء محمد سالم : مرجع سابق ، ص 158.

(10) - إدريس صالح الحرير : مرجع سابق ، ص 81 ، إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ص 35 .

(11) - الشريف : خديجة باعلي ، طريقة تقويم تجار القوافل الغدامسية للسلع والبضائع ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة العاشرة ، العدد الأول ، يناير ، 1988 ، ص 11 .

(12) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 237 + صالح الصادق النيالي : مرجع سابق ، ص ص 147 - 148 .

(13) - محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 210 .

(14) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 529 .

كما احتوت صادرات المنطقة على العديد من أنواع المواد الغذائية فهناك من يشير إلى انعدام بعض الفواكه والتمور الرطبة واليابسة في بلاد السودان إلا ما يجلب إليها من سجلماسة [1].

وعن واردات المنطقة من بلاد السودان وجنوب الصحراء فنجدها ارتبطت بعلاقات واسعة معها ، والتي عادت عليها بالخير الوفير والثراء ، والسبب في ذلك عدم وجود بعض السلع في منطقة الشمال الأفريقي وكان الطلب عليها كبيراً ، فالقوافل التجارية تخرج من المنطقة في طريقها إلى الجنوب عابرة الصحراء ومعها الإدلاء ، وبعدئذ تصل إلى المراكز التجارية الرئيسية هناك ، والتي كان أهمها التكرور وكوكو ، وتعود محملة بأهم سلعتين الأولى هي : الذهب[2] والذي تكمن أهميته في عملية سك النقود[3] ، ويتم الحصول عليه مقابل الملح.

والسلعة الأخرى التي لها مردود اقتصادي كبير هي الرقيق ، فالحاجة ماسة إليه خاصة بعد انتهاء الفتوحات الإسلامية وبداية عصر الازدهار والاستقرار، فوجوده أصبح سمة بارزة في المجتمع ، ودلالة على مدى مظاهر الترف والثراء، هذا فضلاً عن استخدامه في كافة ميادين الدولة وعلى وجه التحديد النشاط الاقتصادي ، فيأتي منهم العاملون في الحقول والمناجم ، وفي البناء وبعض الصناعات ، كما أنهم استخدموا حراساً للقوافل، والقصور، والمحال ، والأسواق التجارية[4]، وكان جلبهم يتم عن طريق سرقة الأطفال من المناطق المجاورة لهم، حيث كانوا يخفوهم لفترة محدودة من الوقت ، وعند وصول تجار الرقيق من مناطق الشمال الأفريقي يقدمون بعض هؤلاء الأطفال كرقيق وكان بيعهم بأسعار زهيدة[5] في بادي الأمر ، غير أن هذه الأسعار أخذت في الانخفاض – مقارنة بالذهب المرتفع الثمن – ولعل ذلك راجع إلى كثرتهم من ناحية ، وإلى

---

(1) ـ الحميري : مصدر سابق ، ص 64 ، البكري : مصدر سابق ، ص 179 ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ3 ، ص 75 .

(2) ـ البكري : مصدر سابق ، ص ص 176 – 179 .

(3) ـ الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 24 – 25 .

(4) ـ الحبيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في القرنين (3 - 4 هـ/ 9 - 10 م) ، ص ص 29 – 30 ، ارشيبالد لويس : مرجع سابق ، ص 255 .

(5) ـ الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 109 – 110 .

كثرة المناطق التي يتم جلبهم منها من ناحية أخرى ، وغالباً ما يدفع التجار قيمة الرقيق مقايضة أي مقابل ما يحملوه من سلع[1].

وكان إلى جانب الذهب والرقيق تأتي سلع أخرى من بلاد السودان وممالك جنوب الصحراء كالعاج ، وبعض جلود الحيوانات ، والعنبر الطيب الرائحة[2] ، والعطور ، وجوز الكولا[3] ، وريش النعام [4] الذي استعمل استعمالاً واسعاً في صناعة مراوح اليد ، وقبعات النساء وأشياء أخرى لتغطية الرأس كما استعمل ريش النعام لتزيين الخيل، ومن السلع أيضاً جلود النمور والحصائر المصنوعة من القش[5] والصمغ والعاج[6] ، وناب الفيل وفراء الحيوانات الوحشية [7] ، ومن خلال تتبع التبادل التجاري بين البلدين يُلاحظ أن جوهر التجارة كان اقتصادياً ، وله مردود إيجابي على اقتصاد المنطقة بشكل عام ، فالسعي وراء الربح من أهم الحوافز لعبور الصحراء وتحمل المشاق ، وهذا ما جعل التجار يتوافدون على البلاد في سبيل الحصول على السلع والبضائع المستوردة منها ، وفي مقدمتها الذهب والرقيق.

وهنا يجب التنويه إلى كيفية التفاهم بين التجار المغاربة والتجار الأفارقة، لان كليهما يتحدث بلغته.

فعند وصول التجار المغاربة إلى المناطق المعنية ، كان زملاؤهم وعملاؤهم على علم بوصولهم ، فيخرج الجميع ويسير كل منهم إلى مسافة معلومة حتى يصلوا إلى أماكن متفق عليها من قبل الطرفين ، عند ذلك يضربون طبولهم بعد أن يضعوا سلعهم في أكوام أو مقادير ويختفون ، حينئذ يخرج التجار الأفارقة ويضعوا بجوار كل كومة نظيراً لها من معدن الذهب ويضربون الطبول ويختفون، فيظهر التجار المغاربة فإذ اقتنعوا بكمية الذهب الموضوعة حملوها وعادوا

---

(1) - R. LopeZ: Medivel Tread in The Me Diterranean World ,p.43

(2) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 116 – 117 ، ابن عبد ربه الحفيد : مصدر سابق ، ص 216 ، الوزان الأندلسي : محمد بن عبد الرحيم الغرناطي ، تحفة الألباب ، تحقيق جيرول فرانك ، د.ر ، باريس ،1925 ، ص ص: 43 - 44.

(3) - Bovill,E.W : Op.cit.p.235.

(4) - صالح العبادق السباعي : مرجع سابق ، ص 145 ، سفاتور بونو : تجارة مزاتشن عبر الصحراء ، ص 86 .

(5) - سفاتور بونو : نفس المرجع.

(6) - زيرو : جوزيف كي ، تاريخ افريقيا السوداء ، ترجمة عقيل الشيخ حسين ، دار الجماهيرية ، د . ن ، 2001 ، ص 189.

(7) - خديجة باعلي الشريف : مرجع سابق ، ص 111.

أدراجهم من حيث أتو ، بعد أن يضربوا الطبول إعلاناً بانتهاء التبـادل ، وإذ لـم يقتنعوا بكمية الذهب فلا يقربوه ويتركوه على حاله ويختفوا مرة أخرى، فيخـرج الأفارقة ويزيدون كمية الذهب وهكذا[1] ، وتتكرر هذه العملية عدة مرات حتى يتم الرضا والاقتناع من كلا الجانبين.

3 – أوروبا (صقلية وجنوب إيطاليا) :-

توسعت العلاقات التجارية للمنطقة حتى شملت العديد من القوى الإسـلامية وبعض مدن البحر المتوسط وموانيه ، وهذه العلاقة بنيت على تبـادل المصـالح التجارية المرتكزة على تبادل السلع وتلبية متطلبات السوق.

ومن بين السلع المتداولة بين الطرفين التمر ، والسكر ،والنيلة ،والشب [2]، وزيت الزيتون[3]، والقمح ، والشعير ، والصوف ، وبعض الفواكه الأخرى كالليم الحامض ، والحلو ، والفلفل الأحمر ، والحناء ، هذا غير السلع السـودانية وفـي مقدمتها ريش النعام ، وناب الفيـل[4] ، والجلـود ، والمصـنوعات الجلديـة ، والنحاس المسبوك ، والذهب الذي يمثل السلعة الأبرز في صادرات المنطقة اتجاه أوروبا ، بل اعتبر المحرك الأساسي للتبادل التجاري بينهما[5]، وفي مقابـل ذلـك تعود السفن التجارية محملة بمختلف الأصناف من البضـائع الأوروبيـة [6] مـن أقمشة كتانية وحريرية ، وثياب الملف الصوفية ، والسجاد ، والزعفران المستعمل للصباغة ، والأحجار الكريمة ، والتوابل ، والتين المجفف ، والعطور، والمسك[7].

والأهم من ذلك السلع الحربية القادمة من أوروبا، وبالأخص تلك التي تدخل في صناعة الأسلحة، والأخشاب المستخدمة في صناعة السفن[8].

---

(1) - طوخان : إبراهيم علي ، إمبراطورية غانا الإسلامية ، د . ر ، القاهرة ، 1970 ، ص ص 70 – 71 ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 211.

(2) - الزهري : أبو عبد الله بن أبي بكر ، كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د . ت ، ص ص 117 – 119 .

(3) - البكري : مصدر سابق ، ص 20.

(4) - محمد يوسف نجم وإحسان عباس : مرجع سابق ، ص 263.

(5) - الزهري : مصدر سابق ، ص 117 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 77.

(6) - محمد يوسف نجم وإحسان عباس : مرجع سابق ، ص 263.

(7) - الزهري : مصدر سابق ، ص ص 76 – 77 .

(8) - بونو : سلفاتور ، العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط ، ترجمة عمر محمد الهاروني ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة الثامنة ، العدد الثاني ، يوليو ، 1986 ، ص 312 ، عفيفي محمود إبراهيم : الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب العربي ، ص 214.

فضلاً عن تجارة الرقيق والتي لها صدى تجاري كبير في أوساط المنطقة ، ويبدو أن الكيفية التي يجمع بها في أوروبا لا تختلف عن التي يجمع بها في بلاد السودان أي سرقة الأطفال الصغار[1].

4 – الأندلس :-

كان للأندلس نصيب وافر من صادرات المنطقة، وقد لعب التجار اليهود فيها دور الوسطاء[2]، فقاموا بتصدير ما يلزم الأندلس من سلع وبضائع ، أهمها الصمغ المستعمل في صبغ الديباج الأندلسي[3] علاوة على الرقيق الأسود، والذهب،والتوابل[4] ، والحبوب من القمح والشعير، البقوليات ، والسكر[5]، وزيت الزيتون[6]، كما تصل إلى بلاد الأندلس الماشية من الغنم ، والمعز ، والأبقار[7] ، أما عن الصادرات الأندلسية للمنطقة فتمثلت في الحرير المذهب[8]،والزيت الاشبيلي[9] والجلود ، والرقيق الأبيض، بالإضافة إلى الأسلحة والمعدات الحربية[10] كما أن الثياب الصوفية، والأصباغ ، والجواري الأندلسية ، والزئبق من أهم ما تحمله المراكب التجارية إلى المنطقة[11].

5 – بلاد المشرق الإسلامي :-

ليس من المستبعد أن يكون هناك تواصل تجاري بين القطرين في ظل الاستقرار السياسي – مع كل من الدولة الأغلبية، ودولة الأدارسة، والاستقرار النسبي مع الدولة الرستمية– وفي ظل وجود وسائل نقل تجارية ، فبالرغم من بُعد المسافة بينها وبين المشرق الإسلامي إلا أن ذلك لم يكن عائقاً في وجه النشاط التجاري الذي يتم عن طريق مصر بالنسبة للطرق البرية المعتمدة على طرق

---

(1) – سلاتور برتو : العلاقات التجارية ، ص 312 ، فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 77 .

(2) – الشرقاوي : عبد الحميد محمود ، الملاحة البحرية في الأندلس الإسلامي خلال القرن (4 هـ/ 10 م) ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1950 ، ص 59 .

(3) – البكري : مصدر سابق ، ص 157 .

(4) – ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 81 ، ابن عبد ربه الحفيد : مصدر سابق ، ص ص 211 ، 212 .

(5) – ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ4 ، ص 81 ، ابن عبد ربه الحفيد : نفس المصدر .

(6) – البكري : مصدر سابق ، ص 20 .

(7) – ياقوت الحموي : مصدر سابق ، جـ5 ، ص 94 ، ابن عبد ربه الحفيد : مصدر سابق ، ص ص 211 – 212 .

(8) – فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 71.

(9) – الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 239 ، الحميري : مصدر سابق ، ص 319 ، موريس لومبار : مرجع سابق ، ص 243 .

(10) – فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 71 .

(11) – إبراهيم : عفيفي محمود ، أحوال بلاد المغرب الاقتصادية في ظل السيادة الفاطمية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1977 ، ص 180.

قوافل الحجيج التي تحمل معها البضائع التجارية[1] ، أما الطرق البحرية فيتم نقل البضائع من خلال الموانئ المطلة على البحار.

ومما ساعد على ذلك التبادل وجود تجار من المشرق الإسلامي* في المنطقة وتبادلهم للسلع والبضائع التجارية وتنوع المحاصيل والمنتجات ووفرتها ، واعتبار المنطقة منطقة عبور لموطن الذهب السلعة الأبرز في الصادرات ، بالإضافة إلى سلع أخرى في مقدمتها المنسوجات على اختلاف أنواعها[2] بما فيها القادمة من الأندلس ، والأكسية الصوفية ، والحديد ، وجلود الحيوانات ، فضلاً عن الرقيق المجلوب من أوروبا والسودان[3].

ومما ساعد تجار المشرق للوفود إلى المنطقة ، هو أن بعض الدول الواقعة شرق الدولة العباسية مثل (الهند والصين) هذه الدول بسبب بُعد المسافة بينها وبين المنطقة دفع بتجارها إلى أخذ ما يحتاجونه من تجار المشارقة الذين قاموا بدور الوسطاء بين الطرفين، وعرفت هذه التجارة بتجارة الكارم أو الكارمية وهم التجار الذين احتكروا تجارة الهند وشرق أفريقيا[4]، غير أن الأمر لم يقف عند التصدير فقط ، بل السفن التجارية تعود من المشرق محملة بسلع العبور من العطور والبخور والتوابل الآتية من الهند والصين[5].

وقد جلب التجار أيضاً بعض الأقمشة غير موجودة عندهم مثل قماش البوقلمون الذي يصل إلى المشرق من مصر[6] ثم يصدر إلى المنطقة، ومناديل السمندل الغالية الثمن والواصلة من الصين وتستخدم كيدايا متبادلة بين الملوك[7]، بالإضافة إلى المعادن الثمينة كالياقوت ، والزمرد[8]،والمسك ، والكافور، والأدوات الخزفية ، ومواد الصباغة [9].

---

(1) - حسن علي حسن : مرجع سابق ، ص ص 288 – 289 .

* - وعلى وجه التحديد : أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون . ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 65 ، الحبيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب (3 – 4هـ/ 9 – 10 م) ، ص 113 .

(2) - حسن خضيري أحمد : مرجع سابق ، ص ص 105 – 106 – 108 .

(3) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ص 95 – 97 ، الحميري : مصدر سابق ، ص 328 ، حسن خضيري أحمد : مرجع سابق ، ص ص 108 - 109 .

(4) - فتحي ابراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص ص 82 – 83 .

(5) - حسن خضيري أحمد : مرجع سابق ، ص ص 117 - 118.

(6) - نفس المرجع : ص 116 .

(7) - عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص 328 .

(8) - التبريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ1 ، ص 194 ، عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص 329 .

(9) - حسن خضيري أحمد : مرجع سابق ، ص ص 120 – 121 .

وأن جميع السلع الآتية من أوروبا باستثناء الرقيق ، وتلك الآتية من الأندلس أو المشرق الإسلامي كان يتم إعادة تصديرها بعد وصولها إلى منطقة الشمال الأفريقي إلى جنوب الصحراء ، وبهذا تكون أفريقيا حلقة الوصل بين هذه المناطق ومنطقة جنوب الصحراء وتكون السلع المارة ما بين المناطق السابقة سلع عبور تمر بمنطقة الشمال الأفريقي إلى الجنوب الصحراوي.

هكذا إذا ارتبطت المنطقة بعلاقات تجارية مع الدول والقوى المختلفة ، والملاحظ على هذه العلاقة أنها تجارية ساعدت في تزويد الأسواق والمراكز التجارية بمختلف السلع والبضائع ، وبالتالي تؤثر في زيادة القوى الشرائية والحركة التجارية ورواجها وقد أدى تدفق التجار على المنطقة إلى قيام العديد من المؤسسات المتعلقة بالتجارة وخدمة التجار فمن الطبيعي أن تتضمن المدن بؤرات اقتصادية واجتماعية من أسواق وحمامات وفنادق ودور للصناعة لعبت دوراً هاماً في اقتصاد المنطقة.

المبحث الثاني : الأسواق التجارية :-

تعتبر الأسواق محوراً هاماً من محاور الحياة الاقتصادية ، حيث يتمركز فيها النشاط الاقتصادي والتجاري ، كما تعتبر نقطة هامة في حياة المدينة تعكس تجارتها، فهي الأساس وراء ازدهارها ورقيها، ووراء الأمن السياسي فيها، يتم فيها استقبال التجار والقوافل المحملة بمختلف السلع والبضائع الداخلية أم الخارجية، آتية عن طريق البر أو البحر لذلك اهتم الخلفاء والولاة بها وبتنظيمها لتقوم بدورها في خدمة المجتمع.

فكان أول من نظر في الأسواق وقام بتنظيمها وترتيبها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان[1]، ثم سرى هذا النظام إلى مدن الشمال الأفريقي وأسواقها فأولها القيروان[2] ثم حذت حذوها باقي المدن الأخرى كتونس ، وصفاقس، وطرابلس ، وسوسة ، وتلمسان ، وتاهرت ، وسجلماسة، وفأس، وبونة، وبذلك أصبحت الأسواق مرتبة منظمة يغلب عليها طابع الاختصاص بمكان معين وسلعة معينة ، فالدكاكين تقع في صف يقابله صف آخر، وعلى هيئة شارع مسقوف بالأجر والحجارة[3] أو بالخشب ، وأحيانا يكون مكشوفاً، وعلى جانبي الشارع تقام المحال والأسواق التجارية والمصانع الصغيرة ، وفي ذات الموضع يكون هناك مكان يقيم فيه التجار الغرباء عن المدينة[4]، ومكان أخر لاجتماع التجار[5].

ونظراً لما ترتب على هذا النظام من سيولة التعامل حيث إنه أصبح بمثابة القاعدة الثابتة عند بناء الأسواق، ومن نتيجة هذا النظام ازدهار التجارة ورواجها، كما أنه يسهل على المحتسب مراقبة الأسواق والتجار وما يفعلوه [6] – وهذا ما سوف أتطرق إليه لاحقاً –.

---

(1) - البكري : مصدر سابق ، ص 26 .
(2) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 78 .
(3) - حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ1 ، ص 58 .
(4) - ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص 48 ، جمال طه : مرجع سابق ، ص 47 .
(5) - يوسف : جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3 – 4هـ / 9 – 10 م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ت ، ص 129 .
(6) - نفس المرجع .

أما بالنسبة لتوقيت العمل في الأسواق فيمتد من أول النهار إلى أخر الليل؛ مما يضطر الباعة إلى تناول طعامهم في المطابخ القريبة أو تلك الموجودة فيها[1]، وبما أن الأسواق لم تكن ملكاً لأحد فالظاهرة المعتادة : أنه من أتى مكاناً في أول النهار من الباعة فهو له طول النهار حتى المساء وأنه حر التصرف فيه يبيع ويشتري ولا ينتقل منه إلا بإرادته[2].

ولم تكن الأسواق في معزل عن المدينة أو يحفيا سور يفصلها نهائياً عنها باستثناء الخاصة بالحيوانات ، فهي تحتاج إلى مكان فسيح واسع وتكون بعيدة بعض الشيء عن وسط المدينة ، فأقيم بعضها على مقربة من السور كسوق الجمال ، وسوق الدجاج ، وذلك راجع إلى الأوساخ التي تخلفها[3] ، وكذلك تلك التي يحتاج العمل فيها إلى أصوات مرتفعة كسوق الحدادين[4] أو تلك التي تخرج منها روائح كريهة مثل سوق الدباغين[5]، أما باقي الأسواق فتقع في وسط المدينة وفي عدد من ضواحيها ، ولها أبواب تغلق مساءً بعد خروج الباعة والعمال ، فالحركة فيها تنتهي بعد صلاة العشاء ولا يبقى فيها إلا الأشخاص المكلفين بحراستها، والهدف من ذلك كان لمنع حوادث السرقة والسطو[6]، وحماية السلع التجارية ، والمحافظة على أموال التجار والأسواق من التدمير والتخريب ؛ وتوفير الأمن والاستقرار .

أما واجبات أهل السوق تجاه الأسواق فتكمن في المحافظة على نظافتها ومنع رمي القاذورات والأوساخ بجوارها . مع منع الجلوس في الطرق الضيقة[7]، وفي حالة الأسواق الغذائية رش الأرضية

---

(1) . القروني الأندلسي ، أبو عبد الله محمد بن الحارث القروني الأندلسي ، قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ، تحقيق السيد عزت العطار ، د ر ، القاهرة ، د ت ، ص 152 .

(2) . الخشني ، المعلى ، المعلى بن محمد بن حنون ، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام ، تحقيق آصف بن علي أصغر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969 ، جـ2 ، ص 16 .

(3) . حولت عبد الكريم يوسف ، مرجع سابق ، ص ص 144 – 146 .

(4) . نفس المرجع ، ص 144 .

(5) . القروني القيرواني ، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمر موسى ، د ر ، تونس ، 1967 ، ص 158 .

(6) . الشوذي ، عبد الرحمن بن نصر ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، 1981 ص 171 + ألفي متز ، مرجع سابق ، جـ2 ، ص 385 + عفيفي محمود إبراهيم ، الحسبة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار ص 193 .

(7) . ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق روبن ليفي ، مكتبة المثنى ، القاهرة ، 1938 ، ص 79 .

والفواكه بالماء[1] للتخفيف من حرارة الشمس عند اشتدادها صيفاً.

والملاحظ على الأسواق عامة أنها لم تكن أسواقاً اقتصادية فحسب، أي تخدم الجوانب الاقتصادية والتجارية ، بل لها أدوار أخرى تؤديها ، فكانت بمثابة ملتقى لسماع الأحاديث والأخبار التي تحدث في الأمصار خلال اليوم والأسبوع مثل حوادث القتل ، والسلب ، والنهب ، والثورات ، والاعتداءات ، وربما سماع الشعر والأدب[2]. وبطبيعة الحال ينقل رواد الأخبار أو التجار بأنفسهم ما سمعوه إلى مدنهم للاستفادة منها وأخذ الحيطة والحذر.

وجرت العادة أن يكون لكل صنعة سوق وطائفة خاصة بها يتم فيه تصريف السلع الموجودة في المراكز أو في أماكن أخرى كالمدن والقرى ، وربما في أيدي أصحابها ، وهذه الأسواق منها اليومي الثابت ، أو الأسبوعي ، أو الموسمي وعلى هذا الاختلاف يتم تقسيمها إلى :-

أ- الأسواق اليومية الثابتة :-

هذا النوع من الأسواق يقام في المدن بشكل دائم وثابت ، وجرت العادة بأن تكون في حي مستقل أو في مداخل المدن[3]. ويختص بعضها ببيع سلعة معينة كالخضروات ، والفواكه ، والحبوب بينما يقتصر البعض الآخر على منتجات الألبان ، وهناك ما يختص ببيع الحيوانات والأسماك [4].

والملاحظ على الأسواق اليومية أنها تخلق فرص العمل التي تؤثر على زيادة تجمع للسكان وتداخلهم ، ومن ثم خلق قوة وحركة شرائية لا مناهض لها من حيث توفر قوى السكان اليومي.

1- ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 83 .

2- بروفنسال : ليفي ، الإسلام في المغرب و الأندلس ، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، د.ن ، القاهرة ، 1957 ، ص 264 .

3- المصدر نفسه : مرجع سابق ، ص ص 224 - 225 .

4- الونشريسي : أحمد بن يحيى ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 ، جـ6 ، ص 408 ؛ القلقشندي : مصدر سابق ، جـ5 ، ص ص 175 - 176 ؛ حسن علي حسن : مرجع سابق ، ص 275 .

والدباغين، والعطارين[1]، والرماحين ، واللحامين ، والزياتين ، وأسواق للغزل والنسيج[2]، كما وُجدت أيضاً أسواق مختصة بصناعة الزجاج والفخار إضافة للصناعات النسيجية من كتانية ، وصوفية ، وقطنية ، وحريرية وهذا صاحبه سوق الحياكة [3].

كذلك وجد في المنطقة سوق الدخان الذي يختص بصناعة الطعام[4] فالمعروف عن أصحاب المحال أنهم يأكلون في المطاعم التي تقع بالقرب من الأسواق ، لأنهم لا يذهبون إلى بيوتهم إلا وقت المساء[5]، لذا فمن الطبيعي أن تقام مثل هذه الأسواق والتي ليست ببعيد عنها ، ووجدت أخرى خاصة بصناعة الخبز[6]، كما وجدت أسواق للرقيق وذلك بسبب رواج تجارته[7].

وجميع الأسواق السابقة لها آدابها و نظامها الذي يسهل للنّاس والباعة عملية التعامل ، وتمثل ذلك في منع دخول الحيوانات لهذه الأسواق تجنباً لعرقلة السير[8]، وتغلق المحال في مواعيد الصلاة [9]. إضافة إلى ذلك عرفت الأسواق فئة الدلالين الذين يقومون بالوساطة بين أصحاب البضائع من التجار وأصحاب المحال من جهة ، وبينهم وبين المشتري من جية أخرى ، إذ إنهم مختصون في بيع السلع ولا سيما القديمة منها[10]، بأن يعرضوها من سوق لأخر مع إعلان الثمن المناسب لها بطريقة غاية في الروعة ، ومن ضمن عملهم الإشراف على عمليات المزايدة وقت الحاجة حتى يتحصلوا على أعلى ثمن فيبيعونها ويكون ذلك بمقابل متفق عليه مسبقاً [11].

---

(1) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 235 ، ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص 48 ، حسن علي حسن : مرجع سابق ، ص 273 .
(2) - المنتسي : مصدر سابق ، ص 30 ، عثمان كعك : مرجع سابق ، ص 8 ، حوة عبود : مرجع سابق ، ص 26 .
(3) - الونشريسي : مصدر سابق ، جـ6 ، ص ص 68 - 165 ، جمال طه : مرجع سابق ، ص ص 224 - 225 .
(4) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 235 .
(5) - آدم متز : مرجع سابق ، جـ2 ، ص 285 .
(6) - ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص 48 .
(7) - أبو مصطفى : كمال السيد ، جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المغرب للونشريسي ، دار الثقافة ، د.ن ، 1991 ، ص 70 .
(8) - جمال طه : مرجع سابق ، ص 226 .
(9) - فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 95 .
(10) - الشرزي : مصدر سابق ، ص 64 .
(11) - جمال طه : مرجع سابق ، ص 227 ، حوت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص 168 .

وينبغي لمن يتولى منصب الدلال أن يتحلى بالشروط الآتية :-
أن يكون من خيار الناس الثقاة ، ومن أهل الدين والأمانة والصدق ، لأن بعضهم يحمل بضائع غيره إلى أماكن بعيدة ، فربما تكون فاسدة أو فيها عيب لذا من واجبه إخبار المشتري بذلك ويوقف البيع إذا لزم الأمر[1].

وإلى جانب الدلال وجد السمسار الذي تكمن وظيفته في التدخل في المعاملات المالية مقابل نسبة من الأرباح ، ويعمل لعامة الناس سواء أكانوا أصحاب بضاعة أم تجاراً أو زبائن ، ويكثر وجوده في المراكز التجارية الكبرى دون أن يملك فيها مكاناً خاصاً به[2].

والدلال يختلف عن السمسار في أنه يمتلك السلعة التجارية سواء خاصة به أو لغيره من التجار ويقوم ببيعها ، على عكس السمسار فاقداً لها ، لكنهما يتفقان مع بعضهما في الطرق المتبعة في عملية البيع والشراء ، حيث يزينان السلعة أمام المشتري ، ويرفعان السعر في الوقت المناسب ، وينديان بجودتها وقيمتها وندرتها وربما استعملا الحيلة الشريفة في ذلك[3] ، ولكي يكتمل موظفو السوق وجد الحمالون الذين يقومون بنقل البضائع من مكان لآخر ، وقد يكون الحمل فوق الأكتاف بواسطة أكياس ، وأحياناً تستخدم الدواب أو عربات صغيرة تصنع لذات الغرض وفي هذه الحالة تستخدم الحبال لربط البضائع[4] خوفاً من الوقوع والتلف، وأخيراً نجد السقاة حاملين الماء في قرب مصنوعة من الجلد ويسيرون في الأسواق يقدمون الماء للباعة والمشترين و التجار[5].

وهؤلاء العمال جميعهم يمارسون عملهم بترخيص من عامل المدينة ، وليم رئيس أو أمين يرجعون إليه في فض النزاعات[6] أو ما شابه ذلك.

---

[1] - الشرزي : مصدر سابق ، ص 64 .
[2] - حوتت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص 194 .
[3] - نفس المرجع : ص 168 .
[4] - عبد المواد إحسن علي حسين ، الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في القرنين (5 - 6هـ / 11 - 12م) رسالة دكتوراه ، كلية العلوم ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1973، ص 396 ، جمال طه : مرجع سابق ، ص ص 226 - 227 .
[5] - الشرزي : مصدر سابق ، ص 117 ، حسن علي حسين عبد المواد : مرجع سابق ، ص 379 .
[6] - جمال طه : مرجع سابق ، ص 227 .

هذا بالنسبة للأسواق التخصصية اليومية والتي يحتاج الأهالي إلى بضائعها يومياً، ولكي تكتمل العملية التجارية وجدت أسواق أخر غير اليومية وإنما هي أسبوعية.

ب – الأسواق الأسبوعية:-

إلى جانب الأسواق اليومية هناك أخر أسبوعية تقام في مختلف المدن والقرى ، وهذه النوعية مقترن موعد انعقادها بأيام معينة في الأسبوع[1] ، فمثلاً هناك سوق يقام يوم الجمعة من كل أسبوع في قرية نصر بن جرو[2] ، وفي وادي ورعة[3] ، وكذلك سوق آخر يقام في نفس اليوم في مدينة أصيلة[4] ، أما أسواق يوم الأحد فقد عرفت في كل من أغمات ، وريكة ، والقيروان[5] ، كما كان يقام بالقرب من غمارة سوق كل يوم ثلاثاء[6] ، وفي قرية قصر أبي موسى الواقعة في ضواحي مكناسة سوق يقام كل يوم خميس[7] ، كما كان هناك سوق آخر في القيروان[8] ، ولا تزال هذه الأسواق موجودة حتى الآن وخاصة في ليبيا.

ومثل هذه النوعية من الأسواق عادة ما يقوم بعقدها أناس بسطاء ليس لديهم المال الكافي لفتح الأسواق الكبيرة واليومية ، كما أن السلع التي تعرض فيها رخيصة الثمن ، لذا نجد عامة الناس يتوجهون إليها لأنها لا تعقد إلا في نفس اليوم من الأسبوع الثاني وهكذا.

وعلى هذا الأساس وجدت الأسواق الأسبوعية لتلبي مطالب السكان و التجار في موعد ثابت ومناسب من كل أسبوع، ويتماشى مع نمط معيشتهم وظروف حياتهم ، فيلتقون فيها لتبادل المنافع التجارية ولكن ماذا عن البضائع الموسمية التي يحتاج إليها الأهالي في الأعياد والمناسبات الدينية ؟

---

(1) - حسن علي حسن : مرجع سابق ، ص 274 .
(2) - البكري : مصدر سابق ، ص 108 .
(3) - ابن عبد ربه الحفيد : مصدر سابق ، ص 206 .
(4) - الحميري : مصدر سابق ، ص 42 .
(5) - البكري : مصدر سابق ، ص 153 ، المقدسي : مصدر سابق ، ص 225 .
(6) - البكري : نفس المصدر ، ص 107 .
(7) - الإدريسي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 245 .
(8) - المقدسي : مصدر سابق ، ص 225 ، القيرواني الأندلسي : مصدر سابق ، ص 253 ، الخشني : أبو محمد بن محمد بن الحارث بن أسد ، طبقات علماء أفريقية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت ، ص 177 .

جـ - الأسواق الموسمية :-

تميزت بأنها تقام بشكل دوري سنوي ومنتظم على فترات متباعدة يقصدها التجار من مختلف المناطق القريبة والبعيدة[1] ، لأن موعدها مرتبط بأعياد ومناسبات دينية ، وبضائعها تستعمل في تلك المناسبة وتكون ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها ، وهناك أخرى خاصة بالحبوب والفواكه الموسمية.

ومن أشهر هذه الأسواق سوق في مدينة أصيلة ينعقد في شهور رمضان وذي الحجة وعاشوراء[2] ، وبالرغم من قلة انعقادها إلا أنها أسهمت في تنشيط الحركة التجارية وما قدوم التجار إليها ولا سيما من الأماكن البعيدة إلا دليل واضح على وجود قوة شرائية وأرباح مضمونة.

وتجدر الإشارة إلى أن سكان المنطقة عرفوا أنواعاً أخرى من الأسواق وهي التي تنتسب إلى طوائف أو جماعات دينية تكون مشرفة عليها ولها حق التصرف فيها كسوق المسلمين[3]، وسوق اليهود[4] ، وسوق العسكر الذي يقام في الفترة التي يسترح فيها الجند[5] ، وسوق الرهادنة الخاص بمنتجات أوروبا لذا عرف بسوق الأجانب[6].

هذه هي أهم الأسواق التي عرفتها المنطقة سواء يومية كانت أو أسبوعية أو موسمية ، وجميعها معروفة من قبل السكان عامة والتجار خاصة ، وأنها أسهمت إسهاماً فعالاً في تصريف البضائع والسلع التجارية بالدرجة الأولى ، وهذه المساهمة دفعت بالنشاط والحركة التجارية إلى الأمام ، مما أدي إلى وجود التجار بكثرة على المنطقة باختلاف أجناسهم ولغاتهم وعملاتهم ، وهذا الاختلاف من شأنه أن يعم الفوضى داخل السوق وعدم التفاهم بين البائع و المشتري ، لذا لابد من وجود قوانين أو أساليب تضبط نظام التعاملات المالية داخل الأسواق ، وأن مثل هذه العقومات تجعل النشاط التجاري يصل إلى أحسن حالاته ، وليا صدى على الساحة التجارية بصفة عامة.

---

(1)- فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 97 .
(2) - الحميري : مصدر سابق ، ص 42 ، ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 232 ، البكري : مصدر سابق ، ص 112 .
(3) - القاضي النعمان : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 16 .
(4) - القاضي عياض : مصدر سابق ، ص 359 ، المقدسي : مصدر سابق ، ص 235 ، محمد محمد زيتون : مرجع سابق ، ص 94 ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ2 ، ص 53 .
(5) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ4 ، ص ص 35 – 38 – 39 ، جودت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص 143 .
(6) - المقدسي : مصدر سابق ، ص 30 ، عثمان كعاك : مرجع سابق ، ص 8 ، حياة عبود : مرجع سابق ، ص 26 .

الفصل الرابع : أساليب التعامل التجاري وأثر التجار في نشر الإسلام

المبحث الأول : أساليب التعامل التجاري

المبحث الثاني : الرقابة على الأسواق

المبحث الثالث : أثر التجار في نشر الإسلام في جنوب الصحراء

المبحث الأول : أساليب التعامل التجاري :-

كان للتجارة أو التعامل التجاري اسلوب خاص في المعاملات المالية من بيع وشراء ، وقد اختلف هذا الأسلوب وتنوع تبعاً للظروف ، فتعامل تجار المنطقة المعنية بالدراسة بعدة طرق مع تجار المدن المختلفة، ومن بين تلك الطرق :-

المقايضة ، النظام النقدي ، الصكوك ، السفاتج ، المكاييل والأوزان ، والصيارفة.

وسأتحدث عن كل نوع من هذه الأنواع :-

أ – المقايضة ...

من القبض أو التبديل ، وتعنى كلمة المقايضة المبادلة ، وعادة ما تكون بين شيئين بغض النظر عن القيمة.

المقايضة هي أحد الأساليب التي اتبعها التجار في المعاملات المالية مع غيرهم من التجار، وهذا النوع انتشر بكثرة في القرى والضواحي أكثر من المدن، وبخاصة التي يكثر تعاملها مع أهل السودان الغربي [1] ، فكانوا يقايضون البضائع وزناً بوزن ، وأكثر شيء تتم المقايضة فيه الملح بالذهب الذي اعتبر كقطع العملة [2]، وفي بعض الحالات قد يزيد الملح إلى الضعف،وما يؤكد ذلك كلام ابن بطوطة إذ يقول :-

" وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ويتبايعون به" [3].

وعادة ما يتم هذا الأسلوب بين التجار دون أن يرى أحدهما الأخر ، أو بين تجار لا يعرف أحدهما لغة الأخر ، وتسمى هذه التجارة بالصامتة أو التبادل الصامت[4]، وهنا تكون لغة التفاهم ضرب الطبول.

---

(1) - الونشريسي : مصدر سابق ، جـ5 ، ص 238 ، جـ10 ، ص 436 .
(2) - أبو حامد الأندلسي : مصدر سابق ، ص 42 .
(3) - ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص 681 .
(4) - إبراهيم علي طرخان : مرجع سابق ، ص 70 .

ولا شك أن هذا النوع من المعاملة أعفى التجار من الحديث والحوار حول الثمن ، ويتميز بأنه أسرع وأسهل إلى إنجاز العمل ، لأن الحوار يطيل الوقت.

ومن ذلك نستخلص أن المقايضة عبارة عن استبدال سلعة بأخرى[1]، وهي واردة في كتب الفقه وأجازها الفقهاء مع وجود شرط التراضي ومع الاحتفاظ بخيار البائع وخيار المشتري ، ويجوز استبدال سلعة رخيصة أو أقل قيمة بسلعة أكثر منها قيمة مع التعويض في الأقل.

ومهما يكون من أمر فإن عملية المقايضة لم تسلم من بعض الصعوبات كانعدام التوافق بين الطرفين بخاصة في حالة استبدال سلعة أقل من الأخرى، مع عدم التعويض في الأقل[2] ، أو إن السلعة متوفرة في بلد أحد الطرفين[3].

ب – النظام النقدي :–

نقده : أنقده ، أي أعطاه مالاً عن الشيء ، وهو ما يسمى بالثمن أو السعر، وكان العرب قبل الإسلام يتعاملون بنقود الفُرس (الدراهم الفضية) ودنانير الروم الذهبية ، وبعد الفتح العربي الإسلامي للمنطقة ظل الحال كما هو ، فتعامل المسلمون بالعملة السابقة ، أي أن النظام النقدي لم يطرأ عليه تغيير حتى بعد إصلاحات عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حتى وصل الأمر إلى عبد الملك بن مروان – (65 – 86 هـ / 684 – 705 م) – الذي رأى من واجبه أن يعتمد على نظام نقدي إسلامي بدلا من اعتماده على النظام الفارسي الذي اندثر أو النقد البيزنطي الخارجي كي تكتمل شخصية الدولة الإسلامية بوجود نظام مالي خاص بها ، وبهذا يكون التحول السياسي الذي أحدثه تبعه تحول على المستوى المالي ، لأن هذا التحول كان أحد أوجه الاعتراف بالسلطة والاستقلال ، فاستثمار المسلمين في عمل الدينار الإسلامي ، ثم أمر بسكه (ضربه) والذي أصبح من أهم وسائل التعامل في الأسواق ، وكان وزنه في تلك الفترة 4،25 جرامات وقطره 180 ،21 مليمتراً[4].

---

(1) – الونشريسي : مصدر سابق ، جـ5 ، ص 238 ، جـ10 ، ص 436 ، المصري : عبد السميع ، التجارة في الإسلام ، مقالة من مجلة الاقتصاد الإسلامي ، العدد (47) ، شوال 1985 ، ص 454.

(2) – عبد العزيز مهيدي : مرجع سابق ، ص 10.

(3) – عبد السميع المصري : مرجع سابق ، ص 454.

(4) – walker , op . cit , p .86

وعندما تولى حسان بن النعمان (78 – 86هـ / 697 – 705 م) أمر بلاد المغرب العربي الإسلامي أضاف بعض التعديلات والنقوش الدينية الإسلامية على العملة[1]، فظهرت عملة إسلامية خالصة ، واستمر الأمر بهذه الكيفية إلى قيام الدولة العباسية ، وبالتحديد حتى عهد هارون الرشيد الذي اعترف بولاية إبراهيم ابن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية فيما بعد في المغرب الأدنى (تونس) (184 – 296هـ / 800 – 908م) ، فعمل على ضرب عملة جديدة * تميزت بظهور الرموز على الدينار[2] المضروب من الذهب.

ففي مركز الوجه وتحت النصوص يظهر شكل هلال ، بينما في الجانب الأيسر من نصوص مركز الظهر يظهر شكل عصا بها تقويس خفيف ربما تمثل حرف الألف بشكل مقوس[3].

والشكل التالي يوضح الشكل العام للدينار الاغلبي :-

. الوجه المركز :

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

الظهر المركز :

غلب

محمد

رسول

الله

عبد الله

الهامش : باسم الله ضرب هذا الدينار سنة (...**) [4]

---

(1) - حياة عبود : مرجع سابق ، ص 89 .

* - أول دينار ضرب في أفريقية سنة 189هـ/ 804 م

(2) - محمد : عبد الرحمن فهمي ، موسوعة النقود العربية ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، 1965 ، ص ص 829 - 830 .

(3) - عبد العزيز مهيدي : مرجع سابق ، ص 75 .

** - (...) يكتب السنة التي ضرب فيها الدينار .

(4) - www : ISLAMIC GOLDEN COINS .NET , NO. 1.

والدينار السابق بقطر 1،8 سم[1] ، وبهذه الطريقة تضرب الدنانير الأغلبية مع تغيير بسيط في اسم الأمير الأغلبي ، أو السنة المضروب فيها الدينار .

وبالنسبة لدراهم الأغالبة استمرت هي الأخرى في الضرب من الفضة دون تغيير كبير ، فالشكل العام لها تحمل في نصوص مركز الوجه فوق السطر الأول شكل هلال ، مع وجود ثلاث حلقات موزعة على ظهر الدرهم[2]، فجاءت على النحو التالي :-

الوجه المركز :

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الهامش : بسم الله ضرب هذا الدرهم بأفريقية سنة (...)

الظهر المركز :

غلب

محمد

رسول الله .

عبد الله الاغلبي

عبد الله

الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[3].

وهكذا ضربت الدراهم الأغلبية دون تغيير يذكر باستثناء اسم الأمير والسنة، ولكن التغيير الذي حدث فيها كان في ثورة الدراهم والتي لابد من إشارة بسيطة إليها ، تلك الثورة التي قادها منصور بن نصر الطنبذي ضد زيادة الله الأول[4] والتي على أثرها قام منصور بضرب دراهمه الخاصة ، فبدل فيها كلمة

---

(1) - عبد العزيز مهيدي : مرجع سابق ، ص 76 .

(2) - نفس المرجع .

(3) - الحسني : محمد باقر ، دراسات في نقود الثوار والشعارات والمناسبات الضربية في أفريقية ، مجلة المسكوكات ، العدد السابع ، 1976 ، ص 34 .

(4) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 98 .

غلب في السطر الأول من نصوص مركز الظهر إلى كلمة عدل ، وكلمة منصور بن نصر بدل من كلمة زيادة الله[1]، وفي هذه الفترة وجدت دراهم الصحاح قيمة كل عشرة تساوي ديناراً فسميت بالعشارية[2]، كما وجد ربع الدرهم وثمن الدرهم[3].

وإلى جانب الدينار الذهبي والدرهم الفضي وجد الفلس النحاسي المستعمل بكثرة في التعامل اليومي ، لشراء السلع التي تقل قيمتها عن الدرهم والدينار[4].

والشكل التالي يوضح الشكل العام للفلس :-

الوجه :

الحمد لله

محمد

رسول الله

الظهر :

ضرب بطرابلس

سنة(...) [5]

وحذت الدويلات المستقلة في المنطقة حذو الأغالبة في ضرب العملة ، فقامت بضرب عملاتها المشابهة في نصوصها وأوزانها لمسكوكات الأغالبة.

فبني مدرار (140 – 296هـ / 757 – 908 م) ليم عملتهم المسماة بالدنانير العشرية [6]، وعرفت سجلماسة عملة اشتهرت باسم الشاكرية[7].

أما بني رستم في تاهرت (160 – 296هـ / 778 – 908 م) فقد سكوا مسكوكاتهم من ذهب بلاد السودان[8] وتحتوي على دنانير ودراهم ، والأخيرة ضربت من الفضة بوزن ينقص عن وزنها الشرعي[9]. والملاحظ على عملة بني

---

(1) - عبد العزيز مبيدي : مرجع سابق ، ص 76 .

(2) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ1 ، ص ص 120 – 121 ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ1 ، ص 434 .

(3) - المالكي : أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان والريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم ، تحقيق ، بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 ، جـ1 ، من ص 360 – 494 – 526 .

(4) - حورية عبد سلام : مرجع سابق ، ص 149 .

(5) - عبد العزيز مبيدي : مرجع سابق ، ص 64 .

(6) - ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 231 .

(7) - عبد العزيز مبيدي : مرجع سابق ، ص 80 .

(8) - نفس المرجع : ص 83 .

(9) - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ، جـ2 ، ص 579 ، ارشيبالد لويس : مرجع سابق ، ص 28 .

رستم أن رسمها على شكل دائرة ، وهي كثيرة التداول لدرجة انتشارها في المشرق الإسلامي في دمشق[1].

وبالنسبة للأدارسة(178 - 307 هـ / 788 - 919 م) فأن أغلب مسكوكاتهم طبعت من مغدني الفضة والنحاس ، وهي تحاكي وبشكل كبير مسكوكات الأغالبة [2]، مع اختلاف بسيط في الدينار ، تمثل في كتابة كلمة بخ في السطر الأخير من نصوص مركز الظهر[3]، كما نقشت الكلمة السابقة أعلى نصوص مركز الظهر في الدراهم[4].

والشكل التالي يوضح عملة الأدارسة بعد التغيير الذي طرأ عليها :-

الشكل العام للدينار :

الوجه المركز :

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

الظهر المركز :

إدريس

محمد

رسول الله

إدريس الأول

بخ

الهامش : باسم الله ضرب هذا الدينار في (كذا) سنة (كذا)

---

(1) . محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 235 .

(2) . عبد العزيز مهدي : مرجع سابق ، ص ص 84 - 86 .

(3) . رمضان ; عاطف منصور محمد . الكتابات غير القرآنية على النقود الإسلامية في المغرب والأندلس . مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة د.ت ، ص 20 .

(4) . Henvi Lexiox : Catalogue Monnaies Musulmanes paris,1896.p.377.

الشكل العام للدرهم :

الوجه المركز :

لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الهامش : باسم الله ضرب هذا الدرهم في (كذا) سنة (كذا)

الظهر المركز :

بخ

إدريس

محمد

رسول الله

إدريس الأول

الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين والحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[1].

والأشكال السابقة كانت للعملات المضروبة في فترة الدراسة من دينار ودرهم وفلس ، والملاحظ أن أوزانها لم تكن ثابتة . أي ترتفع وتنخفض تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية.

فمثلاً عندما يستتب الأمن ويعم الرخاء الاقتصادي يصل وزن الدينار إلى 3.72 غرامات ، على عكس فترة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي إذ يصل وزنه إلى 4.5 غرامات ، كما أن الظروف ساعدت على وجود أجزاء للدينار : النصف ، الربع ، ورباعي ، وثماني ، وأن أوزانها تختلف مثليا مثل الدينار[2] الذي يضرب دائماً من الذهب[3].

كذلك الحال بالنسبة للدرهم المضروب دائماً من الفضة ، وأقل قيمة من الدينار، وهو الأخر وزنه غير ثابت ، ففي فترة الاستقرار يصل إلى 2.74 جرام،

---

(1) - عبد العزيز مهيدي : مرجع سابق ، ص ص 87 - 88 .

(2) - الصالح : مرمول محمد ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص 175 ، حياة عبود : مرجع سابق ، ص 94 .

(3) - صالح بن قربة ، المسكوكات المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص 383 .

وفي فترة عدم الاستقرار يصل إلى 2.90 جرام[1]، أما أجزاؤه فهي : النصف ويسمى القيراط ، والربع ، والثمن ، وله جزء آخر يعرف باسم الخرنوبة[2].

وجميع هذه الأنواع استعملت في المعاملات المالية ، والغرض منها أنها تساعد على مرونة وتسهيل العمليات التجارية ؛ خاصة أيام الرخاء الاقتصادي فتكثر السلع ، ومن ثم ينخفض سعرها ، وبالتالي تظهر الحاجة الماسة لهذه الأنواع، والتي تتيح الفرصة لجميع شرائح المجتمع من إمكانية الحصول عليها وتداولها، كما أنها تمكنهم من شراء ما يلزمهم من سلع وبضائع.

وهذه الأنواع لها دور ضرب خاصة بها تسمى دور السكة ، وغالباً ما تقع في حاضرة الدولة ، ومقرها يكون بالقرب من دار الإمارة والمسجد ، ويشرف على العمل والنظام فيها مختصون اشترط فيهم المهارة والخبرة لإذابة المعادن وسبكها، فضلاً عن آخرين لعملية الوزن والنقش والطباعة ويطلق على هؤلاء اسم السكك*، إلى جانب الحراس لحراستها[3].

وإن أول دار اتخذت لذلك الغرض هي : رقاده ثم تبعتها القيروان، والعباسية[4]، وتاهرت ، وسجلماسة ، وعدوتي مدينة فاس[5].

جـ – الصكوك :-

هي كلمة فارسية الأصل ، معربة من جك، مفردها صك ، وكان الأمراء يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها ويعطون للمشتري صكاً ليصرفه[6]، ومن خلال ذلك نستنتج تعريف الصكوك : وهي عبارة

---

(1) - مرسول محمد الصالح : مرجع سابق ، ص 176 ، هبة عود : مرجع سابق ، ص 95 .
(2) - المقتبس : مصدر سابق ، ص 240 .
* - في كلمة مأخوذة من السكة وتعني الختم على الدنانير والدراهم ، حيث يتم سك النقود وصنعها بعد تذويب مادتها وصنعها بالشكل المطلوب ثم وضعها في آلة السكة .ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، د.ت ، ص ص 203 – 204 ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ1 ، ص 411 .
(3) - حسن حسني عبد الوهاب : نفس المرجع والجزء.
(4) - Henri Laxiox: op. cit.p.45 . ، حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ1 ، ص ص 414 - 415 .
(5) - عبد العزيز مهدي : مرجع سابق ، 84 .
(6) - ابن منظور : مصدر سابق ، مجـ4 ، ص 2475 .

عن قطعة ومستند رسمي من الورق يسجل به مبلغ من المال ، وتشبه اليوم وصل الأمانة والصكوك معروفة منذ صدر الإسلام[1]، وإن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أول من صك وختم أسفل الصك[2]، وبالتالي أصبحت وسيلة من أساليب التعامل التجاري ، وتستعمل بكثرة بين تجار المنطقة – خاصة المغرب الأقصى – وبين التجار المصريين ، وهؤلاء التجار استخدموها في المعاملات المالية من بيع وشراء ووفاء دين[3] ، مما أدى إلى ارتفاع قيمتها ارتفاعاً كبيراً، فبلغت قيمة الصك الواحد حوالي أربعين ألف دينار (40,000)[4] وأكد ابن حوقل ذلك بقوله:- إنه شاهد بأودغست صكاً سجل فيه مبلغ لأحد التجار على تاجر سجلماسة وقيمته اثنين وأربعين ألف دينار (42,000)[5]، أما طريقة التعامل بها: فبي أن يرسل المشتري إلى صاحب السلعة المراد شراؤها صكاً يحتوي على اسمه واسم السلعة المراد شراؤها مع ثمنها وتوقيعه ، وعند استلام البائع للصك يرسل إلى صاحبه ما طلبه من بضائع بينما يحتفظ بالصك ، وفور حصوله على النقود يسلم الصك إلى صاحبه[6].

ومما تقدم يتضح أن الصك يشبه أو ربما يكون (الشيك) ، وأن الاختلاف بينهما في كتابة اسم السلعة على الصك بينما يكتب المبلغ على (الشيك) الذي يصرف عن طريق المصارف ، بينما الصك يكون متداولاً بين التجار والمواطنين.

ومن ذلك يتبين أن الصكوك لم تكن حكراً على التجار فقط ، وإنما يستخدمها حتى المواطنون[7]، وهي لم تكن مجرد أوراق عادية ، وإنما احتوت على العديد من الإجراءات القانونية ، فتحريرها يتم بدقة متقانية ، فمثلاً كان يدرج اسم صاحبه أولاً ثم المبلغ بالأرقام فالحروف مع موعد الاستيفاء[8]، وأخيراً يوقع صاحبه بعد أن يوقع شاهدان ثم يختم في الأسفل بخاتم خاص ويصدق عليه[9].

---

(1) . الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، كتاب الوزراء و الكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1980 ، ص 196 .

(2) . الأصطخري : كتاب الأقاليم ، مخطوط مصور في جامعة الملك سعود ، الرياض ، ص ص 37 - 38 .

(3) . البشري : مصطفى ، الأعمال المصرفية في الإسلام ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، د . ت ، ص 21 .

(4) . ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 99 .

(5) . نفس المصدر : ص 96 ، جوزيف كي زيرنر : مرجع سابق ، ص 190 .

(6) . حمة عبود : مرجع سابق ، ص 102 .

(7) . الكبيسي : حمدان ، أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية ، د . ر . بغداد ، 1988 ، ص ص 47 – 48 .

(8) . نفس المرجع : ص 48 .

(9) . حورية عبده سلام : مرجع سابق ، ص 202 .

ويكثر استخدام الصكوك في حالة عدم توفر المال الكافي ، فتكون بمثابة وسيلة للتعويض عن النقود إلى حين توفرها ،أو أن تكون الطريق غير آمنة أو كأن تكون بعيدة[1]، كل ذلك جعل منها وسيلة دفع مهمة ، فضلاً عن كونها خفيفة الحمل ومأمونة من الضياع.

أما مكان صرفها : فتصرف عند الصيارفة ، وعادة ما يأخذ هؤلاء الصيارفة عمولة على صرف الصكوك ، أو تصرف في بيت المال[2].

وبما أنها تصرف في بيت المال فأن هذا يعطيها الصفة الحكومية والرسمية،لأن بيت المال مؤسسة من مؤسسات الدولة ، وهذا ما يؤكد اعتمادها من قبل حكومة الدولة.

د – السفاتج :-

مفردها سفتجة، وهي كلمة فارسية الأصل ، معناها ورقة ذات قيمة مالية[3] أو سند يحرره المشتري للبائع ويكون قابلاً للتداول في أي مكان[4]، تمتاز بأنها تسهل على المشتري شراء ما يلزمه من بضائع دون أن يدفع قيمتها إلا بعد حصوله على المال[5]، وتساعد التاجر على تصريف بضائعه في سهولة ويسر وتمنع تكديسها في الوقت الذي يكون لديه ما يضمن حقه.

بالإضافة إلى أنها وسيلة تساعد التجار على اقتراض مال من بيت المال لشراء سلع . ثم بمقدور هؤلاء التجار أن يدفعوا المال إلى بيت المال في بلد غير البلد الذي اقترض منه[6].

إن رواج الاقتصاد وتعدد مراكز التجارة من شأنه أن يعمل على وجود وسيلة تعامل بين التجار،وتقارب بينهم في مختلف الأقطار[7] لذا نجد أن السفاتج لها دور مهم وفعال في تنشيط الحركة التجارية بالوظائف المتعددة التي تقوم بها،فهي بمثابة أداة لنقل النقود،أو لشراء سلع،أو أداة الثمان وضمان حق، أو وفاء دين[8]، لهذا

---

(1) . حمدان الكبيسي : مرجع سابق ، ص 48 .
(2) . حياة عود : مرجع سابق ، ص 102 ، حمدان الكبيسي : مرجع سابق ، ص 48 .
(3) . سرور : محمد جمال الدين ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، د . ر . د . ن ، 1967 ، ص 163 .
(4) . حوتت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص 239 .
(5) . حياة عود : مرجع سابق ، ص 103 .
(6) . مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، د . ر ، القاهرة ، 1915 ، جـ1 ، ص 43 .
(7) . حمدان الكبيسي : مرجع سابق ، ص 25 .
(8) . حوتت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص 239 .

كانت موجودة في الفترة السابقة وشاع استعمالها بكثرة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي[1].

وغالباً ما يتم هذا النوع بين تاجر محلي وآخر أجنبي بشرط أن يعرف كل منهما الأخر معرفة جيدة[2]، فمثلاً إذ أراد الأخير شراء سلعة ما من نظيره المحلي فلا يدفع له مقابلاً في نفس الوقت ، وإنما يكتب له المبلغ المستحق واسمه على سفاتج ثم يتسلم ما يريده من مكان آخر خارج البلاد[3].

ويكثر استخدام السفاتج في الأوقات التي تكون فيها الطرق غير آمنة[4]، ويكثر فيها قطاع الطرق واللصوص.

هـ - المكاييل والموازين :-

عرفت أسواق المنطقة الإسلامية بصفة عامة بعض المكاييل والموازيين المستخدمة في عملية البيع والشراء ، والتي تساعد على خلق توازن بين العملية التجارية ، فمن بين المكاييل المعروفة في الأسواق هي :-

المد *، والوسق ، والقفيز **، والسطل ، والصحفة[5]، والفرق ، والقسط والمختوم ، والمكوك ، والصاع ، وأهمها الصاع والمد النبوي[6].

وعلى الرغم من أن هذه الوحدات التي استخدمها العامة في سائر الأقطار الإسلامية، إلا أن قطر الشمال الأفريقي اشتهر بالمد ، والوسق ، والسطل[7]، والقلة ، والقفيز ، والصحفة ، والقفة[8]، كما عرف أهله القنطار[9]،والوبية*** [10].

---

(1) ـ حسان الكبيسي : مرجع سابق ، ص 25 .
(2) ـ فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 100 .
(3) ـ ابن منظور : مصدر سابق ، مج2 ، ص 298 ، ابن خلدون : المقدمة ، ص 278 .
(4) ـ ابن خلدون : نفس المصدر .
* ـ المد : وهو المد النبوي ويساوي رطلين بغداديين ، ويزن 812,5 جرام من القمح . فالتر هنتس : مرجع سابق ، ص 74 .
** ـ القفيز : هو عبارة عن مكيال بثمانية مكاييل ، وجمعه قفزة أو قفزان ويساوي 82 ثمنا ، والثمن ستة أمداد بمد النبي الكريم وكان أكبر المكاييل سعة . أبو منظور مصدر سابق ، ج5 ، ص 3701 ، المقدسي : مصدر سابق ، ص 240 ، حسن الشايح : مرجع سابق ، ص 197 .
(5) ـ عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص 297 .
(6) ـ ابن سلام : أبو عبيد القاسم بن سلام ، الأموال ، د.ر ، بيروت ، 1981 ، ص 206 .
(7) ـ عز الدين أحمد موسى : مرجع سابق ، ص 297 .
(8) ـ البكري : مصدر سابق ، ص ص 26 -27 .
(9) ـ فالتر هنتس : المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، د.ر ، عمان ، 1970 ، ص 43 .
*** ـ الوبية : هي عبارة عن آلة مصنوعة من الخشب وفي أعلاها عارضة مشدودة بعمود يرتبط بقاع الوبية ، وحتى ما وضع الشيء المراد كيله فإن العارضة تدار حتى يتساوى الكيل وهي تساوي 12 مد بمد الرسول أي بما يماثل 12,6 لترا . حياة محمود : مرجع سابق ، ص 105 + فالتر هنتس : مرجع سابق ، ص 43 .
(10) ـ المقدسي : مصدر سابق ، ص 240 ، فالتر هنتس : نفس المرجع ، الأبيض : رجب نصير ، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1998 ، ص 201 .

إضافة إلى آلة المُطر * [1] ، القادوس** [2] ، والملاحظ على هذه الوحدات أنها غير موحدة وقيمتها تختلف من مكان لآخر ، فمثلاً القفيز في القيروان يساوي اثنين وثلاثين ثمناً ، وكل ثمن يساوي ستة أمداد شرعية ، أي ما يعادل 201،877 لتراً [3] كذلك الحال بالنسبة لتونس ، أما في قرطاجنة فيساوي اثنين وأربعون مداً شرعياً ، أي ما يعادل 6،44 لتراً [4] ، وهكذا الحال في باقي المدن الإسلامية.

وهذا الاختلاف جعل الشيرزي يضع وصفاً دقيقاً للمكاييل ، بل يشترط فيها الصحة والسلامة تفادياً للزيادة والنقصان فيقول :-

" المكاييل الصحيحة ما استوى أعلاه وأسفله في الفتح والسعة من غير أن يكون مخصراً أو أزوراً ، وأن لا يكون مسدوداً بالمسامير لئلا يصعد فيزيد أو ينزل فينقص ... [5] ".

وكما كان للدنانير أجزاء فكان للمكاييل أجزاء أيضاً وهي :-

المكيال التام ، ونصف المكيال ، وربع المكيال ، وثمن المكيال ، واشترط فيها أن تختم بختم المحتسب لضمان صحتها الشرعية ، وأن تتوفر في كل سوق ومتجر [6] ، لأن جميعها تستعمل في كيل السلع التجارية ، وأن أفضل السلع التي تكتال بها ولا اختلاف فيها ، الحبوب الصغيرة من سمسم ، وذرة ، وخردل [7]، وقمح ، وشعير.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان الغش والتلاعب بالسلع أو بوحدات الكيل موجوداً وأن على نطاق ضيق ، لذا حث القرآن الكريم على صحة المكاييل والأوزان وضبطها ، كما حرص على الإيفاء بالكيل والميزان في قوله عز وجل:-

---

* - آلة المطر :- تساوي خمسة أقفزة. البكري : مصدر سابق ، ص 27 .

[1] - البكري : مصدر سابق ، ص 27 .

** - القادوس :- يساوي ثلاثة أمداد بمد الرسول أي ما يعادل 3,159 لترا . فانرهنس : مرجع سابق ، ص 65 .

[2] - فانرهنس : مرجع سابق ، ص 65 .

[3] - ابن منظور : مصدر سابق ، مجـ5 ، ص 3701 ، المقدسي : مصدر سابق ، ص 240 ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ص 235 .

[4] - فانرهنس : مرجع سابق ، ص 68 .

[5] - الشيرزي : مصدر سابق ، ص ص 18 – 19 .

[6] - ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص 86 .

[7] - العبيدي : صلاح حسن ، المكاييل العربية الإسلامية في المصادر الأثرية ، مقتبسة من مجلة المورد ، بغداد ، العدد 3 ، 1985 ، المجلد 15 ، ص 80 .

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [1].

ولكن بالرغم مما تقدم ومما جاء في كتاب الله عز وجل من صحة المكاييل وعدم الغش فيها ، إلا أن هناك بعض التلاعب بالكيل من قبل التجار ، وهذا ما أكده ابن الأخوة بقوله:- " أما الكيالون فلا خير فيهم ولا سيما في هذا الزمان ، فقد كان أكثرهم يكتال ما يقبضه زائداً ويسمى عندهم الفرز والطرح ، وعند الصرف يجعله ناقصاً ويسمى عندهم المشفق[2] ".

والمكاييل تختلف عن بعضها بعضاً في الكم والكيف ، منها ما هو صغير الحجم ، ومنها ما هو كبير الحجم ، وهناك المصنوعة من الحديد ، وأخرى مصنوعة من النحاس والخشب ، ومن الزجاج والفخار المزجج الرقيق ، والنوع الأخير يفضل استخدامه في كيل الأشياء السائلة مثل زيت الزيتون ، لأن المكاييل المصنوعة من الحديد والنحاس تكون عرضة للصدأ[3].

أما بالنسبة للأوزان المستخدمة في الأسواق فأبرزها :-

الأوقية* ، القنطار ، والربع ،والعدل ، والرطل**[4]، والأخيرة اختلفت تبعاً لاختلاف السلع الموزونة بها ، فالمستخدمة في وزن اللحم والخشب وغير المستخدمة في وزن العود والكافور والطيب[5].

وعن الأوزان المستخدمة للمعادن الثمينة فيناك المثقال لوزن الذهب ويساوي 72،4 جراماً ، بينما استخدم الدرهم لوزن الفضة ويساوي 148،3 جرامات ، كما عرف القيراط وهو جزء من الدرهم وكل قيراط يساوي خمسة أثمان الدرهم[6].

---

(1) ـ القرآن الكريم : سورة المطففين ، الآيات 1- 3 .
(2) ـ ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص 86 .
(3) ـ صلاح حسن العبيدي : مرجع سابق ، مج 15 ، ص 81 .
* ـ الأوقية : ـ وهي تساوي أربعين درهما بدراهم الكيل ، أي تساوي 33 جرام . ابن عمر : مصدر سابق ، ص 38 .
** ـ الرطل : يساوي 10 أرطال فلفلية ، ورطل الثقل يزن 140 درهم أي ما يعادل 4375 جرام . البكري : مصدر سابق ، ص 38 + فالترهنتس : مرجع سابق ، ص 36 .
(4) ـ البكري : مصدر سابق ، ص ص 89 – 91 .
(5) ـ حسن خضري أحمد : مرجع سابق ، ص 128 .
(6) ـ البكري : مصدر سابق ، ص 89 ، أبو مصطفى : كمال السيد ، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين و الموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، د.ت ، ص ص 322 - 323 .

وهناك الصنوج* المستخدم لوزن الذهب والفضة معاً[1]. وتضرب هذه الأداة في دور الضرب الخاصة بها ، وتوزع من قبل أعوان الأمير ومناوبه على الصيارفة والتجار ، فعندما يتقدم إليهم من أراد صرف دينار أو درهم فعليه أن يختبر وزنه بالصنج ، وذلك بوضعه في أحد كفي الميزان بينما يضع النقد في الكف الأخر فيقبله إن كان مستوفياً ، ويرده إن كان ناقصاً[2].

ز - الصيارفة :-

كان لازدهار الحركة التجارية وكثرة المراكز بها ، واختلاط التجار مع غيرهم من الفئات الأخرى أن أدى إلى صعوبة عملية البيع والشراء والخوف من ضياع الأموال ، هذا فضلاً عن اختلاف العملة بين منطقة وأخرى ، وبالتالي صعوبة تداولها، ومما حتم قيام مهنة الصيارفة واتساع نظاميا.

ولذا أصبحت مهنة الصيارفة مهنة قائمة بذاتيا على درجة من التطور، تدخل في التعاملات المالية ، ومن خلالها يتم صرف الدنانير إلى دراهم[3]، بل إن الصيرفي يؤتمن على المال فيودع عنده ويصرف بواسطة كتاب أو رقعة[4].

وفي ذلك يقول ناصر خسرو :-

" كل من معه ماله يعطيه للصراف ، ويأخذ منه صكاً ، ثم يشتري كل ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري شيئاً غير صك الصرافة طالما يقيم في المدينة [5]... ".

هذا ووجدت مهام أخر للصيرفي منها : الحصول على المعادن الثمينة المستخدمة في سك العملة ، وكذلك يعقد الصفقات بين التجار[6].

---

* - الصنوج :- هو عبارة عن قطعة مستديرة الشكل نفس الدرهم ، ويمثل على أحد وجهيه كتابة تكون بارزة الشكل تحتوي على مقدار ما تساويه من وزن . المقدسي : مصدر سابق ، ص 240 .

(1) - المقدسي : نفس المصدر .

(2) - حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، جـ1 ، ص 420 .

(3) - المالكي : مصدر سابق ، جـ1 ، ص 338 .

(4) - القاضي عياض : مصدر سابق ، ص 81 .

(5) - ناصر خسرو : أبو معين الدين ، سفر نامة - ترجمة احمد خالد البغدادي - جامعة الملك سعود ، الرياض - 1983 - ص 146.

(6) - ابن عبد الرؤوف : أحمد بن عبد الله ، في آداب الحسبة والمحتسب ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، مصر ، 1955 ، ص ص 84 - 85 .

وخوفاً من أكل المال الحرام[1] أو أكل الربا خصوصاً عندما كثر الصيارفة وعندما كثر الصيارفة اهتم فقهاء الإسلام بهذه المهنة ، ووضعوا له أصولاً وأحكاماً وتشريعات[2].

فمن جملة الشروط التي وضعوها لمن يتولى هذه المهمة : أن يكون عالماً عارفاً بالشرع وأحكامه ليتجنب الوقوع في المحظور ، كما يجب أن يكون عالماً بأحكام الربا[3]، وأن يكون أهلاً للثقة[4]، بالإضافة إلى أنهم يخضعون إلى مراقبة المحتسب الذي يتفقد أحواليم وأسواقيم ، وفي حالة العثور على من ارتكب ربا أو فعل ما لا يجوز في الشرع قام بعزله من منصبه ومعاقبته[5].

وفي بادئ الأمر كانت المهنة من اختصاص اليهود والنصارى ، وذلك بسبب تمتعهم بالدراية والخبرة[6]، هذا غير تمتعهم بالحرية الدينية في بلاد الإسلام وعدم ترددهم في أكل الربا[7] ، ولهم أسواق خاصة بهم في المنطقة في القيروان تضم أعداداً كبيرة منهم[8].

وعلى الرغم مما تقدم فأن هذه المهنة لم تكن حكراً على اليهود فقط ، بل سرعان ما انتشرت بين المسلمين فظهر منهم صيارفة مهرة ، وعلى سبيل المثال أبو محمد الصيرفي[9].

إن مهنة الصيارفة لاقت نجاحاً كبيراً بسبب موقع المنطقة الممتاز ووقوعها في مفترق الطرق التجارية ، وكذلك بسبب وفود التجار عليها وعلى أسواقها فضلاً عن انتعاش تجارتها ورواجها ، مما لا شك فيه أن ذلك راجع إلى الاستقرار السياسي والاقتصادي.

---

(1) ـ القاضي النعمان : مصدر سابق ، جـ2 ، ص 31 .
(2) ـ جودت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص 106 .
(3) ـ ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص 143 .
(4) ـ جودت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص 106 .
(5) ـ الشيزري : مصدر سابق ، ص 74 .
(6) ـ أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم التيرواني : طبقات علماء افريقية وتونس ، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي ، الدار التونسية ، تونس ، 1985 ، ص 55 .
(7) ـ جودت عبد الكريم يوسف : مرجع سابق ، ص 107 .
(8) ـ أبو العرب : مصدر سابق ، ص 55 ، الدباغ : مصدر سابق ، جـ3 ، ص 203 .
(9) ـ ناصر خسرو : مصدر سابق ، ص 146 .

جـ - أساليب أخرى :-

وليس ببعيد عن الأساليب التجارية السابقة أن عرف تجار المنطقة أساليب أخرى، استخدمت في المعاملات المالية ، وأصبح متعارفاً عليها من قبل الجميع في عملية البيع والشراء ، ومن هذه الأساليب ما يلي :-

1 - نظام الحوالة : ويحدث في حالة أن التاجر يذهب إلى أي مدينة يتاجر فيها ، ويحمل معه نقوده ويخاف عليها من الضياع والسرقة فيضعها أول قدومه عند الصيرفي ، وعند شرائه لأي سلعة يحيل صاحب السلعة إلى الصيرفي ليقبض ما يستحق بحسب ما هو مكتوب في الصك[1] ، على أن يشهد عليه أشخاص ذوو عدل وثقة[2].

2 - كما أن بيع السلف كان أحد الأنظمة المتبعة في المعاملات المالية ، واشترط في هذا النظام أن يسترد المبلغ المستحق دون زيادة أو نقصان[3].

3 - وأيضاً نظام الشراكة[4] ، وواضح من الاسم أنه يحدث بين شخصين أو أكثر، أي بين صاحب المال وآخر يقوم باستثماره ، على أن يتم الاتفاق مسبقاً على نوعية العمل وتقسيم الأرباح ، وفي حالة ما كانت الشراكة بين عدة أشخاص تكون معاملة كل شخص على حدة[5].

هذه إذن أهم أساليب التعامل التجاري المتعارف عليها ، والتي يتم التعامل بها داخل الأسواق التجارية للمنطقة خاصة ، وأسواق المناطق الأخرى عامة، ووجدت من أجل تسيير عملية البيع والشراء و تنظيمها ، كما من شأنها تصريف البضائع بشكل أسرع و أسهل ، وهي تناسب كل فئات المجتمع وعن طريقها يتمكن الجميع من شراء ما يحتاجونه من سلع وبضائع.

---

(1) - كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، ص 88 .
(2) - ابن حوقل : مصدر سابق ، ص 65 .
(3) - فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 101 .
(4) - عبد العزيز مهيدي : مرجع سابق ، ص 56 .
(5) - فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 101 .

المبحث الثاني : الرقابة على الأسواق :-

بعد أن عرفنا الأسواق وأهميتها التجارية والسلع والبضائع التي تباع فيها، وأين تقع ومن يشرف عليها ؟ علينا أن نعرف كيفية المراقبة ، هل تركت الأسواق هكذا أو عليها مراقب ؟ ومن هو هذا المراقب ؟ هل هو صاحب السوق نفسه ؟ وأن يقدم تقريراً أو ما شابه ذلك إلى المسئولين في الدولة في نهاية اليوم أو الشهر، أو أن المراقب شخص أخر؟

بما أن هناك تجاوزات تشوه سمعة الأسواق التجارية لذا لم تترك عشوائياً، حيث وضعت الدولة نظام المراقبة على الأسواق من قبل أناس مختصين تتوفر فيهم شروطاً ، ولهم مكانة في المجتمع الإسلامي.

وهذه المهمة موجودة في الفترة الأولى للدعوة الإسلامية حيث حرص المسلمون منذ البداية على وضع الأسواق التجارية تحت المراقبة والإشراف في المدينة المنورة ، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتولى بنفسه أمر المراقبة والمتابعة ، وبعد وفاته تولى خلافة الدولة الصحابة المقربون منه ، وهم على الترتيب :- أبوبكر الصديق ، عمر بن الخطاب (الفاروق) ، عثمان بن عفان (ذو النورين) – رضي الله عنهم جميعاً – ثم علي بن أبي طالب – كرم الله وجه – وعرفوا باسم الخلفاء الراشدين الذين نهجوا نهجه وساروا على خطاه.

وعند اتساع رقعة الدولة – قيام الدولة الأموية ، والدولة العباسية وقيام الدويلات المستقلة في منطقة الشمال الأفريقي (الأغالبة – الأدارسة – الرستمية) – جعل الحكام والخلفاء – أن صح التعبير – مهمة الأشراف من قبل أناس مختصين قائمين عليها ولمتابعة ما يجري فيها ، وينظم أحكامها وإصلاح أمورها، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوفير الأمن والسلامة من أهم المبادئ التي حرص عليها الجميع ، وذلك لما للأسواق من أهمية اقتصادية قصوى تنتعش بها الدولة وتسير أمرها ، فمن أجل ذلك اتخذ نظام معين للمحافظة على الأسواق ونظامها هو :-

الحسبة :-

وهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[1].

وهذا ما أكده قوله تعالى :- ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [2].

وكانت هذه المهمة من اختصاص المحتسب الذي يقع اختياره من قبل القاضي ، وأحياناً من الخليفة نفسه ، على أن يراعى في اختياره بعض الشروط مثل :-

أن يكون فقيهاً في الدين ، نزيهاً في النفس ، عالي الهمة ، عالماً بالعدالة ، ذا أناة وحلم ، يقظاً متفهماً بأصغر الأمور قبل أكبرها ، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين ، عارفاً بأحكام الشريعة ليعلم ما يأمر به ، وما ينهى عنه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، مع مهابة تمنع من الإذلال عليه وترهب الجاني لديه[3] ، فضلاً عن الغنا والإلمام التام بالأمور المالية والتجارية[4].

أما عن أعماله : وهنا أحاول إبراز المهام المتعلقة بالسوق بغض النظر عن أعماله الأخرى . فمهامه في الجانب الاقتصادي التجاري عديدة ومختلفة ، حيث عليه أن يحدد الأسعار لبعض السلع والتأكد من سلامتها ، وأيضاً التأكد من صحة المكاييل والموازين ودقتها ، مع منع الاحتكار[5] ومنع إقامة الحوانيت البارزة في الطريق لأنها تعيق المارة[6] ، فضلاً عن الشروط الصحية التي يفرضها على المحال وأصحابها ، ويقوم بتفتيش قدور الأطعمة ، وختم اللحوم[7]، وكشف الدكاكين وأنواع المواد الغذائية والبضائع المصنوعة[8].

---

(1) ـ الماوردي : أبو الحسن علي محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1985 ، ص 299 ، النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس الجامعة ، د.ت ، جـ6 ، ص 291 .

(2) ـ القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية 104 .

(3) ـ ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص 8 ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 177 ـ 178 ، السقطي : أبو عبد الله محمد ابن محمد ، في آداب الحسبة ، تحقيق حسن الزين ، دار الفكر الحديث ، بيروت ، 1987 ، ص 20 .

(4) ـ فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 103 .

(5) ـ نفس المرجع : ص 104 .

(6) ـ الشيزري : مصدر سابق ، ص 11 .

(7) ـ المصدر نفسه : ص ص 12 ـ 20 .

(8) ـ ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص 219 .

والمحتسب لم يكن عمله في السوق فقط ، بل تعدت مهامه إلـــى مراقبـــة أدوات التداول المتعلقة بشراء البضائع ، فمثلاً إذا ظهرت عملة مزيفة أو مخلوطة بالنحـــاس فإنه يشدد على أهل السوق ويقوم بالبحث عمن أصدرها وفور الإمساك به ينزل العقوبة المناسبة له[1] والتأكد من إثبات اسم الخليفة على العملة ، كما يقوم بالإشراف على دور الضرب[2].

وفي سبيل ذلك منحت له الصلاحية بمعاقبة المتجاوزين بالحبس أو الضرب[3]. غير أن الأهم من ذلك التشهير إذ يعتبر سلاحاً معنوياً ذا أثر فعال في النفوس ، حيـــث يحمل التاجر أو البائع المخالف على ظهر حمار ثم يطاف به في الأسواق والطرقات ، وهو يصيح بصوت مرتفع لقد غششت فعوقبت[4].

ولاشك أن مثل هذا الأمر لا يحتمله إنسان، خاصة وأن الصبية الصغار يتبعونه ويقذفونه بالحجارة.

تحتاج الأعمال السابقة الذكر من صاحبها التواجد وباســـتمرار، لـــذا نجـــد المحتسب ملازماً للأسواق طوال الوقت ، فهو يركب دابته في أي ساعة شـــاء وعلـــى غفلة من أصحاب السوق ، ويقوم بالكشف على الأسواق والحوانيت ، وإذا لم يتمكن من الكشف عليها وجاء الليل فيكشف عليها في الصـــباح البـــاكر[5]، لـــذا لقبـــه بصـــاحب السوق[6].

وهذه المهام الملقاة على عاتق المحتسب ، واللقب الذي أصبح يعرف به، جعـــلا منه رجلاً مهماً في الدولة وله مكانته ونفوذه ، بل ومن كبـــار رجالاتهـــا[7]، ويعـــين المحتسب له أعواناً ومساعدين يساعدوه في أداء المهام على أكمل وجه ، فكان يختـــار لكل صنعة عريفاً من أفرادها يشرف على أحوال طائفته ويتفقد سلعهم وصـــناعاتهم ، وفي النهاية يطلع المحتسب على الأخبار المتعلقة بهم ، وتلـــك المتعلقـــة بالســـلع والبضـــائع والأسعار وطرق الغش والحيلة[8] إن كانوا من أهلها.

---

(1) ـ ابن عمر ، يحيى بن عمر الكناني ، أحكام السوق ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1973 ، ص ص 33 ـ 34 .
(2) ـ الشيزري : مصدر سابق ، ص ص 12 ـ 20 .
(3) ـ فتحي إبراهيم أحمد : مرجع سابق ، ص 104 .
(4) ـ زيدة ، محمد ، نظام الحسبة في الإسلام ، مجلة الدراسات التاريخية ، السنة السادسة ، العددان (29 ،30) ، حزيران ، 1988 ، ص 135
(5) ـ ابن الأخوة : مصدر سابق ، ص 219 .
(6) ـ موسى لقاني : مرجع سابق ، ص 35 .
(7) محمد زيدة : مرجع سابق ، ص 154 .
(8) ـ الشيزري : مصدر سابق ، ص 12 .

وبعد ذلك فلا شك في أن وجود مثل شخصية المحتسب في السوق تعمل على خلق مناخ مناسب مبني على التفاني والثقة في المعاملة ، كما تعمل على استقرار أحوال السوق التجاري الذي بدوره يشجع على قدوم التجار وتلبية متطلباتهم التجارية ؛ فيزداد تدفق السلع بين المنطقة والدول الأخرى ، وإحداث توازن في عملية البيع والشراء وتصريف السلع والبضائع بالشكل المطلوب ، تنوعت طرق المعاملات مما ساعد على تحريك البضائع داخل الأسواق ونقل الفائض إلى الخارج ، وهذا مرتبط بوجود طرق تجارية تسير من خلالها العملية التجارية.

وجميع الأساليب السابقة كان يتم التعامل بها داخل حدود المنطقة وخارجها، وقد تجلى مظهر التأثير بها في أسواق المناطق الأخرى العربية والأفريقية فعلى الصعيد العربي : فما يدل على أن الأساليب المستعملة في مدن المنطقة كان يتعامل بها مع مختلف المناطق العربية ، هو أن تجار المنطقة يحتفظون بالصك حتى يتم قبض القيمة نقداً عند ذهابهم إلى المناطق الأخرى والعكس ، وهذا دليل آخر على التعامل خارج حدود المنطقة ، فمثلاً إن تجار المنطقة الذين بحوزتهم سفاتج وهم خارج المنطقة فإنهم يدفعون المال فور حصولهم عليه إلى بيت مال البلد الذي أعطى لصاحبه السفتجة ، كما أن إرسال المشتري صكاً وفيه البيانات الخاصة بمثل هذه العملية إلى صاحب السلعة الموجود خارج المنطقة ، فإنه فور استلامه للصك يرسل السلعة المطلوبة ، بينما يحتفظ هو بالصك إلى أن يتوفر عند صاحبه النقود عندئذ يقوم بتسليمها إلى صاحب السلعة.

أما على صعيد الممالك الجنوبية فمثلاً انتقلت إلى أسواق السودان الغربي المقاييس والمكاييل والأوزان وبأسمائها العربية المعروفة بها، هذا في الوقت الذي تم فيه القضاء تدريجياً على التجارة الصامتة أو المبادلة (المقايضة) وطبقوا النظم الحضارية في التعامل التجاري مثل التعامل بالنقود الذهبية* والفضية والنحاسية فالعملات العربية كانت متداولة عموماً ــ بما فيها عملات المنطقة قيد الدراسة ــ

* ـ عن تداول أهالي السودان الغربي للعملات الذهبية العربية ويمكن استنتاجه من : ـ البكري : مصدر سابق ، ص 181 ، الحسن الوزان (ليو الأفريقي) : مصدر سابق ، ج2 ، ص 163 وما بعدها إلى ص 167 ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص 684 ، محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص 211 .

في السودان الغربي ، والدليل وجود دنانير مصرية ومغربية في كل من مالي وجاو وتستعمل خصيصاً لشراء متطلبات الأسرة الحاكمة، ومن الطبيعي أن تصل أنواع بعض العملات المتداولة في الشمال الأفريقي إلى بلاد السودان الغربي وذلك بحكم الارتباط والتواصل التجاري بين الجانبين ، ولا شك في أن ما سبق ذكره من الأساليب في التعامل التجاري في الداخل والخارج وما تخلل ذلك من حسن تعامل ونظام ، بالإضافة إلى تعامل التجار وطريقة تصرفهم وأسلوبهم أدى إلى دخول العديد من الأفارقة للإسلام.

المبحث الثالث : أثر التجار في نشر الإسلام في جنوب الصحراء :-

كانت شعوب الساحل الأفريقي الشمالي لأفريقيا تحت الحكم الروماني المباشر شعورها كغيرها من الولايات الأخرى (مصر ــ الشام)مغلوبة على أمرها ، وظل هذا الحال كما هو عليه إلى أن جاء الفتح العربي الإسلامي ، حيث إن الصدام المباشر مع الروم ، غير أن الصدام انحسم بانهزام الروم وانتصار الإسلام، وانتهت مقاومة تلك الشعوب للفتح بعد أن تبينت أصالته ، وحقيقة أهدافه، وقد استمرت المقاومة لعملية الفتح حوالي السبعين (70) سنة أتت ثمارها بإسلام البربر وامتزاجهم بالمسلمين الفاتحين حتى صاروا أمة واحدة ، مزيجاً من العرب والبربر وصار الشمال الأفريقي ينتسب إلى الإسلام ديناً وحضارة ولغة وثقافة وعادات.

وأصبحت مناطق الشمال الأفريقي تدار بولاة من الخلافة في دمشق ثم بغداد، ومن هؤلاء الولاة (إسماعيل بن عبيد الله المخزومي) الذي ولي على أفريقية في محرم سنة (100 هـ / 718 م) من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وظل الأمر على هذه الحالة إلى أن استقل الرستميون بالولاية في المغرب الأوسط سنة (160 هـ / 778 م) ، واتخذوا من تاهرت عاصمة لهم ، ومن ثم استقل الأدارسة في المغرب الأقصى سنة (172 هـ / 782 م) وكان لهم دور كبير في تثبيت دعائم الإسلام ونشر لغته وثقافته في مناطق الفتح جنوب المغرب الأقصى وفي اتجاه السودان وصبغه بالصبغة الإسلامية ، حتى صار الجنوب مجالاً لمجتمعات إسلامية متفرقة تنشر الإسلام بالسلم . وأخيراً جاء دور الأغالبة الذين فرضوا سيطرتهم على المغرب الأدنى سنة (184 هـ / 800 م) ، واتخذوا من القيروان عاصمة لهم وقاعدة لحكمهم.

وهكذا لم ينصرم القرن (1 هـ / 7 م) حتى استظل الشمال الأفريقي كله براية الإسلام من الإسكندرية إلى السويس ، ومن البحر المتوسط إلى مشارف حوض تشاد ، وعندما طاب للمسلمين المقام في شمال أفريقيا وقامت فيه مراكز ثقافية وحضارية ، كان من الطبيعي أن تؤدي هذه المراكز دوراً رئيسياً في تقوية جهود الدعاة إلى الإسلام وفي نشاطهم الاقتصادي ، فاتجه هذا النشاط إلى الداخل

وفي عمق الصحراء وفي أتجاه الجنوب والغرب لمطاردة الوثنية وتدميرها وإحلال نور الإيمان وحضارته محلها ، فقد دخل الفاتح الإسلامي أفريقيا يحمل رسالة الإسلام من أول يوم وأخذ يبلغها وينشرها مقيماً ومرتحلاً ، مجاهداً وداعية بالكلمة والقدوة والاقتناع في المسجد والسوق والمركز ، وإنه لم يكن مصحوباً بالقهر ولا مفروضاً على أحد ، ولم يقهر أحد عليه ، وليس نشراً مهملاً في مرتبه ثانوية وإنما كان في المقام الأول إسلاماً صحيحاً من امتداده ، وبهذه الطريقة دخل الإسلام المدينة واعتلى الجبل وعاش الرعاة ودخل القصور ووضع قدمه على ساحل المحيط يعلن هدفه (ألا يعبد إلا الله وحده) ، مرتكزاً في تبليغه للدعوة ونشرها على ركائز ونماذج ازدهرت في شمال أفريقيا ، جمعت بين الدعوة والجهاد في سبيل الإسلام ورفع رايته ليس في منطقته المحلية فحسب، بل توسع نطاق الدعوة وتوسعت أرجاء الدولة التي قامت عليها باسم الإسلام ، فشملت القارة الأفريقية كلها بما فيها غربها (ممالك ما وراء الصحراء) التي دخلها الإسلام منذ القرون الأولى من بزوغه ، والذي تميز عامة بأنه جاء نتيجة الدعوة والإقناع وليس نتيجة القهر ، فوسائل انتشاره جميعها تأتي كنتاج للدعوة والاعتبارات الاجتماعية بالدرجة الأولى ، وقد تنوعت تلك الوسائل وتنوع الدعاة الذين انتموا أساساً للمناطق المحلية فمن أهم رسل الدعوة :-

التجار :-

لقد مر انتشار الإسلام في أفريقيا خلال القرون الأولى بمرحلتين رئيستين هما:-

الأولى : شملت الشمال الأفريقي أو بلاد المغاربة والتي كانت متصلة إلى حد كبير بالفتوحات العربية الإسلامية التي تمت على يد موسى بن نصير وغيره من الفاتحين خلال القرنين (1 ــ2 هـ / 7 ــ 8 م)[1].

الأخرى : حيث كان المحرك الرئيسي فيها هو التاجر المسلم الذي جاب الصحراء بقافلته إلى الجنوب ، وأخذ يحث الناس على الدخول فيه بسبب تصرفاته الحسنة ،

---

(1) ـ ابن شقرون : مصطفى ، دور التجار المسلمين في نشر الإسلام بغرب أفريقيا في العصر الوسيط ، مقال ورد ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي ، تقديم عبد الحميد البرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1999 ، ص 61

وأمانته ومحافظته على أمور عقيدته ودينه ، هذه الصفات التي حببت الجماعات في الإسلام وشجعتهم على اعتناقه ، حيث قال الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في مثل هذه الصفات التي حل بها التاجر المسلم :- التجارة هي المعيار الحقيقي لتقييم أي إنسان ، إذ من خلال التعامل التجاري معه تتبين نزاهته وأهليته الدينية[1].

ونتيجة لهذه الصفات كان التجار من أهم رسل الدعوة الإسلامية في أفريقيا، حيث وفدوا عليها في بادئ الأمر بهدف أصلي هو التجارة ؛ ثم تبعه أثر هام هو نشر الإسلام فيها ولا سيما في غربها – مركز ثقل الإسلام جنوب الصحراء – وهؤلاء التجار كانوا من البربر والعرب من قبائل شمال أفريقيا الذين حملتهم القوافل التجارية عبر الصحراء – التي بالرغم من اتساعها الشاسع – إلا أنها ليست حائلاً بل كانت جسراً انتقلت عبره السلع مع الإسلام والثقافة والحضارة الإسلامية من الشمال إلى جنوب الصحراء مباشرة[2]، وقد عبر ترمنجهام (Trimingham) عن ذلك بقوله:-" إن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير"[3] ، وقد استمر الوضع من ربط الشمال بالمناطق الصحراوية الجنوبية ذلك الربط الذي كان له مغزاه ليس التجاري فقط ، ولكن في الانتقال الإسلامي وانتشاره عبر الصحراء متتبعاً طرق تجارة القوافل التي وجدت قبل دخول الإسلام المنطقة[4]، وكان أبرز تلك الطرق ما يلي :-

1 – الطريق الذي تبدأ من أغادير الواقعة على شاطئ المحيط الأطلسي عند مصب نير السوس ، وتسير جنوباً إلى عاصمة موريتانيا ثم تستمر في سيرها حتى تصل إلى مصب نير السنغال.

2 – طريق مالي وغانا وهي الطريق الوسطي المتحدة من سجلماسة ثم درعة إلى منطقة أودغست ثم النيجر.

3 – طريق الصحراء من أرض السودان إلى جبل نفوسة وطرابلس[5].

---

(1) – مصطفى بن شعرون : مرجع سابق ، ص 61 .

(2) – مجاهد : حورية توفيق ، الإسلام في أفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، 2002 ، ص ص 210 – 211 .

(3) – Spencer Trimingham , A History of Islam in West Africa, London : oxford univ press , 1962 , p31 .

(4) – حورية توفيق مجاهد : مرجع سابق ، ص 211 .

(5) – الدظلي : الهادي المبروك ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية في غرب أفريقيا ، دار حنين للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ن ، د . ت ، ص 17 ؛ البزيلي : مقالة مكتوبة بخط اليد تحت عنوان : الإسلام في أفريقيا الغربية ، ص 10 .

4 – طريق تبدأ من فاس أو تلمسان إلى سجلماسة وإلى إدرار ثم تنبكت.

5 – طريق من تلمسان إلى تادمكت (مكة الجديدة).

6 – طريق القيروان أو طرابلس إلى غدامس فتنبكت[1].

7 – طريق شمال أفريقيا مجتازة مصر ، برقة ، طرابلس ، تونس ، المغرب الأوسط ، بلاد السوس الأقصى إلى مصب نهر السنغال ، وبعد ظهور البحرية الإسلامية اشترك معها طريق بحري من مرافئ الشام ومصر إلى مرافئ المغرب الأقصى.

8 – طريق صحراوية تبدأ من أسيوط مارة بواحات مصر في الصحراء الغربية وتجتاز جنوب بلاد المغرب حتى تصل إلى غرب أفريقيا.

9 – طرق القوافل من طرابلس وبلاد المغرب بقسميها الأوسط والأقصى إلى شمال السودان ونخص بالذكر الطريق التي تبدأ من جنوب تونس إلى بلاد برنو غربي بحيرة تشاد ومن جنوب الجزائر إلى بلاد الهوسا شمالي نيجريا إلى مصب نهر السنغال ومنحني النيجر[2].

وهذه الطرق تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك العلاقة بين انتشار الإسلام والتجارة، فإذا ما ظهرت مدينة تجارية يقصدها البائع والمشتري سرعان ما تصبح مركزاً ثقافياً يأوي إليه المعلم والداعية، حتى أصبح من المتعارف عليه أن مراكز الاتصال فيها السلع والأفكار، واستخدمت الطرق في نقل السلع التجارية وفي نشر الإسلام في آن واحد[3] ، الأمر الذي يلفت الأنظار إلى ظاهرة صلة التجارة بانتشار الإسلام.

ونتيجة لذلك تم تطوير الطرق وتنظيمها في عهد الفتح الإسلامي ، وكان لها أثرها السريع في تسير نشر الدعوة الإسلامية في جنوب الصحراء ، حيث أقام البربر مراكز ثابتة في مدنيم وأنشأوا مدناً وممالك وسيطة للتجارة مثل أغمات والقيروان ، وأودغست، وبذلك اخترقت القوافل الصحراء إلى الدول الساحلية وفي مقدمتها غانة ، وتبادلت مع أهلها تجارة لها طابع إسلامي بلون حضاري منظم

---

(1) ـ الهادي المبروك الدالي : مرجع سابق ، ص 17 .

(2) ـ زكي : عبد الرحمن ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، 1961 ، ص 50 .

(3) ـ الهادي المبروك الدالي : مرجع سابق ، ص 17 .

تنظيماً محكماً ، تأثرت به المدن والأحياء والأرياف في أرض الزنوج الأفارقة ، بل وقد أفردت بعضها - مثل مملكة غانة الوثنية - منطقة إسلامية خاصة بالتجار المغاربة[1] يمارسون فيها الفرائض الإسلامية.

وبذلك أصبحت الفرصة أمام التجار متاحة لممارسة الشعائر الإسلامية ، فكانوا خير دعاة للإسلام في المناطق التي يصلون إليها ، فصفاتهم الشخصية التي تميزوا بها خير مشجع للأفارقة على اعتناق الإسلام.

فالتاجر المسلم كان داعية لدينه يجمع بين دعوته وتجارته بالكلمة والسلوك وحسن الصلة وعدالة في الميزان ، بحيث يتعامل معهم فيثقون به ثقة تنفي عنه أي اتهام له بدوافع استغلالية[2] ، كما أنه يدخل في مجادلات ومناقشات دينية عقائدية مع السكان المحليين مما جعل مهمة التجار مهمة اقتصادية تبشيرية بفعل حماسهم لنشر الدين الإسلامي ، طمعاً في الأجر والثواب عند الله في حال نجاحهم في كسب الوثنيين إلى الدخول في الإسلام[3]. على عكس الأجنبي الذي يحاط به الشك والريبة وإنما التاجر المسلم إذ يكون غريباً ، فإن سلوكه وخبرته بالناس وخلقه الإسلامي كل هذا يزيل عنه تلك الوساوس ويوفر له القبول الحسن[4] ، فهو لا يكاد يدخل قرية وثنية حتى يلفت الأنظار إليه بكثرة وضوئه وانتظام أوقات صلاته وعبادته التي يبدو فيها وهو خاشع يناجي ربه ، ومنظر سكينته في السجود يضفي عليه من المهابة والجلال ما يحرك فطرة الأفريقي الوثني[5]. هذا فضلاً عما يتحلى به من سمو عقلي وخلقي ، وسلوك حضاري وثقافي يدفع التاجر ليكون قدوة حسنة لغيره من الناحيتين الثقافية والسلوكية ، بالإضافة إلى الصفات الجليلة التي يتحتم على المسلم التحلي بها ، وتجعل الفرد موضع ثقة واحترام من صدق وأمانة ونظافة وحكمه[6] وصوم في أيام رمضان وما يتبعه من مآدب الطعام

---

(1) - حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 97 ، مصطفى بن شترون : مرجع سابق ، ص 62 .

(2) - ارنولد : السير توماس ، الدعوة الإسلامية ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1957 ، ص 73 ؛ أحمد : مطير سعد غيث الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين (10 - 11هـ/ 16 - 17م) ، دار المنار الإسلامي ، د . ن ، 2005 ، ص 156 ، إدريس صالح الحرير : مرجع سابق ، ص 77 .

(3) - إدريس صالح الحرير : نفس المرجع ، ص 77 .

(4) - حسن عيسى عبد الظاهر : مرجع سابق ، ص 97 .

(5) - حسن إبراهيم حسن : مرجع سابق ، ص 73 ، جميلة إسحاق التكنوك : مرجع سابق ، ص 157 ، السير توماس ارنولد : مرجع سابق ، ص 391 ، حورية توفيق مجاهد : مرجع سابق ، ص ص 212 - 213 .

(6) - حورية توفيق مجاهد : نفس المرجع ، ص 215 ، المزيني : الإسلام في غربي افريقيا ، ص 11 ، عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ، ص 53 .

ملتفين حولها ، وما يكثر في ليالي رمضان من صلوات وأدعية وحلقات الوعظ ، ثم الاحتفال بالعيد وارتداء الملابس الزاهية وتوزيع الصدقات،، وكذلك ممارسات المسلمين في العيد الأضحى من نحر الذبائح وتوزيع اللحوم على الفقراء[1]، ومثل هذه النماذج من سلوك المسلمين ساعدت على نشر الإسلام ودفعت الوثنين إلى الاعتقاد به.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن دور التجار العرب لم يقتصر على مجالات الأنشطة الاقتصادية فحسب ، بل تعداها إلى التبشير بالدين الإسلامي وتعميق الصلات الثقافية بنشر اللغة العربية وبناء المساجد والمدارس لتعليم القرآن الكريم، وهكذا أضحى التجار يقومون بمهمة الدعاة المسلمين إلى جانب نشاطهم التجاري، وإذا كان لهؤلاء الدعاة من عرب وبربر نصيب في النفوذ فقد كان هذا النصيب روحياً، الأمر الذي جعله مقبولاً وعن رضي واقتناع ، ومن نتيجة ذلك أن حدث التزاوج والمصاهرة وانتشار الإسلام تدريجياً وسلمياً.

إن نشر الإسلام من قبل هؤلاء التجار كان أساسه الحكمة والموعظة الحسنة فهو اعتمد في بادي الأمر على التبشير السلمي متخذاً من هجرات سكان شمالي أفريقيا ومن التجارة والمراكز الثقافية والحضارية وسيلة إلى ذلك ، ولم يكن يوم من الأيام بالقوة والقهر.

إن التاجر المسلم الذي يأتي من الشمال بمفرده وتطيل إقامته ،أو إنه كثير التردد على مناطق جنوب الصحراء ، أن يتخذ له زوجة مما ساعده على بدء الامتزاج بين التجار المغاربة وبين البعض من العناصر الأفريقية ، وبخاصة من أسر الأمراء والحكام في أفريقيا ، فزاد هذا من قوة انتشار الإسلام من الشمال إلى الجنوب.

وهكذا كانت التجارة والاحتكاك التجاري وانتقال المسلمين إلى مناطق جنوب الصحراء أحد العوامل التي أسهمت في نشر الإسلام دون استخدام السيف، ومع التجارة وزيادة الاتصال زادت الرغبة في التعمق في أصول الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية ، فسار بعض الأفارقة على نفس طرق القوافل ذاهبين إلى

---

(1) . نورية توفيق مجاهد : مرجع سابق ، ص ص 213 – 214 .

الشمال وإلى المراكز الحضارية والثقافية الإسلامية التي وجدت منذ القرون الأولى في كل من القيروان ،وطرابلس، وتونس ، وتوات ، وجبل نفوسة، وفزان بالإضافة إلى حواضر المغرب الأقصى ، ثم ظهرت الجامعات الإسلامية وزادت شهرتها خاصة جامعة القرويين في فاس ، وجامعة الزيتونة ، في تونس وكلها كانت مركزاً ثابتاً ومنارة للإشعاع العلمي في الركن الشمالي، والهدف من ذلك لكي يزيدوا تفقيا في الدين وفي العلوم الإسلامية.

ومن أهم ما يلاحظ على نشر الإسلام في القارة ما يلي :-

1 – يعد دخول الدين الإسلامي إلى أفريقيا من الأحداث المهمة في تاريخها ، مما ميز الإسلام والمسلمين عن غيرهم من الوافدين في نظر الأفارقة كون المسلمين أصحاب رسالة ، ولم يؤمنوا يوماً بنظرية تفوق الأجناس بل إن الإسلام جاء بأساسياته في الدعوة إلى المساواة بصرف النظر عن اللون والجنس.

2 – يرجع تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا إلى القرن (1 هـ / 7 م) ووجد أمامه عدداً من الديانات إلا أنه بتعاليمه السمحة وعالميته استطاع في فترة قصيرة أن يستحوذ على قلوب الزنوج الأفارقة ويدفعهم إلى التخلي عن الوثنية.

3 – انتشار الإسلام في أفريقيا دون اقتتال ، حيث بدأ في الانتشار من خلال الدعوة له على أيدي التجار من شمال أفريقيا ، ثم تسلم الراية أبناء القارة أنفسهم متخذين في ذلك وسائل متعددة حيث أنه كلما اعتنقت الإسلام قبيلة حملت لواء الدعوة الإسلامية إلى مانليها من القبائل المجاورة وهكذا.

4 – فضلاً عن أن تاريخ البلاد الأفريقية وما حولها وبخاصة في الجنوب حتى بلاد كانم كان مجهولاً وغامضاً ، وكان شيئاً مهملاً في حساب التاريخ وموازين الحضارة ، وكأنها نهاية المعمورة من الأرض الأفريقية ، وبدخول الإسلام وانتشار دعوته دبت الحياة والحضارة وانتشر العلم في ظل عقيدة فطرية سمحة، وشعائر إذا بث الفوارق الجنسية والعصبية وأطلت نورها الساحل والصحراء والغابة.

وعليه إذن فالشعوب في الشمال حملت نشر الإسلام في بداية الأمر ، ثم حملته منها شعوب الجنوب التي بدورها نقلته إلى الغير.

وهكذا صنع الإسلام في جنوب الصحراء ، وهكذا كان دعاته آتون من الشمال، وهكذا أظلت دعوته وحضارته القارة ، وحينما حل فيها اختفت أديانها الوثنية وحلت مكانها هداية الإسلام وثقافته.

وبعد كل هذا ندرك الدور الرائع الذي لعبته التجارة والتجار في نشر الإسلام ، دور عاد على الإسلام بالخير ، وعاد على التجارة بالبناء والتقدم ، فامتدت تجارتهم ، وازدهرت في ظل الإسلام ،وتضاعفت أرباحها في كنفه لذا يمكن القول .. إن التجارة خدمت الإسلام ، وأن الإسلام خدم التجارة.

الخـــاتـمـــــة

الخاتمة :-

الآن ، وبعد أن انتهيت من إعداد هذا البحث ، والتطرق لأهم الموضوعات والقضايا ذات العلاقة ، فإنه ينبغي أن نسلط الأضواء على أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها ، وجاءت ضمن عدة اعتبارات أساسية وهامة ، وهي على النحو التالي :-

إن الموقع الجغرافي للمنطقة أسهم بدور كبير في تشكيل وتحديد نمط ونوعية النشاط الاقتصادي ، وذلك تبعاً لموقع المنطقة الممتاز ، حيث قربها من البحر المتوسط وامتداد الصحراء ، كل هذا أثر على الجوانب الجانبية من زراعة، ورعي ، وصناعة ، وتجارة ، هذه الجوانب التي ركز عليها النشاط التجاري فدفعت به إلى الأمام والتقدم.

ومما لاشك فيه أن موقع أفريقيا بين قارات العالم خاصة أوروبا وأسيا جعلها حلقة وصل بينهما ، وبين جنوب الصحراء مما جعلها أن تكون مركزاً تجارياً متوسطاً يجتمع فيه بضائع جنوب الصحراء وأسيا وأوروبا وتوزع منها إلى بقية الأقطار الأخرى في هذه القارات بما في ذلك أفريقيا ، ومما أدى إلى انتعاش التجارة الداخلية في الأسواق التي كانت بمثابة مراكز تجارية لاستقبال النشاط الداخلي ، ومن ثم أصبحت ميداناً للنشاط التجاري الخارجي ، حيث استقبلت القوافل التجارية القادمة من الشرق والغرب ، إما عن طريق البر أو البحر ، وهذا الطريق شهد الكثير من واردات المنطقة وصادراتها ، التي عكست حالة الرخاء والازدهار الاقتصادي و رواج التجارة.

وبالتالي الربط بين المراكز التجارية لم ينحصر بالطرق البرية فحسب ، بل كان للطرق البحرية نصيب وافر مما أسهم في حركة البضائع داخل المراكز التي يتعسر الوصول إليها عن طريق البر.

يؤدي نشاط حركة التجارة الداخلية والخارجية إلى تعدد وسائل المعاملات المالية ، فإلى جانب العملة النقدية من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية ، كثر أيضاً استعمال السفاتج والصكوك ، كما ظهر نظام الصيارفة والشراكة والمقايضة ، وجميع هذه المعاملات سهلت العملية التجارية داخل الأسواق.

إن التجارة عبر الصحراء حركة فكر لها عالم ودبر لها حـاكم ودولـة ، قامت وتطورت من أهل البلاد أنفسهم متمثلة في العنصر الجديد الذي حمل رايـة الإسلام في أفريقية بعد الفاتحين الأوائل ، وهو عنصر البربر وكيف أنهـم بعـد اعتناقهم الإسلام حملوا أمانة تبليغه والدعوة إليه بشتى السبل ومنها التجارة.

إنها دفعت بالدعوة الإسلامية خطوات واسعة في اتجاه القارة الأفريقيـة ، فهمدت السبيل إليها ودعمت أسسها بالتعليم ، وغرست بها جذور حضارة إسلامية أصيلة.

لم يكن دور التجار في الحياة الثقافية أقل من دورهم في الحياة الاقتصادية، حيث اشتغلوا بشكل نسبي بالتدريس والفقه والتفسير ، وهكذا رغم عدم اشـتغالهم بالدعوة إلا أنهم نشروا الإسلام في الدول التي دخلوها وتاجروا فيها ، فمن آثارهم بالنسبة لانتشار الإسلام هو تحريرهم من الرقيق.

لم تكن الصحراء عائقاً في وجه التجارة ، بل عبرتها الكثير مـن القوافـل التجارية حاملة البضائع والسلع التي من أهمها الملح ، راجعة بالكثير منها أبرزها معدن الذهب والرقيق.

من نتائج الاتصالات التجارية انتشـار الإسـلام والحضـارة الإسـلامية بالتدريج ، إلى أن أدى في النهاية إلى تكوين دول وإمبراطوريات إسلامية مثـل : غانا ، مالي ، السنغال ، كانم ــ برنو ، والتي قامت بنشر الإسلام بـين الشـعوب الأفريقية ، وتكونت على أثر ذلك مراكز علمية إسلامية في مـدن عـدة أبرزهـا تمبكتو ، وكانو ، وفيها انتشرت المعاهد والمساجد الإسلامية.

إن التجار المغاربة كانوا يمارسون نشاطاً مزدوجاً ، فإلى جانب مـزاولتهم المهنة التجارية أخذوا يشعرون بأنهم يجاهدون في سبيل الله ونشر دينه ، مما هيـأ فرصة انتشار الإسلام على أيدي التجار.

امتداد الدعوة الإسلامية ودخولها غرب أفريقيا وجنوبها أساساً كـان مـن طريق الشمـال ، والذي يعد الميد المبكر لها هناك ، منـذ القـرن الأول الهجري /السابع الميلادي ، فأخذ يتسرب إلى الأقاليم الصحراوية الكبرى أو حتى

الصغرى الواقعة جنوب الصحراء ، وهذا يدل على عمق أصولها التاريخية والحضارية وربطها بين الشمال الجنوب .

ترجع اصول التأثيرات الإسلامية والثقافية والاقتصادية في منطقة جنوب الصحراء — إن لم تكن كلها فمعظمها — للشمال الأفريقي ، وإليه تنتسب وتدين بإسلامها وحضارتها ، لذا يمكن القول إن الشمال كان مركزاً للقوة والتفوق في كل جوانب الاتصال والتأثير.

الملاحق

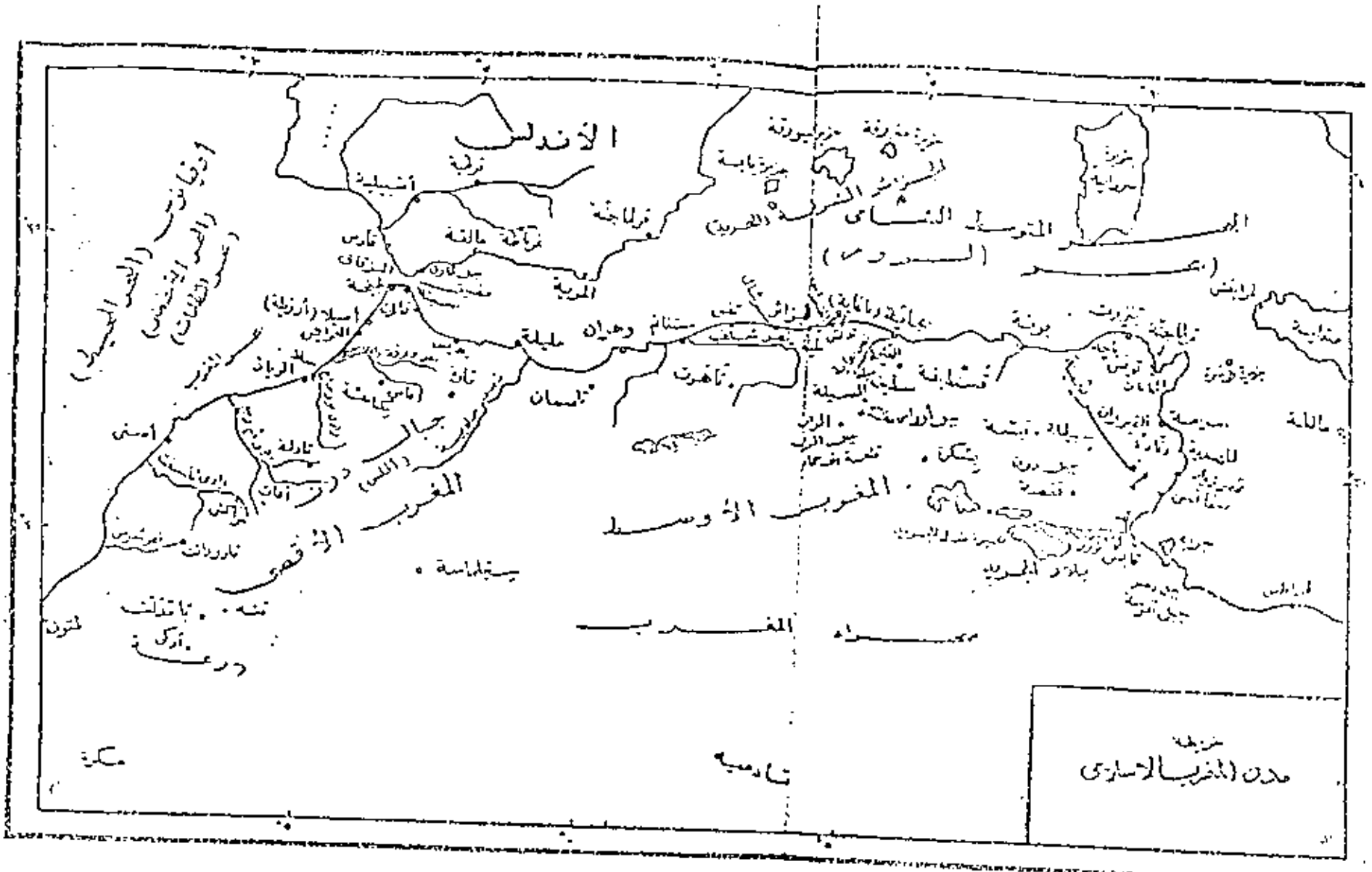

نقلاً عن : إ. ملسن (تاريخي) -

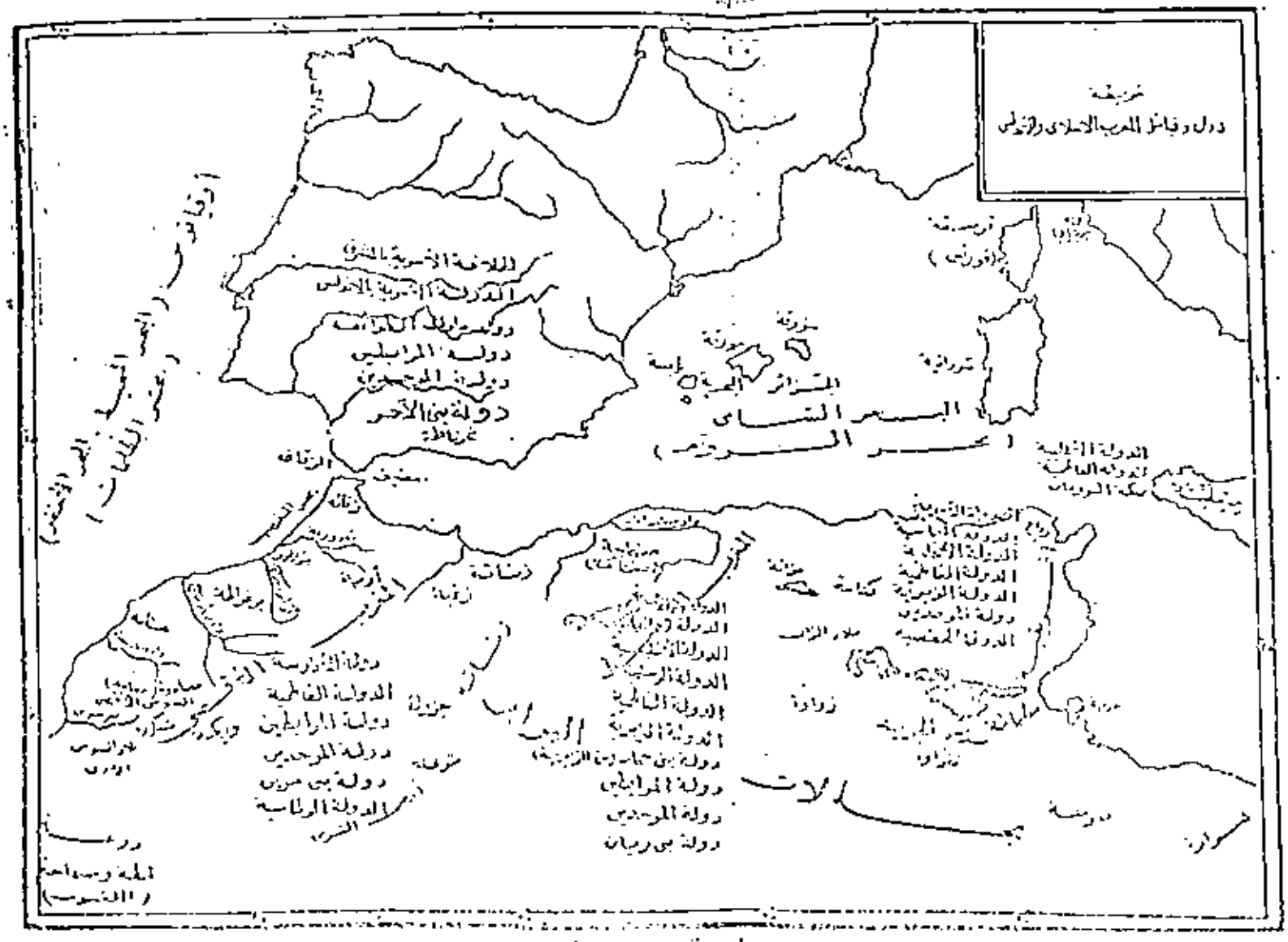

تشكل من : الأطلس للتاريخ

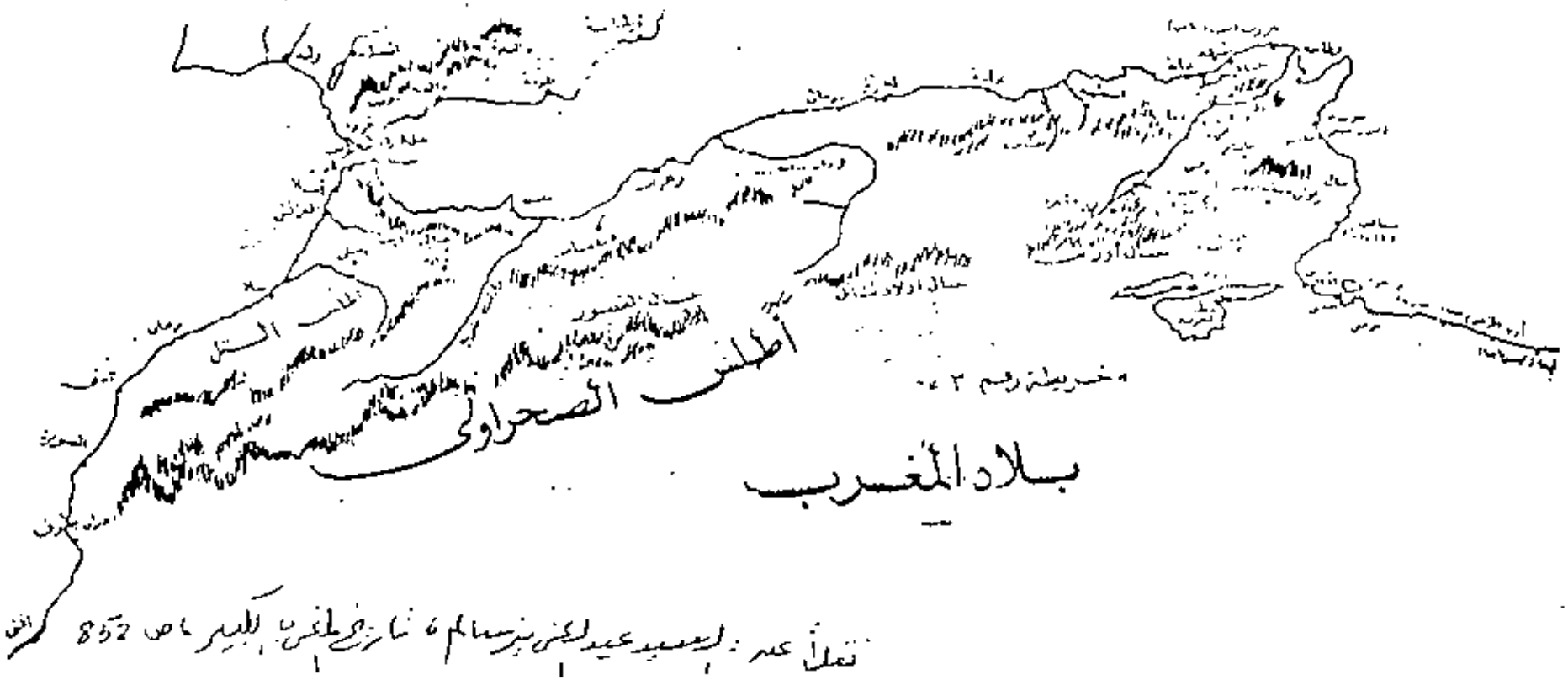

خريطة رقم ٢ ٠٤

بلاد المغرب

نقلاً عن: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، ص 852

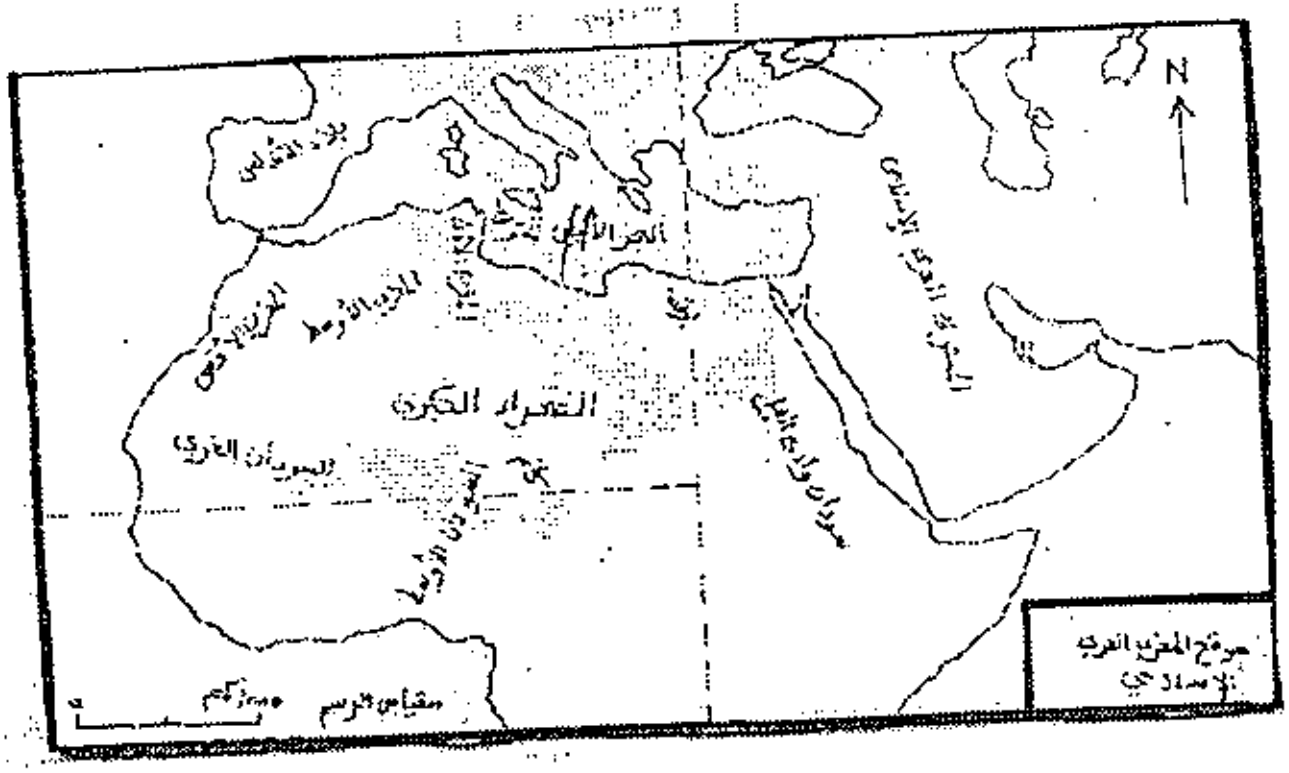

نقلاً عن : عبد العزيز لمهيدن ، ص 132 .

خريطة تمثل حدود المغرب العربي الإسلامي في فترة ال

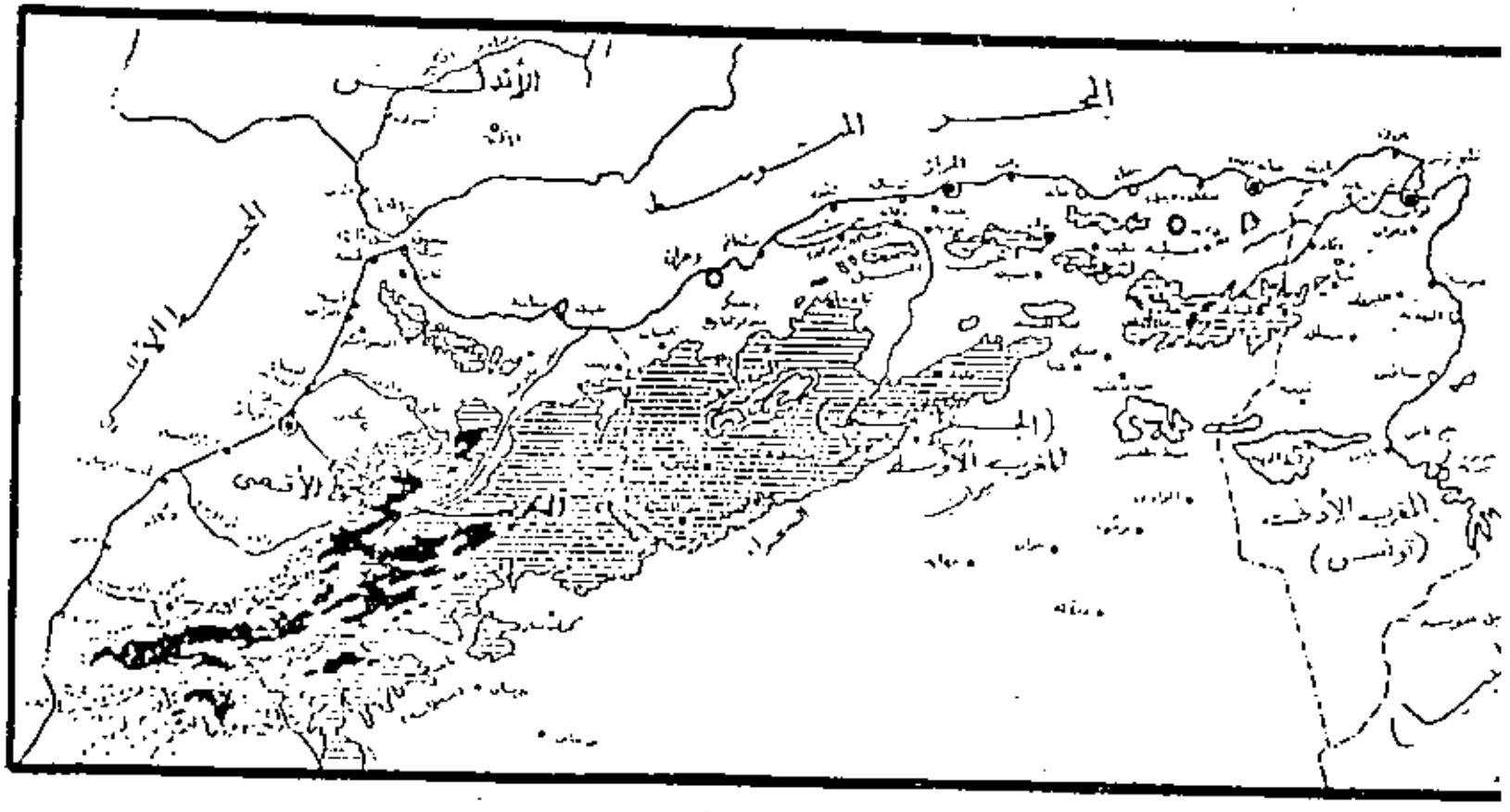

المغرب العربي الكبير

نقلاً عن: شبارو: عصام محمد، ص 21.

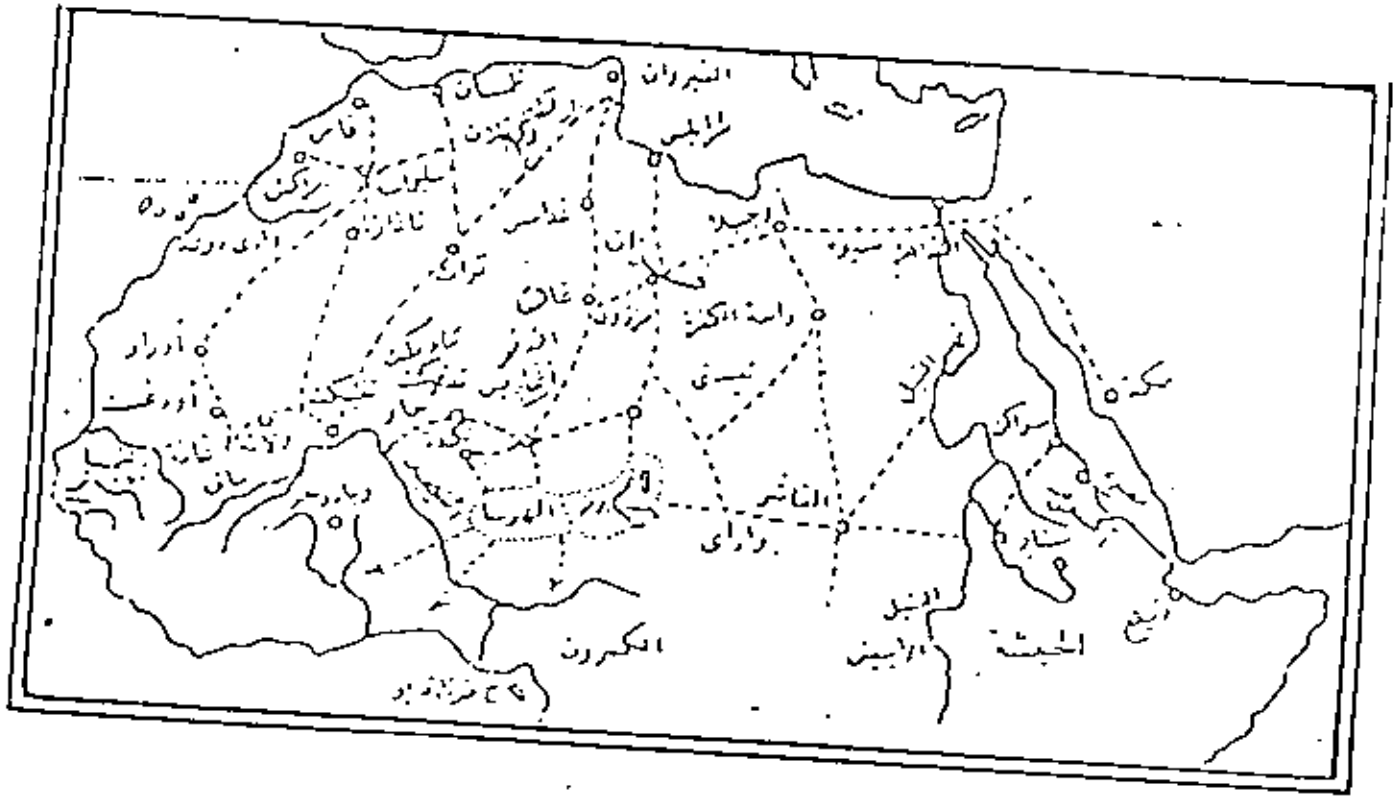

طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالي افريقيا

الطرق التجارية في النصف الأول من القرن السادس الهجري

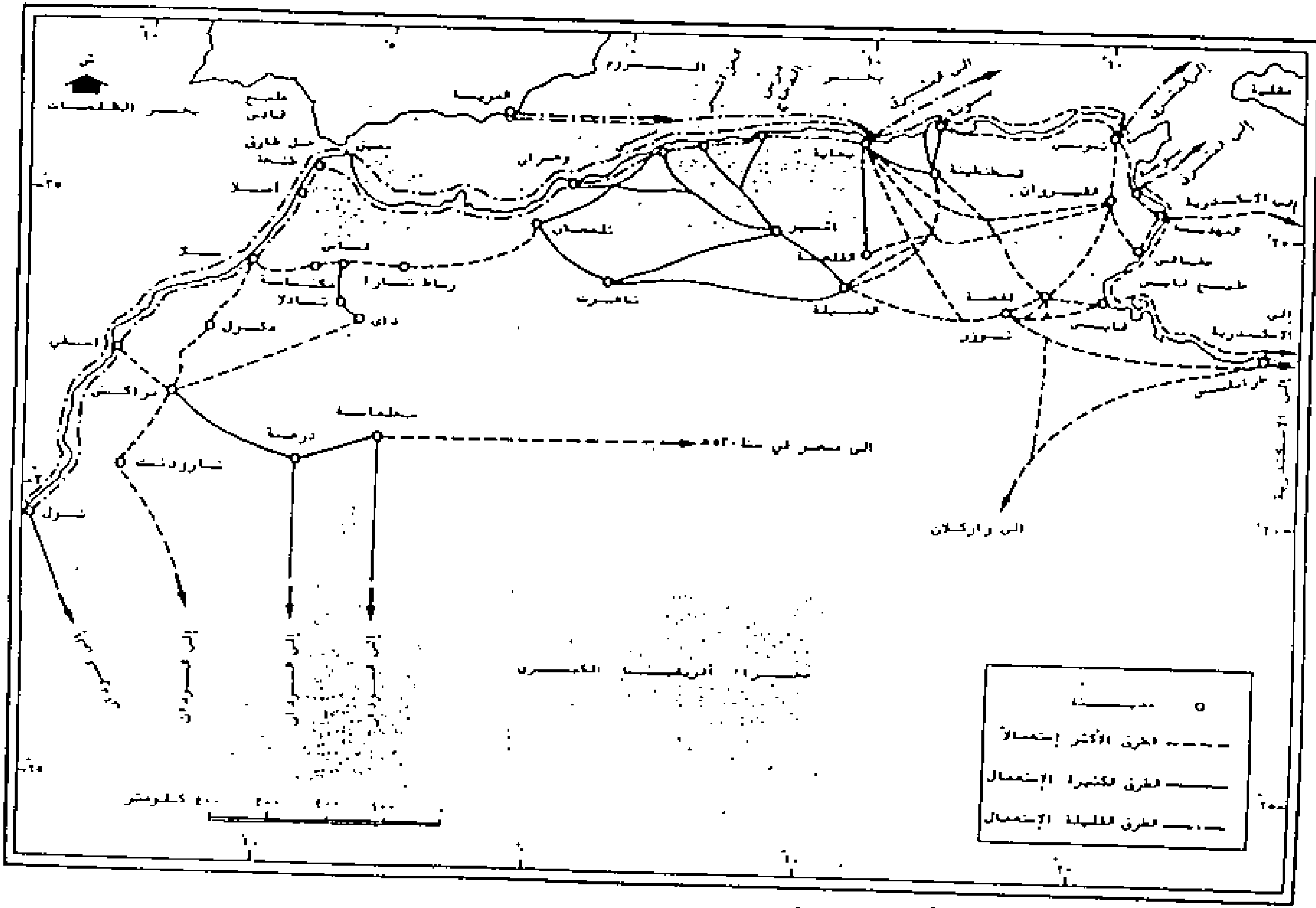

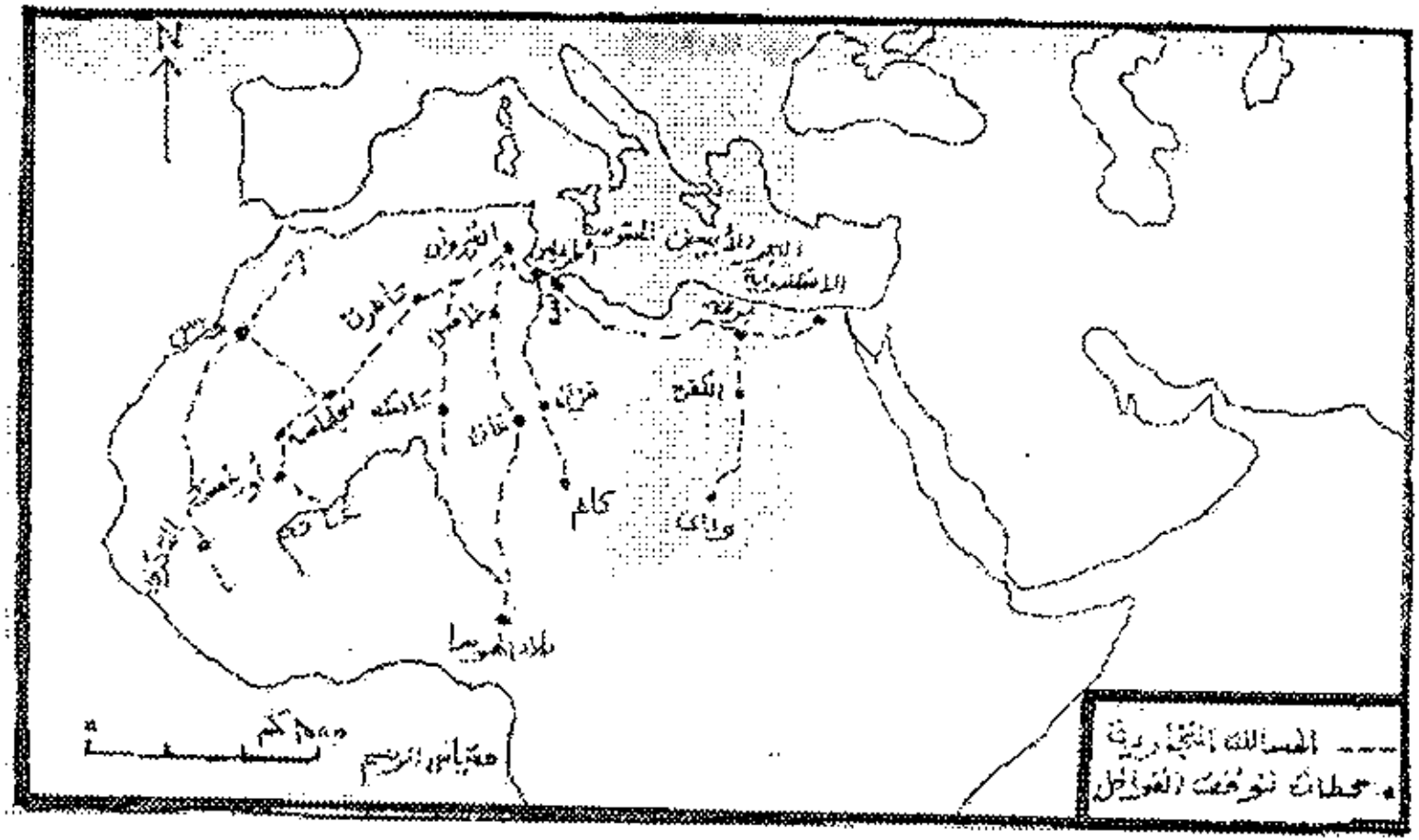

خريطة تمثل المسالك التجارية بالمغرب العربي الإسلامي

نقلاً عن: حبيب لعمر بن طهيدن ، ص 133.

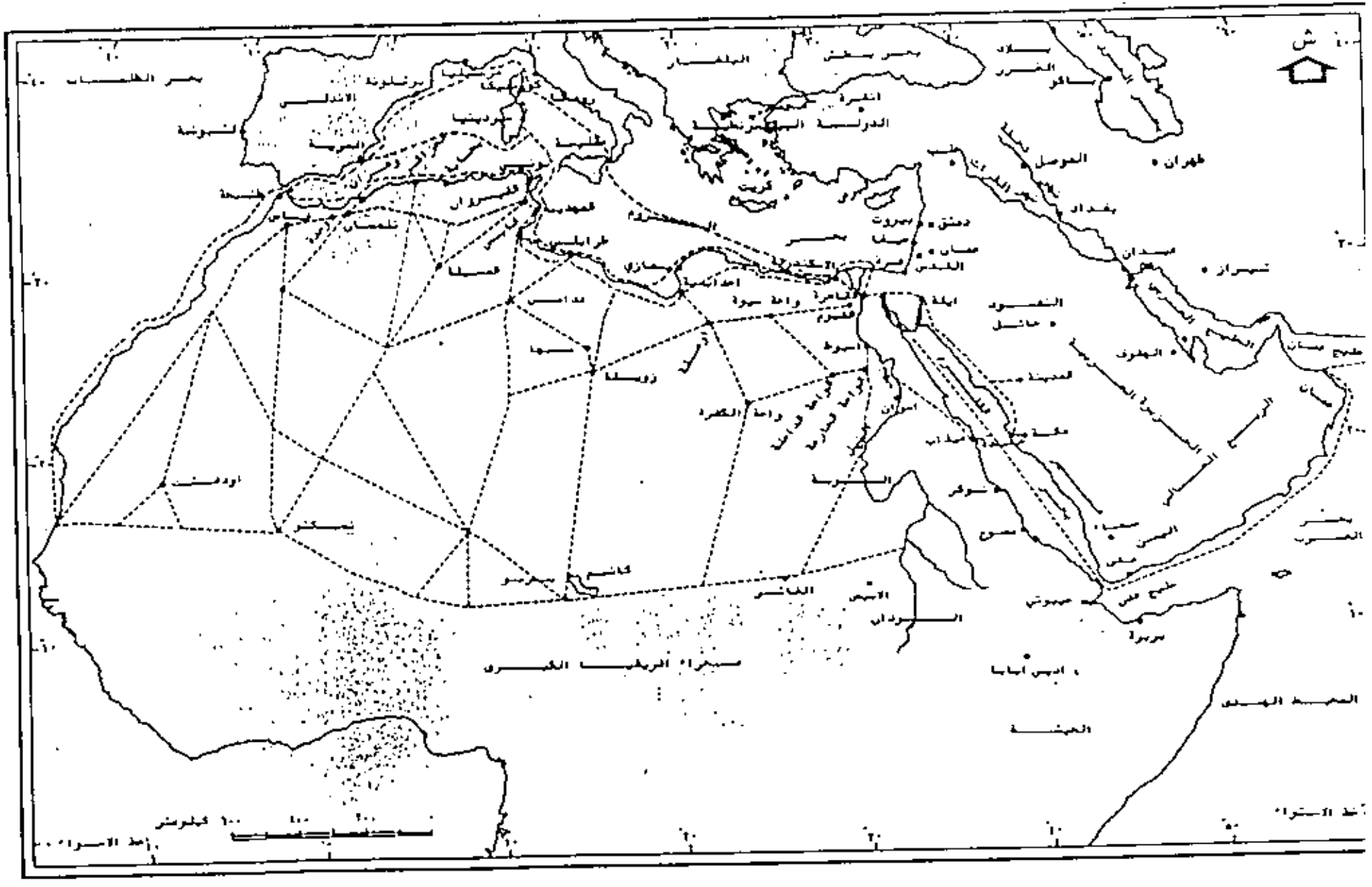
ش
البحر الأبيض المتوسط
الأندلس
قرطبة
غرناطة
طنجة
فاس
مراكش
الجزائر
تونس
طرابلس
برقة
القاهرة
الإسكندرية
واحة سيوة
الفيوم
أسوان
وادي النطرون
وادي الحمامات
وادي القرى
الصحراء الكبرى
الأهرام
السودان
الحبشة
البحر الأحمر
مكة
المدينة
جدة
الطائف
الرياض
الدرعية
حائل
القصيم
الجوف
تدمر
دمشق
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
يافا
القدس
عمان
البتراء
العقبة
بغداد
الموصل
طهران
شيراز
أصفهان
البصرة
الكويت
الأحساء
قطر
البحرين
عمان
مسقط
صحار
الشحر
عدن
المخا
الحديدة
زبيد
صنعاء
أبها
جيزان
نجران
الطائف
خط الاستواء
1000 كيلومتر

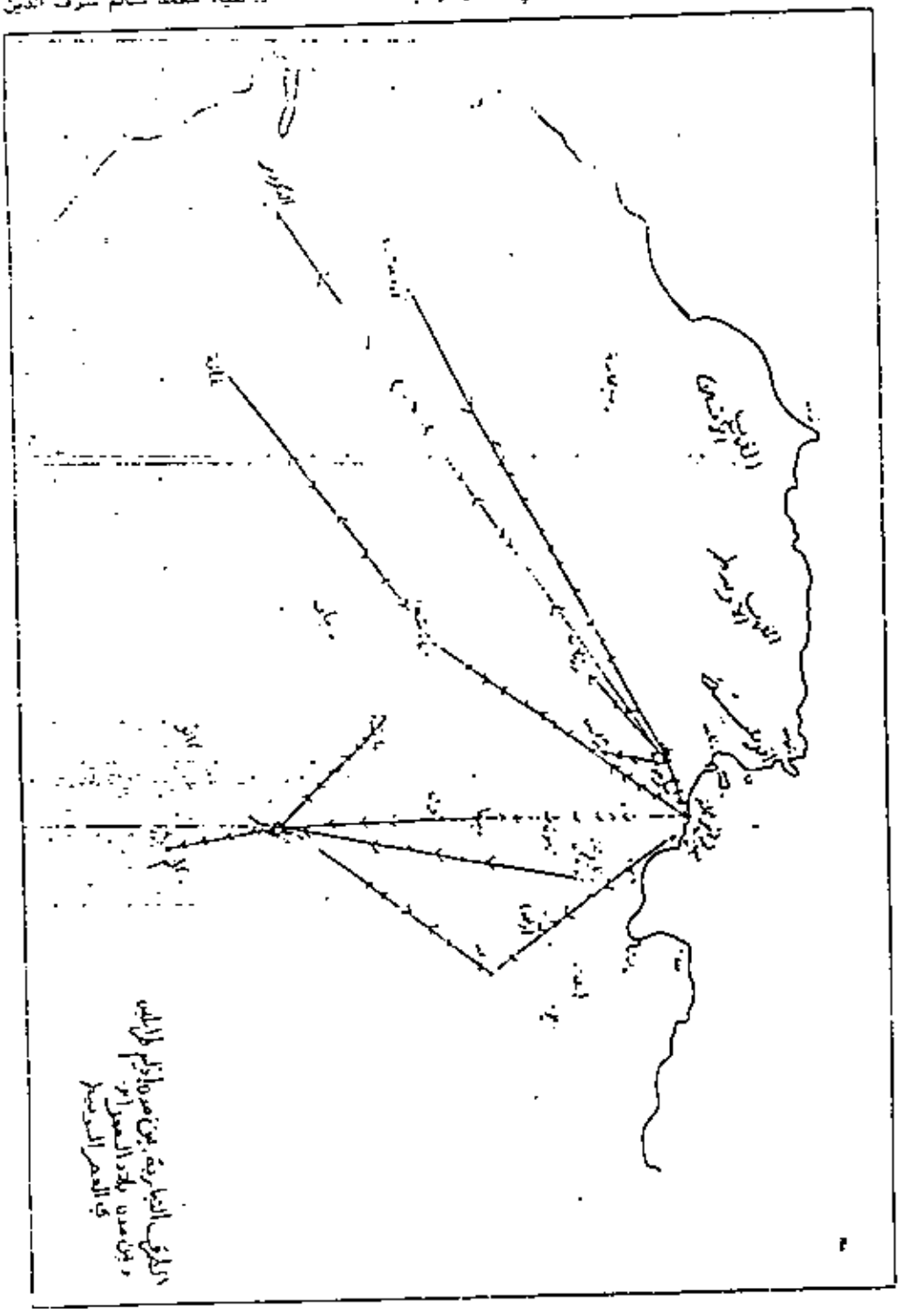
المحطات التجارية بين مدينة طرابلس
وبين مدن بلاد السودان
في العصر الوسيط

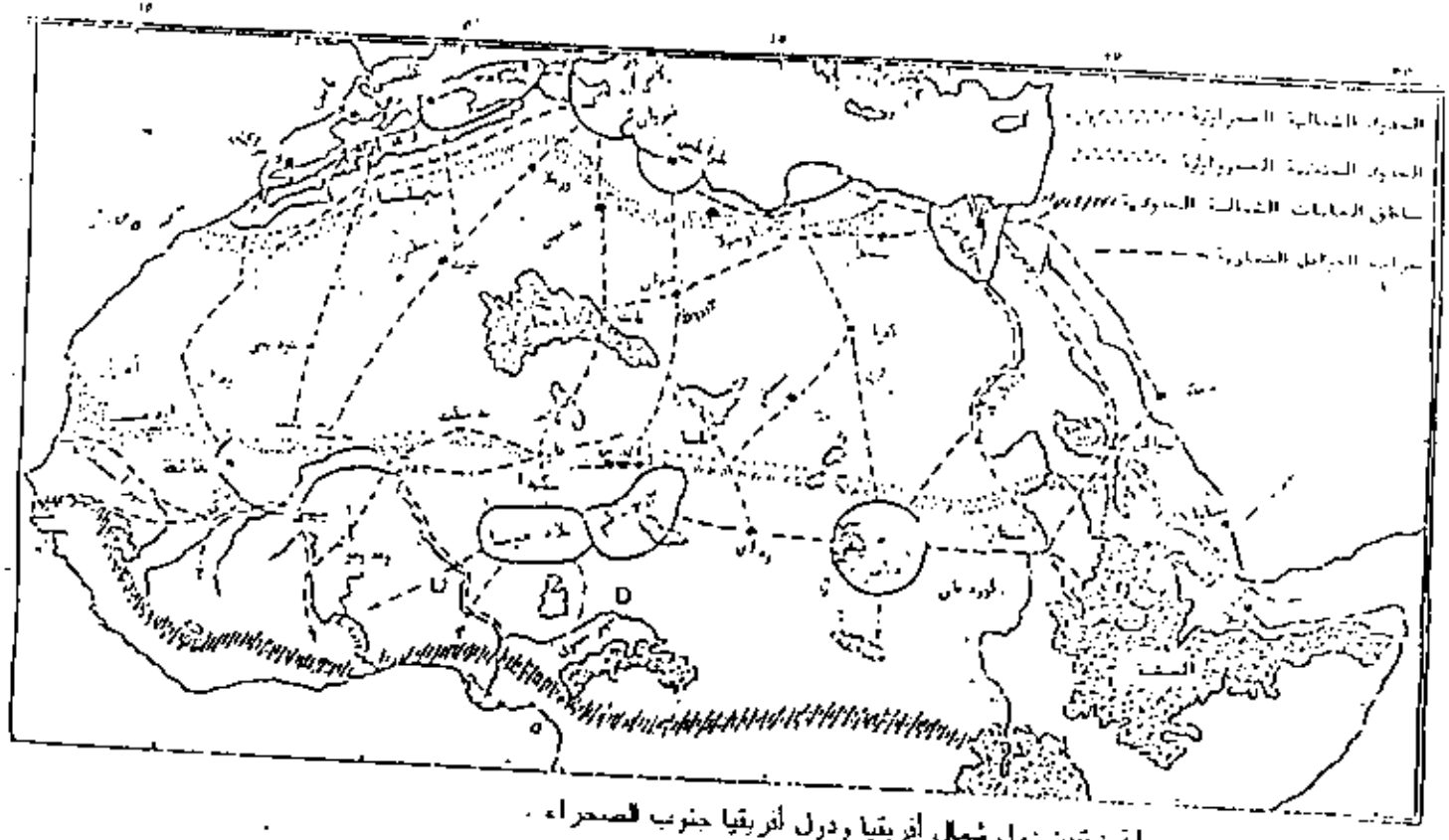

خريطة : تبين دول شمال افريقيا ودول أفريقيا جنوب الصحراء .

أثناء علاقتها التجارية والثقافية عبر القوافل التجارية فى القرن الخامس حتى القرن الثامن عشر الميلاديين

نقلاً عن : عثمان براهيما بابه

أهم الدول والمدن في غربي أفريقيا

نفكر في: عبد الكريم محفوظ: ص 336.

فاقلة ذياب

يبيع التجار في سوق مراكشي منتوجات قدمها العرب إلى شمال افريقيا والغرب منذ عدة قرون خلت.

نقلاً عن: عبد الكريم فضولا، ص343

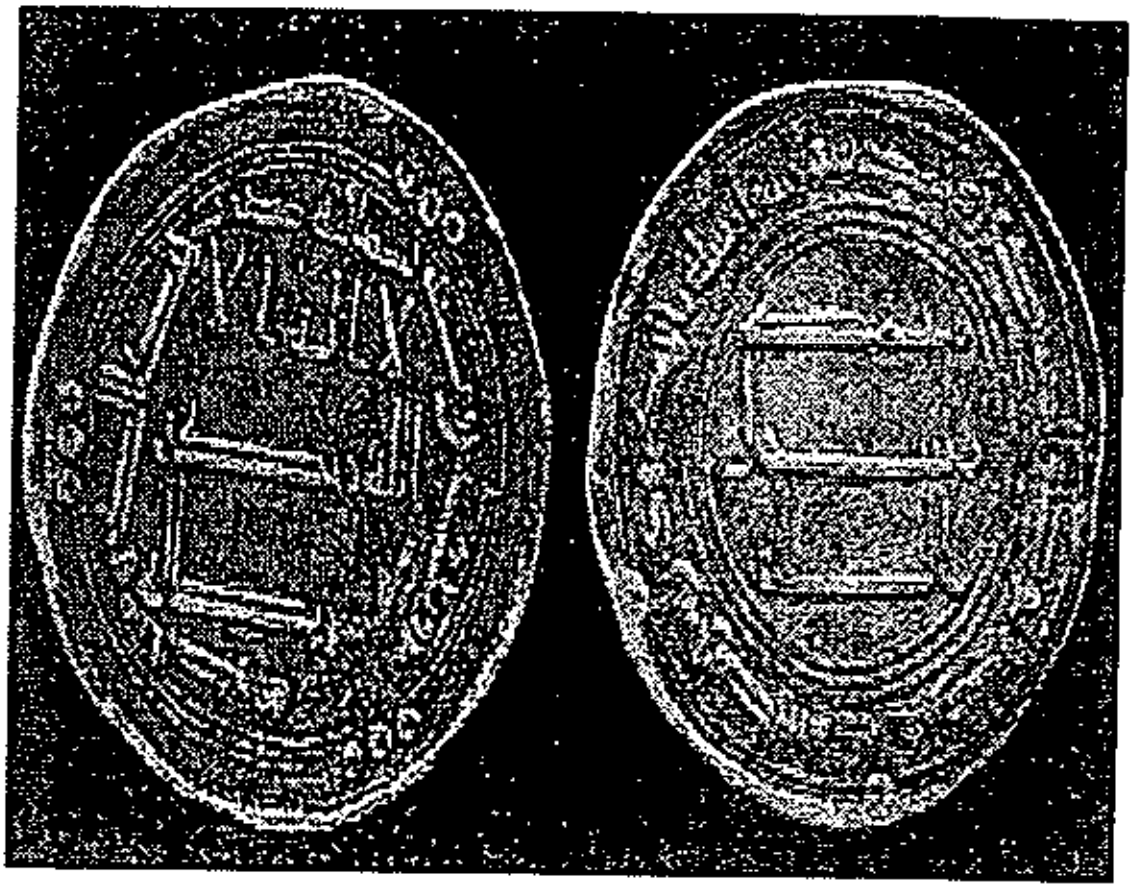

الدينار العباسي الأول .

انظر : www. Islamic golden coins .net ,no 1.

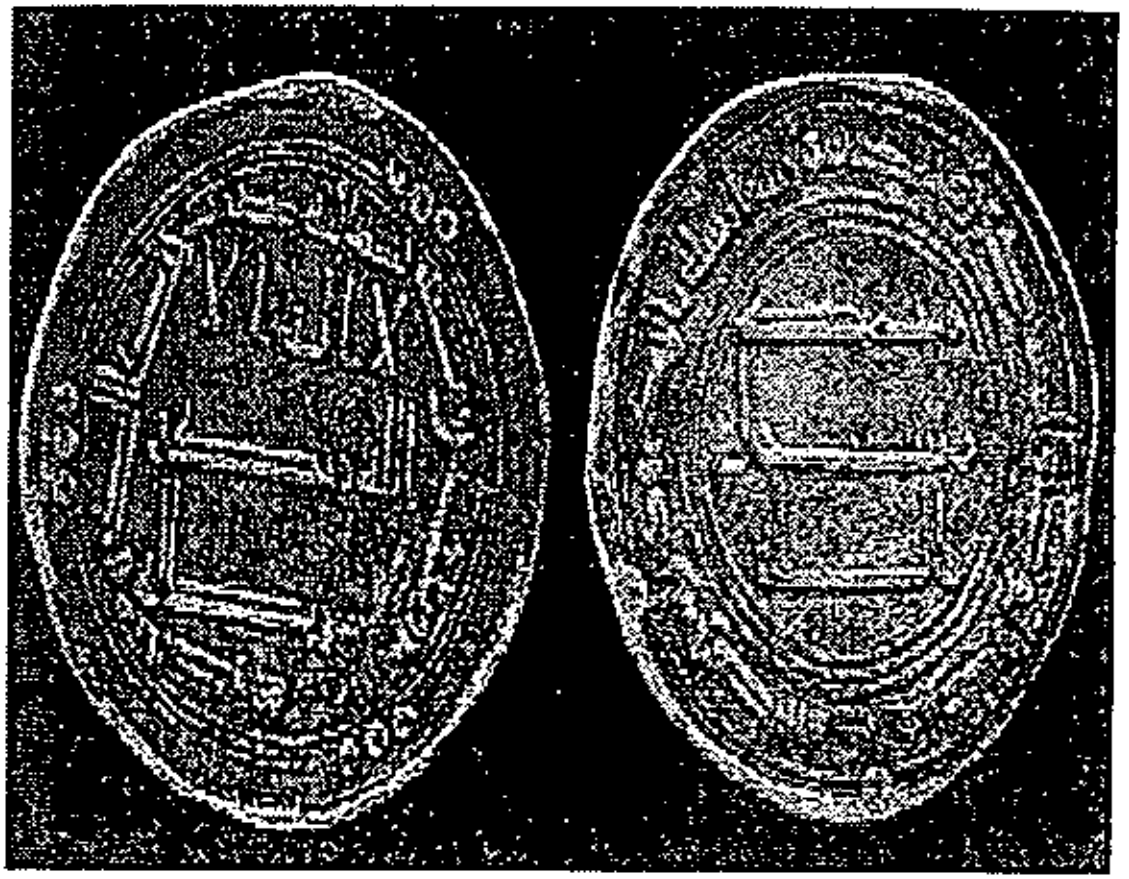

الدينار العباسي الأول .

انظر : www. Islamic golden coins .net ,no 1.

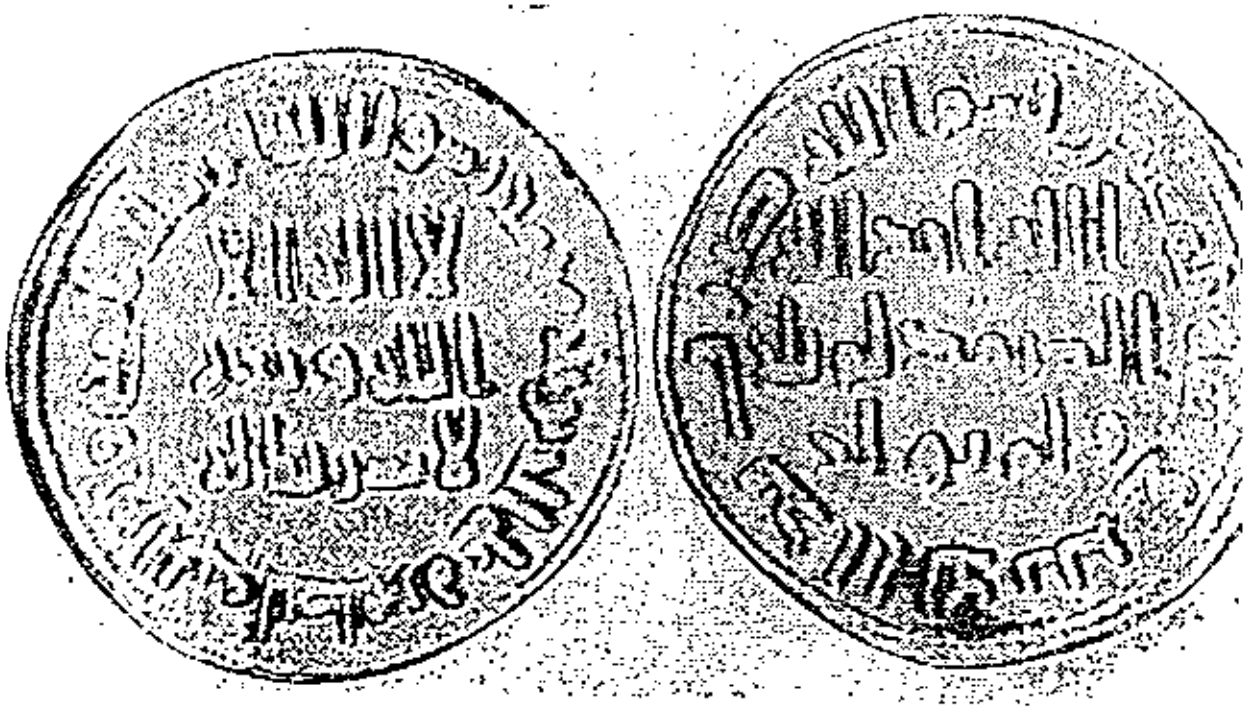

الدينار العربي الإسلامي .

انظر : ناصر محمود النقشبندي ، الدينار الإسلامي .... ؛ ص81.

فلس نحاسي ضرب بحمص في عصر الخلفاء الراشدين يمثل بداية عملية التعريب .

انظر : ياسر صلاح عفيفي ، المسكوكات الإسلامية ، ص34 .

نموذج الدينار الذهبي : نقلا عن هبة عبود .

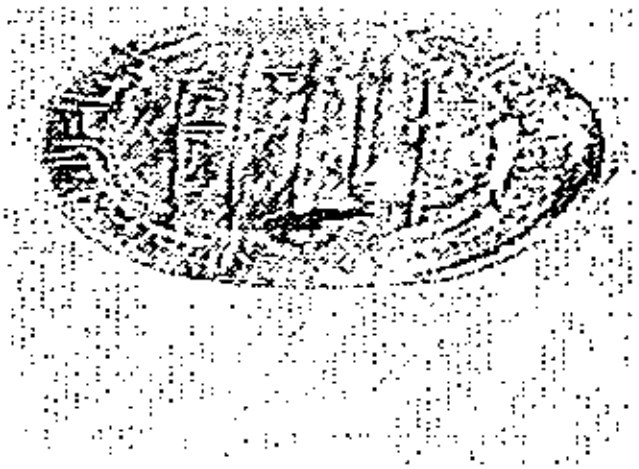

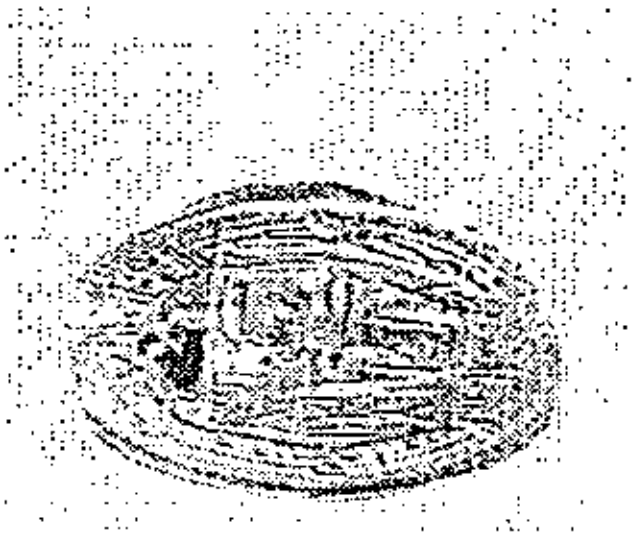

مسكوكات الأغالبة .

انظر : باسم صلاح عفيفي ، المسكوكات الإسلامية ، ص62.

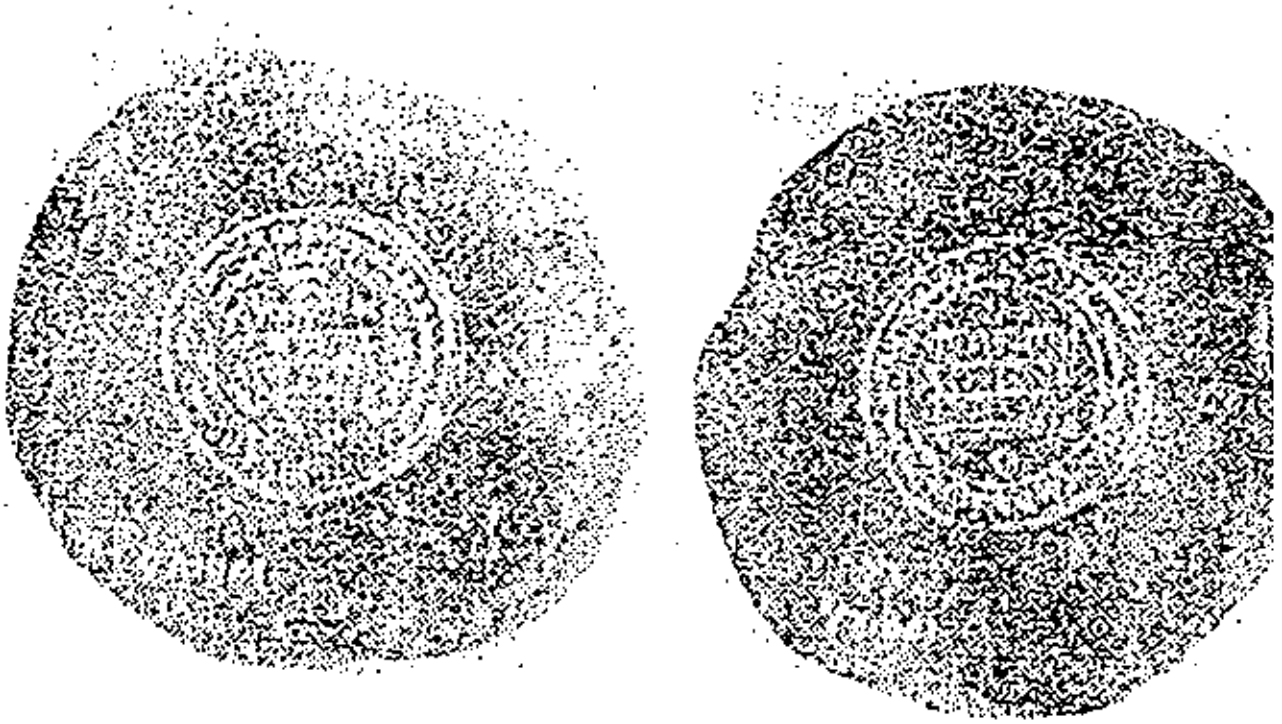

قالب السك المحفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

انظر: عبد الرحمن فهمي ، موسوعة النقود ، ص217 .

لوحة: 11

دينار الناكر لله

انظر : www. Islamic golden coins .net, no 1

ثبـــت المـــصـــادر والمـــراجـــع

ثبت المصادر والمراجع:-

أولاً :- القرآن الكريم (برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي).

ثانياً :- الوثائق والمصادر المخطوطة (المخطوطات):-

1 – الأصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، ت (350 هـ / 981 م) كتاب الأقاليم، مخطوط مصور في جامعة الملك سعود، الرياض.

2 – المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، ت (845 هـ / 1441 م) رسالة في أسماء النقود الإسلامية ، مخطوط دار الكتب المصرية ، مصر ، تاريخ 565 ، ميكروفيلم 4558 .

ثالثاً :- المصادر العربية المطبوعة :-

1 – ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت (729هـ/ 1328م) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن ليوي، مكتبة المثنى ، بغداد ، د .ط ، 1938 م .

2 – الإدريسي : الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي ، ت (560هـ/ 1165م) صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، وهو جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د.ط ، 1994 ، جـ1 ، 2 .

3 – الأصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، ت (350هـ/981م) المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر ، مراجعة محمد شفيق، تراثنا، الجمهورية العربية المتحدة ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط ،1961م.

4 – ابن بطوطة : شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد ، ت(779هـ / 1377 م) رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

5 – البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، ت (487هـ/ 1094م) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، تحقيق دي سلان ، الجزائر ، د.ط ، 1911م.

6 – البلاذري : أبو الحسن أحمد بن جابر بن داوود ، ت (279هـ/ 897م) فتوح البلدان ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر العربي ، بيروت ،ط1 ، 1992م.

7 – التيجاني : أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد ، ت (717هـ/ 1317م) رحلة التيجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، د.ط ، 1981 م.

8 – الجزنائي : (من مؤلفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) كتاب تاريخ فاس المعروف بـ زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د.ط ، 2001 م.

9 – الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، ت (331هـ / 952 م) كتاب الوزراء والكتّاب ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ط ، 1980 م.

10 – أبو حامد الأندلسي : محمد بن عبد الرحيم الغرناطي ، ت (473هـ/ 1080م) تحفة الألباب ، تحقيق جبريل فراند د.ر ، باريس ، د. ط ، 1925م.

11 – ابن حزم الأندلسي : محمد علي بن أحمد بن سعيد ، ت (456هـ /994 م) جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف المصرية، مصر ، ط3 ، 1971 م.

12 – الحميري : محمد بن عبد المنعم ، ت (866هـ / 1471م) الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 1980 م.

13 – ابن حوقل : محمد بن أبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي، ت (367هـ/988 م) صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ط ، 1979 م.

14 – ابـــن خرداذبـــــة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، ت (300هـــ/ 912م) كتاب المسالك والممالك ، نشر دي غوية ، ليدن ، د . ط ، 1889م.

15 – الخشنـــــي : أبـــو محمد بـــــن محمـــــد بن الحارث بن أســـــد ، ت (366هـــ/976م) طبقات علماء أفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيـــروت ، د.ط ، د.ت.

16 – ابـــــن خلـــــدون : عبد الرحمن بن محمـــد ، ت (808هـــــ / 1406م) المقدمة ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، د . ط ، د .ت.

العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصـــرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،د.ط ، 1968م ، ج6، 7.

17 – الدباغ :أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت (669هـــ/ 1296م) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق محمد ماضـــور ، د.ر ، تـــونس، د.ط ، 1978م،جـــ2 ، 3.

18 – ابـــن أبـــي دينار : أبوعبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، ت (1110 هـــ / 1698 م) المؤنس في أخبار أفريقية وتـــونس ، دار المســـيرة ، بيروت ، ط3 ، 1993 م.

19 – الرقيق القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق ، (كان حياً سـنة 425 هـ 1032 م)، تاريخ أفريقية والمغرب ،تحقيق عبد الله العلـــي زيـــدان وعز الدين عمر موسى ، د.ر ، تونس ، د .ط ، 1967م.

20 – ابـــــن أبـــي زرع : علـــي الفاســـي ، ت (741 هـــــ 1340م) الأنـــيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينـــة فـــاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، د . ط ، 1972م .

21 – الزهري: أبو عبد الله بن أبـــي بكـــر ، ت (556 هـــــ / 1160م) كتـــاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د.ط ، د .ت.

22 – ابـــن سعـــيـــد :أبو الحسن علي بن موســـى بـــن ســـعيد المغربـــي ، ت (685هـــ /1286 م) كتاب الجغرافيا ، تحقيـــق إســـماعيل العربـــي ، المكتـــب التجاري، بيروت ، ط1 ، 1970 م.

23 – السقطي : أبوعبد الله محمد بن أبي محمد ، في آداب الحسبة ، تحقيق الزين، دار الفكر الحديث ، بيروت ، د .ط ،1987م.
24 – ابن سلام : أبو عبيد القاسم بن سلام ،ت (224هـ / 836م) الأموال ، د . ر، بيروت ، ط1 ، 1981 م.
25– الشرزي : عبد الرحمن بن نصر ،ت(589هـ/1193م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، دار الثقافة ،بيروت ،ط2 ،1981م.
26– الصفاقسي : محمود مقديش ، ت(1228هـ/1813م) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار والأمصار ، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط، 1988م،جـ1.
27 – أبو طالب الأنصاري : شمس الدين أبو عبد الله محمد ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، د.ر ، بيروت ، د.ط ، 1865م.
28– ابن عبد الحكم : أبوالقاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القدرشي المصري ، ت (214هـ / 829 م) فتوح مصر والمغرب والأندلس ، نشر شارل توري ، طبعة أبرل، ليدن ، 1920 م.
29 – ابن عبد الحليم : كتاب الإنسان ، تحقيق محمد يعلي ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي ، مدريد ، د.ط ، 1996 م .
30 – ابن عبد ربه : الحفيد ، (من مؤلفي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، أفاق عربية ، العراق ، د . ط ، د .ت .
31 – ابن عبد الرؤوف : أحمد بن عبد الله ، (من مؤلفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) في آداب الحسبة والمحتسب ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، مصر ، د . ط ، 1955 م.
32 – ابن عذاري :أبو العباس أحمد ، (من مؤلفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ليفي بروفنسال و.ج.س . كولان ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1983 م ، جـ1 ،2 ، 4 .

33 – أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم القيروانـــي ، ت (333هـــ/ 945م) طبقات علماء أفريقية وتونس ، تحقيق علي الشابي ونعيم حســن اليـــافي ، الـــدار التونسية ، تونس ، ط2 ، 1985م.

34 – ابن عمر : يحيى بن عمر الكناني ، ت (289هـ / 901 م) أحكام السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، د.ط ، 1975م.

35 – أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن عمر ، ت (726هـــ/1374م) تقـويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د.ت .

36 – أبو الفرج: قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، ت (337هـ/ 948م) الخراج وصنعة الكتابة ضمن المسالك والممالك لأبي خرداذبة، مطبعة أبريل ، ليدن ، د.ط 1889م.

37 – القاضي عيـــاض : عيـــاض بـــن موســـى بـــن عيـــاض الســـبتي ، ت (544هـ/1149م) تراجم أغلبية ، تحقيق محمد الطـــالبي ، المطبعـــة الرســـمية التونسية ، تونس ، د.ط ،1968م.

38 – القاضي النعمان : النعمان بن محمد بن حيون ، ت (363هـ/973م) دعائم الإسلام وذكر الحلال و الحرام والقضايا والإحكام ، تحقيق أصف بن علـــي بـــن أصغر، دار المعارف ،القاهرة ، ط3 ،1969م،جـــ2.

39 – القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، ت (182هـ / 795م) آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د. ت.

40 – القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الفـزاري ، ت (821 / 1418 م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه نبيـل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 م ، جـــ5.

41 – القيرواني الأندلسي : أبوعبد الله محمد بن الحارث القروي الأندلســـي ، ت (361هـ/ 971م) قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ، تحقيق السيد عزت العطـــار ، ت.ر ، القاهرة ، د .ط ، د.ت.

42 – ليو الأفريقي : الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليو الأفريقي ، ت (944هـ / 1537م) وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1983م ، جـ1 ، 2.

43 – المالكي : أبوبكر عبد الله بن أبي عبد الله بن محمد ، ت (نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم ، تحيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1994م ، جـ1 .

44 – الماوردي : أبو الحسن علي محمد بن حبيب البصري البغدادي ، ت (450هـ / 1058م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1985م.

45 – المراكشي : محيي الدين أبو محمد بن علي بن عبد الواحد ، ت (647هـ/1249م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، د .ط ، 1963م.

46 – المسعودي : أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ، ت (346هـ/957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، 1987م ، جـ1.

47 – مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد ، ت (421هـ/1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، د.ر ، القاهرة ، د.ط ، 1915م ، جـ1.

48 – أبو معين الدين : ناصر خسرو ، ت (481هـ/ 1088م) سفر نامه ، ترجمة خالد البدلي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ط1 ، 1983م.

49 – المقدسي : شمس الدين عبد الله بن محمد بن أحمد المعروف بالبشاري ، ت (387 هـ / 997 م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة أبريل ، ليدن ، ط2 ، 1906م.

50 – المقريزي : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ، ت (845هـ/ 1441م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بـولاق ، د.ن ، د.ط ، 1270هـ ، جـ1.

51 – ابـن منـظـور : أبي الفضل جمال الـدين محمـد بـن مكـرم ، ت (711هـ / 1311) لسان العرب ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون ، دار صادر ، بيروت ، د. ط ، د .ت مج1 ، 2 ، 4 ، 5 ، 6.

52 – مؤلف مجهول:(من مؤلفي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميـد ، د.ر ، الإسكندرية ، د.ط ، 1958.

53 – مؤلف مجهول : (من مؤلفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق محمد عيسى صالح وإحسان صدقي ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط1 ، 1984م.

54 – الناصـري : الشيـخ أبو العباس أحمد بن خالد النـاصري السـلاوي ، ت (669هـ / 1270م) الأستقصا لأخبار دول المغـرب الأقصـى ، تحقيـق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضـاء ، د.ط ، 1954م ، جـ1 ، 2.

55 – النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب محمد بن عبـد الـدائم ، ت (733هـ / 1333م) نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة مصورة عـن مطبعـة دار الكتب مع استدراكات وفهارس الجامعة ، د.ن ، د.ط ، د.ت ، جـ6.

56 – الهمذاني : أبي بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه ، مختصر كتـاب البلدان ، مطبعة أبريل ، ليدن ، د.ط ، 1302هـ.

57 – الوزير السراج : محمد بن محمد الأندلسـي ، ت (1149هـ / 1736م) الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلـة ، دار الغـرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1985م ، جـ1.

58 – الونشريسي : أحمد بن يحيى ، ت (914هـ 1508م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، د.ط ، 1981م ، جـ5 ، 6 ، 10.

59 – ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ، ت (626هـ / 1229م) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، 1957م ، جـ1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 8.

60 – اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح بن جعفر، ت (292هـ/ 897م) كتاب البلدان ، مطبعة أبريل ، ليدن ، د.ط ، 1891م.

رابعاً : المراجع العربية والمعربة :-

1 – إبراهيم : عفيفي محمود ، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، 2001م.

2 الأبيض : رجب نصير ، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، ط1 ، 1998م.

3 – أحمد : مطير سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية ، وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين (10–11هـ / 16–17م) ، دار المدار الإسلامي ، د.ن ، ط1 ، 2005م.

4 – آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن (4هـ /10م) نقله محمد عبد الهادي أبو ريده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1948م ، جـ2.

5 – أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ط ، 1960م.

6 – أرنولد : سير توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1957م.

7– باري : عثمان برايما ، جذور الحضارة الإسلامية في المغرب الأفريقي .

8 – البراوي : راشد ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1948م.

9 – بروفنسال : ليفي ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، د.ر ، القاهرة ، د.ط ، 1957م.
10 – التكتيك : جميلة أحمد ، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير (1493 – 1528م) رسالة ماجستير ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، ط1 ، 1998م.
11 – الجنحاني : الحبيب ، المغرب الإسلامي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين (3 – 4هـ / 9 – 10م) الدار التونسية للنشر ، تونس ، د.ط ، 1977م .
دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1986م.
12 – جواتين : دارسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصي ، د.ر ، بيروت ، د.ط ، 1980م.
13 – جودة : حسين جودة ، جغرافية أفريقيا الإقليمية منشاة المعارف ، الإسكندرية ، ط9 ، 1996م.
14 – الجوهري : يسري ، جغرافية المغرب العربي ، مؤسسة شباب الجامعة ، دار القلم ، الكويت ، ط3 ، 1987م.
15 – الحريري : محمد عيسى ، الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي ، دار القلم ، الكويت ، ط3 ، 1987م.
16 – حسن : حسن إبراهيم ، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ط ، 1963 م .
17– حسن : حسن علي ، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين) مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط ، 1980 م .
18 – حسونة : محمد أحمد ، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر (القاهرة) ، د.ط ، 1960 م.
19 – حسين : حمدي عبد المنعم محمد ، مدينة سلا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د.ط ، 1993 م.

20 – الدالي : الهادي المبروك ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب أفريقيا ، دار حنين ، د.ن ، د.ط ، د.ت .

مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن(13 – 15 م) تقديم محمد رزق ، دار الملتقي ، بيروت ، د.ط ، 1993 م .

21 – دبوز : محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، دار إحياء الكتب العربية ، د.ن ، ط1 ، 1963 م ، جـ1.

22 – دردور : عبد الباسط ، أقطار المغرب العربي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط ، 2002 م.

23 – رمضان : عاطف منصور محمد ، الكتابات غير القرآنية على النقود الإسلامية في المغرب والأندلس ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

24 – رياض : زاهر ، شمال أفريقيا في العصور الوسطي ، مكتبة الإنجلو المصرية ، مصر ، د.ط ، 1981 م.

25 – زكي : عبد الرحمن ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، د.ط ، 1961 م.

26 – زيتون : محمد محمد ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار ، القاهرة ، ط1 ، 1988م.

27 – زيدان : جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مطابع دار الهلال ، د.ن ، د.ط، 1957 م ، جـ5 .

28 – زيربو : جوزيف كي ، تاريخ أفريقيا السوداء ، ترجمة عقيل الشيخ حسين، الدار الجماهيرية ، د.ن ،ط1 ، 2001 م .

29 – زينبر : محمد أحمد ، المغرب في العصر الوسيط ، منشورات كلية العلوم الإنسانية ، الرباط ، د.ط ، د.ت .

30 – السائح : الحسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1986 م .

31 – سالم : السيد عبد العزيز، المغرب العربي الكبير،دار النهضة العربية + الدار القومية للطباعة والنشر، بيروت + د.ن ، د.ط +د.ط ، 1981 م + 1966م، جـ2 .

تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط2 ، 1982 م . تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د.ط ، 2001 م .

32- سرور: محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، د.ر ، د.ن ، ط2 ، 1967 م .

33 – سلطان: عبد المنعم عبد الحميد ، الأسواق في العصر الفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، د.ط ، 1997 م .

34 – شبارو : عصام محمد ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلي الفردوس المفقود ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2002 م .

35 – صالح : أنور مهدي ويوسف يحي طعماس ، الجغرافية العامة للقارات ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، بغداد ، د.ط ، 1990 م .

36 – صالح : مرمول محمد ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط ، 1983 م .

37 – الطالبي : محمد ، الدولة الأغلبية ،نقله إلي العربية المنعبي الصيادي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1 ، 1985م.

38 – طرخان : إبراهيم علي ، إمبراطورية غانا الإسلامية ، د.ر ، القاهرة ، د.ط ، 1970م.

39 – طه : جمال أحمد ، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، د.ط ، د.ت.

40 – العبادي : أحمد مختار ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر ، ط2 ، 1986م.

41 – العبادي : أحمد مختار والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، د.ط ، د.ت ، جـ2.
42 – عبد الحميد : سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ط ، 1979م . جـ2.
43 – عبد الظاهر : حسن عيسى ، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقية وقيام دولة الفولاذي ، الزهراء للأعلام العربي ، د.ن ، ط1 ، 1991م.
44– عفيفي : باسم صلاح ، المسكوكات الإسلامية ، الخليج العربي ، بنغازي، د.ط ، 1996 م .
45 – عفيفي : محمد الصادق ومحمد بن تاويت ، الأدب المغربي ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1969 م.
46 – عبد الوهاب : حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مكتبة المنار ، تونس ، د.ط ، 1964م ، جـ1 ، 2 ، 3.
47 – العميد : طاهر مظفر ، آثار المغرب والأندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بغداد ، د.ط ، 1989م.
48 – الغريري : عبد العباس فضيخ وآخرون ، جغرافية الوطن العربي ، دار الصفاء ، عمان ، ط1 ، 1999م.
49 – الغناي : أمراجع عقيلة ، علاقات الإمارة الصيناجية بجيرانها، وآثارها في ليبيا ، المكتبة الوطنية ، بنغازي ، د.ط ، د.ت.
50 – الغنيمي : عبد الفتاح مقلد ، موسوعة المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط1 ، 1994م ، جـ1.
51 – فالترهنتس : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، د.ر ، عمان ، د.ط ، 1970م.
52 – الفيتوري : جمعة مصطفى ، النشاط العقدي بالغرب الإسلامي ، دار المدار الإسلامي ، لبنان ، ط1 ، 2002م.

53 – قربة : صالح ، المسكوكات المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د.ط، 1986م.

54 – الكبيسي : حمدان ، أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية ، د.ر، بغداد ، ط1 ، 1988م.

55 – الكعاك : عثمان ، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، طبع في معهد الدراسات العربية ، د.ن ، د.ط ، 1965م.

56 – لقبال : موسى ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، د.ر ، الجزائر، د.ط ، 1971م.

57 – لومبار:موريس ، الإسلام في مجده الأول من القرن(2– 5هـ/ 8 – 11م) ترجمة وتعليق إسماعيل العربي ، دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ط3 ، 1990م.

58 – مجاهد : حورية توفيق ، الإسلام في أفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، د.ط ، 2002م.

59– محفوظ : عبدالكريم ، عبقرية الحضارة العربية ، الدار الجماهيرية ، مصراتة ، ط1 ، 1990 م .

60 – محمد : عبد الرحمن فيمي ، موسوعة النقود العربية ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، د.ط ، 1965م.

61– المرزوقي : محمد، قابس جنة الدنيا ، مطبعة لجنة التأليف ،القاهرة ، د.ط ، 1962م.

62 – المزيني : صالح مصطفى مفتاح ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، طبرق ، ط3 ، 2002م.

63 – أبو مصطفى : كمال السيد ، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، د.ط ، د.ت.

جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي ، دار الثقافة ، د.ن ، د.ط ، 1991م.

64 – موسى عز الدين أحمد ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن (6هـ / 12م) ، دار الشروق ، بيروت ، د.ط ، 1983م.

65– نجم : محمد يوسف وإحسان عباس ، ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ، دار ليبيا ، بنغازي ، د.ط ، د.ت.

66– النقشبدي : ناصر محمود ، الدينار الإسلامي في المتحف العراقي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، د.ط 1953م .

67 – آل ياسين : محمد حسن ، معجم النبات والزراعة ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، د.ن ، د.ط ، 1986م ، جـ1.

68 – يوسف : جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3 – 4هـ / 9 – 10م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ط ، د.ت.

69– الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى ، صنفه وحققه عبدالمنعم ماجد ، رسم خرائطه وحققها علي البنا ، دار الفكر العربي ، د.ن ، الطبعة 2 ، 1967 م .

خامساً : الرسائل العلمية :-

1 – إبراهيم.: عفيفي محمود أحوال بلاد المغرب الاقتصادية في ظل السيادة الفاطمية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1977م.

2 – أحمد.: حسن خضيري ، علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1992م.

3 – أحمد.: فتحي إبراهيم ، النشاط التجاري في دولة المرابطين في المغرب الأقصى (448 – 541هـ / 1056 – 1146م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الفاتح ، طرابلس ، 2004 – 2005م.

4 – السباني : صالح الصادق ، مملكة كانم – برنو وعلاقاتها بأقطار الشمال الأفريقي من القرن (3 – 10هـ / 9 – 16م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1988 – 1989م.

5 – سلام : حورية عبده عبد المجيد ، علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الخلافة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1977م.

6 – سلطان : عبلة محمد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن جنوب المغرب (عصر المرابطين والموحدين) رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1992م.

7 – الشرقاوي : عبد الحميد محمود ، الملاحة البحرية في الأندلس الإسلامي خلال القرن (4هـ / 10م) رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1950م.

8 – العامودي : حياة عبود محمد ، أسواق أفريقية في العصر الفاطمي (297 – 443هـ / 909 – 1051م) رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1996م.

9 – عبد الرحيم : عبد العزيز مهيدي عمر ، المسكوكات ، أهميتها ودورها كوثائق تاريخية حضارية في المغرب العربي (1 – 6هـ / 7 – 12م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الفاتح ، طرابلس ، 2004 – 2005م.

10 – عبد العواد : حسن علي حسين ، الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في القرنين (5 – 6هـ / 11 – 12م) رسالة دكتوراه ، كلية العلوم ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1973م.

11 – اليمشري : مصطفى ، الأعمال المصرية في الإسلام ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، د.ت.

سادساً : الدوريات والمجلات والندوات العلمية :-

1 – بوبو : سلفاتور ، تجارة طرابلس عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير ، 1981م.

العلاقات التجارية بين بلدان المغرب و إيطاليا في العصر الوسيط ، ترجمة عمر محمد الباروني ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس السنة الثامنة ، العدد الثاني ، يوليو ، 1986م.

2 – جامي : عبد القادر ، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ، ترجمة محمد الأسطى ، قدمه علي مصطفى المصراتي ، دار المصراتي للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، 1974م.

3 – جونسون : ماريون ، تجارة ريش النعام ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير ، 1981م.

4 – حجي : محمد ، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1977م.

5 – حركات : إبراهيم ، دور الصحراء الأفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير ، 1981م.

6 – الحرير : إدريس صالح ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الدولة الرستمية ومدن جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام هناك ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، العدد الأول ، يناير ، 1983م.

6 – الحسيني : محمد باقر ، دراسات في نقود الثوار والشعارات والمناسبات المضروبة في أفريقية ، مجلة المسكوكات ، العدد السابع ، 1976م.

8 – زيادية : عبد القادر ، التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مجلة الأصالة، الجزائر ، السنة الرابعة ، العدد (26) ، 1975م.

9 – زيود : محمد ، نظام الحسبة في الإسلام، مقال من مجلة الدراسات التاريخية، السنة التاسعة ، العددان (29 ــ30) حزيران ، 1988م.

10 – شرف الدين : لمياء محمد سالم ، تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، العدد الثاني ، 2001م.

11 – الشريف : خديجة باعلي ، طريقة تقويم تجار القوافل الغدامسية للسلع والبضائع ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة العاشرة ، العدد الأول ، يناير ، 1988م.

12 – ابن شقرون : مصطفى ، دور التجار المسلمين في نشر الإسلام بغرب أفريقيا في العصر الوسيط ، مقال ورد ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، تقديم عبد الحميد اليرامة ،كلية الآداب ، شعبة التاريخ ،تطوان ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1999م.

13– العبيدي : صلاح حسن ، المكاييل العربية الإسلامية في المصادر الأثرية ، مقال من مجلة المورد ، بغداد ،العدد الثالث ، 1986م. المجلد 15.

14 – بوعزيز : يحيى ، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن 19 (البضائع ــ العملات ــ الأسعار ــ الأساليب التجارية) تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن (19م) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984م

15 – عوض الله : الشيخ الأمين ، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن (16م) تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن (19م) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984م.

16 – فخار : إبراهيم ، تجارة القوافل في العصور الوسطى ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن (19م) ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984م.

17 – قاسم : جمال زكريا ، كتاب وصف أفريقيا وتاريخها للحسن محمد الوزان ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس والقاهرة ، القاهرة ، 1968م ، المجلد 11.

18 – المزيني : صالح مصطفى مفتاح ، مقال مكتوب بخط اليد تحت عنوان :- الإسلام في أفريقيا الغربية.

19 – المصري : عبد السميع ، التجارة في الإسلام ، مقال من مجلة الاقتصاد الإسلامي ، العدد (47) شوال ، 1985م.

20 – مؤنس : حسين ، فزان ودورها في نشر الإسلام ، مجلة كلية الآداب ، جامعة قار يونس ، بنغازي ، العدد الثالث ، 1969م.

21 – موني : ريموند ، طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، يناير ، 1981م.

22 – يونس : محمد المبروك ، التطور التاريخي للعلاقات العربية الأفريقية (1952 ــ 1977م) ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، ط1 ، 1988م.

سابعاً :- المواقع الالكترونية :-

gel den cons .hatWWW.Islamic
WWW.Khayma.com/HAWAJ/baytarhttp://

ثامناً :- المراجع الأجنبية

1- Abu Boohen A. Britain ، the Sahara and western Sudan (1788/1861) ، oxford ، Claremont press ، 1964 .

2- Barth. H travels and Discoveries in North and ftfrica، Vol III ، London franks ، LTd ، 1965.

3- BovILL‹ E.W: THE Golden Trade of the moors. Oxford unit – varsity press ‹ 1968 .

4- DelA Ronciere ‹ CH : LA Decemvirate de ;;Enrique au Moryen AGE ‹ T.J.L.E CAIRE ‹ 1934 .

5- Dozy . R. : Supplement aut dictionaries Arabes leyden ‹ Brill‹ 1881.

6- Golten ‹ S.D AMEDITERRANEAN SOCIETY of the HIGH MIDDLE AGES I ‹ New York ‹ 1967 .

7- Henvi laxiox : Catalogue Monnaies Musurmanes Pris‹ 1896.

8- R.Lopez. Medierel ‹ Tread in the Medititerranean world .

9- Spencer Triming ham ‹ A History of Islam in west Africal ‹ rondon : oxford univ press ‹ 1962 .